

صفحات جديدة من التاريخ الإسلامي

الدولة العباسية

دراسة في سياستها الداخلية
من أوائل القرن الثاني الهجري حتى ظهور السلاجقة

أ.د. بدر عبد الرحمن محمد

أستاذ التاريخ الإسلامي

كلية الآداب - بنها

دار العالم العربي

DAR AL-AALAM AL-ARABI



٢ شارع امتداد رمسيس (١) - مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس: ٢٤٠٥١٤٩٨-٢٤٠٢٤٦١٢

e. mail: af_madkour@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: ٢٠١٢ م / ١٤٣٣ هـ

رقم الإيداع: ٢٠٨٨٦ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي: ٦-٠٥٥-٤٩٥-٩٧٧-٩٧٨

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين،
وبعد:

فهذا الكتاب يتناول الدولة العباسية: "دراسة في سياستها الداخلية من أوائل القرن
الثاني الهجري حتى ظهور السلاجقة"؛ يتجلى فيه جذور الدعوة العباسية وجهود
العباسيين لنقل الخلافة إليهم، معتمدين في ذلك على العناصر الفارسية في الكوفة
وخراسان.

وعلى الرغم مما قام به الموالى الفرس من جهد كبير في مساندة الدولة العباسية، فلم
يلبث الخلفاء العباسيون أن نكلوا بقيادتهم التي تمثلت في أبي سلمة الخلال وأبى مسلم
الخراساني، وكان ذلك في عهد أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور.

وظهرت مشكلة ولاية العهد أيام أبى جعفر المنصور؛ إذ عزَّ على أبى جعفر أن يؤول
ذلك الملك الواسع إلى ابن أخيه عيسى بن موسى، فمهد لخلع عيسى بن موسى وتعيين
ابنه المهدي ولياً لعهد، وسار المنصور في ذلك على ترغيب عيسى بن موسى في أن يخلع
نفسه من ولاية العهد طوعية، فلما لم يستجب اتجه إلى دور التهيب حتى أذعن عيسى بن
موسى في النهاية ونزل عن ولاية العهد للمهدي.

وظهر الدور الفارسي في الدولة العباسية أيام هارون الرشيد؛ حيث ظهرت أسرة
البرامكة التي استبدت بالأمور دون الخليفة، وسيطروا على مرافق الدولة ومواردها المالية
بحيث كان هارون الرشيد يطلب أقل القليل من المال، فلا يصل إليه، بينما تلقى الأموال
من موكب يحيى بن خالد البرمكي مما حدا بالخليفة إلى أن ينكبهم ويقضى على أسرهم.

ولم يلبث أن نشب الصراع بين الأمين وأخيه المأمون في محاولة من جانب الأمين للنزول عن ولاية العهد من قبل المأمون لابن الأمين، ولم يلبث أن تطور الصراع بين الأخوين على ولاية العهد إلى صراع بين العنصر العربي والعنصر الفارسي؛ إذ وقف الفضل بن الربيع إلى جوار الأمين، بينما وقف الفضل بن سهل إلى جوار المأمون، وانتهت الفتنة بقتل الأمين وتولية المأمون.

وما لبثت الثورات أن قامت في عهد المأمون، وأهمها ثورة الزط التي استمرت إلى أيام الخليفة المعتصم، الذي وجه عفيف بن عنبسة لحربهم سنة 219هـ/824-825م، فحاربهم تسعة أشهر حتى أرغمهم على طلب الأمان فأسرهم وحملهم في المراكب ودخل بهم بغداد إلى خاتنين ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة، وظلوا هناك إلى أن أسرهم الروم سنة 241هـ/855-856م.

وفي عهد الخليفة المعتصم أسقط العرب من ديوان العطاء، وهو ما يعنى اعتماد الخلفاء العباسيين في قوة الدولة العسكرية على العنصر غير العربي، الأمر الذي أدى إلى ظهور عنصر الأتراك الذين تفاقم خطرهم أيام المعتصم مما حدا به إلى اختيار حاضرة جديدة بدلاً من بغداد، فأسس مدينة سامرا وجعلها حاضرة خلافته الجديدة.

وازداد خطر الأتراك في عهد الواثق (227-232هـ/842-847م) ابن المعتصم الذي اقتدى بأبيه في الاعتماد على الأتراك، الذين كثر عددهم وشغلوا المناصب العالية في الدولة، فولى أشناس التركي السلطة وألبسه تاجاً مرصعاً بالجواهر.

وكان من أثر وقوف طاهر بن الحسين إلى جوار الخليفة المأمون أن ولاء خراسان فكان ذلك بداية ظهور الدولة الطاهرية، وأشرنا إلى سياسة طاهر بن الحسين في الحكم، ثم عرضنا لخلفاء طاهر بن الحسين، ومنهم ابنه عبد الله بن طاهر الذي ولاء المأمون مصر بعد أن انتصر على نصر بن شبث العقيلي، ثم سار بعد ذلك إلى خراسان حيث استمر يليها بعد وفاة المأمون.

بعد ذلك عرضنا لعلاقة عبد الله بن طاهر والمازيار بن قارن، ثم تناولنا ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر بعد وفاة أبيه، ثم أقول نجم الطاهريين.

وفي حديثنا عن الدولة الصفارية (254-290هـ/867-903م) أشرنا إلى يعقوب بن الليث الصفار وموقفه من الخلافة العباسية إلى أن توفي وخلفه أخوه عمرو بن الليث

مقدمة

الصفار الذى سار على سياسة مغايرة لسياسة أخيه يعقوب؛ إذ هادن الخلافة العباسية، غير أن الخلافة لم تنس لهذه الدولة وما حدث لها من حرج على يد يعقوب بن الليث الصفار الذى انتهز ثورة الزنج فى جنوب العراق وحاول إرغام الخلافة على الإذعان لسلطانها على سجستان، ولم تنس ذلك حتى لأخيه عمرو الذى هادنها وتمكنت من القضاء عليه بواسطة إسماعيل بن أحمد السامانى.

أما عن حركة الزنج وموقف الخلافة العباسية منها، فقد تناولنا جذور هذه الحركة مشيرين إلى حالة الخلافة العباسية من أيام الخليفة المتوكل إلى أيام المعتمد بن المتوكل الذى تولى بعد مقتل الخليفة المهتدى فى حرب سنة 256هـ/ يونية 870م، وأشرنا إلى نسب صاحب الزنج وبداية ظهوره فى البصرة، وطبيعة حركة الزنج وبرنامجها فى طورها الأول (255-261هـ/ 868-874م)، ثم بداية حركتهم فى عهد الخليفة المهتدى بالله (255-256هـ/ 868-869م) وبناء صاحب الزنج مدينة المختارة، واستنجد أهل البصرة بالخلافة، واحتلال الزنج الأبله وعبادان والهواز.

لقد حاول الزنج أن يوسعوا من تأثير حركتهم بالاتصال بالصفاريين فى سجستان، ورغم أن الصفاريين كانوا خارجين على سلطان الخلافة، فإنهم لم يستجيبوا لهم؛ لأنهم سُنَّةٌ وصاحب الزنج شيعى المذهب.

وظهر تأثير حركة الزنج على العلاقة بين الخلافة العباسية وأحمد بن طولون وإلى مصر والشام، إذ طلب الموفق أخو الخليفة المعتمد وولى عهده الأموال من ابن طولون لحرب الزنج، فلم يستجب إلا بما تسمح به أطماعه فى إقامة ملك وراثى لأسرته فى مصر والشام، فقامت الحرب بين الطرفين.

ولم تلبث حركة الزنج أن ضعفت بعد بناء الموفق لمدينة الموقية وتمكنه من إحكام الحصار حول صاحب الزنج وأتباعه، الذين لم يلبثوا أن تساقطوا واحداً بعد الآخر بعد الإغراءات التى منحتها الخلافة لمن استسلم لها من قادة الزنج، مما أدى إلى انصراف قادة صاحب الزنج عنه ومقتله سنة 270هـ/ 883م.

وختمنا البحث بالحديث عن ضعف سلطة الوزراء أواخر القرن الثالث الهجرى نتيجة ازدياد نفوذ الأتراك وضعف الخلافة؛ مما أدى إلى انتشار القوضى والرشوة والمحسوبية وبيع المناصب الحكومية.

وفي أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ظهر بنو بويه (334-447هـ) نتيجة استفحال نفوذ الأتراك وضعف الخلافة العباسية، كما ظهر الحمدانيون في منطقة الجزيرة منذ سنة 281هـ/894م واستمرت دولتهم في الموصل حتى سنة 498هـ. وفي خراسان وما وراء النهر ظهرت الدولة السامانية، التي كان من أثر ظهورها مد نفوذ العباسي إلى أواسط آسيا، غير أن تنافس أمراء السامانيين وتدخل الوزراء وقادة الجيش في شئون الحكم أدى إلى انقراض الدولة السامانية التي استمرت قرابة مائة وخمسة وأربعين عامًا (261-395هـ/874-1005م).

وقامت على أنقاض دولة السامانيين الدولة الغزنوية في بلاد المشرق الإسلامي، والتي مدت نفوذها إلى الولايات الشرقية منذ أيام سبكتكين إلى أن سقطت تحت ضربات السلاجقة في موقعة داندانقان سنة 431هـ/1040م. وانتهى بذلك عصرها الذهبي في المشرق الإسلامي حيث انسحب سلاطين الغزنويين إلى بلاد الهند واستمروا هناك إلى أن زالت دولتهم على يد شهاب الدين الغوري سنة 582هـ/1186م.

والله نسأل أن يوفقنا إلى إلقاء مزيد من الضوء على التاريخ والحضارة الإسلامية.
والله من وراء القصد.

أ.د/ بدر عبد الرحمن محمد

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية
من قيام ولتهم إلى نهاية القرن الثالث الهجري

جذور الدعوة العباسية وجهود العباسيين لنقل الخلافة إليهم:

لم يدع أحد من العباسيين لنفسه بالخلافة طيلة القرن الأول الهجري، بل اقتصر الأمر على شيعة علي بن أبي طالب⁽¹⁾، الذين رأوا أنهم أصحاب الحق الشرعي في الخلافة. وناهضوا الأمويين الذين اعتمدوا على القوة في سبيل توطيد نفوذهم وجعل الخلافة وراثية في أسرهم⁽²⁾.

أصبحت الأحوال السياسية في بداية القرن الثاني الهجري تنبئ بحدوث انقلاب في الدولة العربية فكثر أنصار الخوارج⁽³⁾ والشيعة⁽⁴⁾، وقوى حزباهما، بينما أخذ حزب بنى

-
- (1) يذهب بعض المؤرخين إلى أن العباسيين الأوائل لم يكن لهم طموح سياسي في صدر الإسلام، ويدلون على ذلك بأن العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وجد العباسيين كان يرشح على بن أبي طالب للخلافة ويقدمه على نفسه، ويزيدون في ذلك أن عبد الله بن العباس كان هو الآخر يؤيد على بن أبي طالب حتى إذا ما اغتيل أيضا انصاع ابن عباس للأمويين وبايعهم بالخلافة واعتزل السياسة وتفرغ للعلم. (حسين عطوان: الدعوة العباسية تاريخ وتطور، ص 481-482 بيروت، 1984م، محمد بركات البيلي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص 5، 1985-1986م).
- (2) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية، ص 171، دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة، 1393هـ/1973م.

(3) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ورفضوا قبولهم التحكيم في موقعة صفين، وغلبت عليهم تسمية الخوارج لأهم خرجوا من الكوفة صوب الأقاليم الشرقية، وكان الخوارج أول الأمر حزباً سياسياً لا يعدو بحثه مسألة الخلافة وما يتصل بها، وكانوا يقولون بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان في سنه الأولى، وعلى إلى أن حكم الحكيم، وقد خرجوا على تقاليد الخلافة فجعلوها حقاً لكل عربي حر، فلما انضم بعض المسلمين من غير العرب جعلوا حق الإمامة لكل مسلم يتصف بالصفات الحسنة وخالفوا بذلك نظرية الشيعة التي تحصر الخلافة في بيت النبي ﷺ، كما خالفوا أهل السنة القائلين بأن الخلافة في قریش. (حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج 1، ص 397، الطبعة التاسعة، سنة 1979م).

(4) بدأت هذه الفرقة في الظهور منذ مقتل عثمان بن عفان وعرفوا بذلك لمشايعتهم على بن أبي طالب وقدموه على سائر الصحابة لاعتقادهم بأحقية في الخلافة وأن أبا بكر وعمر وعثمان أخذوا حق =

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

أمية في الضعف وانقسم البيت المالك على نفسه انقسامًا عنيفًا، فقد وقعت الحرب بين الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125هـ/743م) يناصره العنصر المضري، وبين يزيد بن الوليد بن عبد الملك يناصره العنصر اليمني، وانتهى الأمر بقتل الوليد بن يزيد في جمادى الآخرة سنة 126هـ/مارس - إبريل 744م، مما أدى إلى عودة العرب إلى عصية الجاهلية الأولى وظهور الشحناء والبغضاء بينهم، ومن ثم لم يبقَ للأمويين سند قوى يساعدهم على تثبيت سلطانهم، هذا فضلًا عن تعذر اعتمادهم على غير العرب من المسلمين الذين كانوا إذ ذاك ساخطين على الحكم الأموي⁽¹⁾.

ولا شك أن فساد الأحوال في الدولة الأموية شجع العباسيين على التطلع إلى نيل الحكم، مع أنه ليس لهم حق شرعى فيه كالعلويين أو قوة كالأُمويين؛ إذ وجدوا في الوقت الذى وهن فيه الأمويون وأنهاك فيه العلويون أنفسهم بالثورات، أن الجو أصبح ملائمًا لنشر دعوتهم ورأوا أنه لا بد من التذرع ببعض الأسانيد الشرعية قبل أن يقدموا على العمل لنقل الخلافة إليهم، فأذاعوا بين الناس أنهم من سلالة العباس بن عبد المطلب عم النبی ﷺ، كما أذاعوا أن الخلافة تصير إلى العم إذا يكن هناك وارث ذكر. وهكذا نظروا إلى الخلافة كأنها تركة تركها النبي ﷺ وتطبق عليها أحكام الميراث⁽²⁾.

على أنه مما يجدر ذكره أن العباس بن عبد المطلب لم يكن له نفوذ كبير في الإسلام بدليل أنه بعد وفاة الرسول لم نسمع له ذكرًا مهمًا، وتشير بعض الروايات إلى اهتمامه فقط بتولية ابن أخيه على بن أبى طالب إذ قال له: "امدد يدك لنبايك"، وهذا يدل على أنه لم يكن له أى طموح في الخلافة⁽³⁾.

وتُوفي العباس في سنة 32هـ/652-653م في خلافة عثمان بن عفان وكان سنه ثمانين وثمانين سنة وقد أعقب أولادًا كثيرين نذكر منهم ابنه الثانى عبد الله بن العباس، وكان شخصية علمية فريدة معروفة لدى الأدباء والعلماء واللغويين؛ إذ كان يؤخذ عنه الحديث

= الإمامة المقدس من على، ولم تعترف الشيعة بحق بنى أمية في الخلافة حتى بعد أن نزل الحسن بن على بن أبى طالب عن الخلافة. (أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 268، الطبعة الثالثة، 1935م).

(1) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص 264، بيروت.

(2) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية، ص 172.

(3) أحمد مختار العبادى: في التاريخ العباسى والفاطمى، ص 18، دار النهضة العربية، بيروت.

وتفسير القرآن، ولم يكن عبد الله يطمع في الخلافة لإيوانه القوى بحق على بن أبي طالب فيها ولهذا انضم إليه وأيده وولاه على بن أبي طالب البصرة وأعياها. وبعد مقتل على ترك البصرة ورحل إلى الحجاز حيث أقام بالطائف مسالماً للأمويين إلى أن توفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة 68هـ/687-688م، ولقد أنجب عبد الله بن العباس ولداً أساء علياً لأنه ولد في نفس الليلة التي قُتل فيها الإمام على سنة 40هـ/661م.

وكان على بن عبد الله بن العباس شخصية غامضة غير واضحة كوضوح شخصية أبيه، ونعلم أن الأمويين استدعوه إلى الشام أيام الخليفة عبد الملك بن مروان وأقطعوه قرية في البلقاء بشرق الأردن اسمها الحميمة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة⁽¹⁾.

وعاش العباسيون في الحميمة منذ سنة 95هـ، وكان زعيمهم على بن عبد الله بن العباس يتطلع للزعامة السياسية بعد أن خلا المجال السياسي من العناصر العلوية القوية⁽²⁾؛ فأصبح على هذا رئيساً للعباسيين من سنة 100هـ إلى سنة 117هـ/718-735م، وهو منظم الدعوة والدعاة في العراق وخراسان⁽³⁾.

كذلك استطاع العباسيون أن يكسبوا ولاء الكيسانية⁽⁴⁾ (أنصار أبي هاشم) لهم فيقال

(1) ولعل اهتمام الأمويين بهذا المكان بالذات راجع إلى غرض سياسي أساسه الشك والتوجس في نوايا هؤلاء القوم فجعلوهم تحت إشرافهم ورقابتهم بالشام. (أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص19).

(2) توفي زين العابدين على بن الحسن سنة 94هـ ومات أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية سنة 98هـ. (على حبيبة: العباسيون في التاريخ، ص30، مكتبة الشباب، 1980م).

(3) المرجع السابق، ص30، حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص15، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(4) الكيسانية: من فرق الشيعة وهي إحدى عشرة فرقة، وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية، وقد تنازعت الكيسانية بعد قوهم بإمامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته، ومنهم من زعم أنه لم يمت وأنه حي في جبل رضوى، وإنما سموا كيسانية لأن المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي خرج وطالب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له "كيسان". انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج2، ص78، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص27-28، سامية توفيق عبد الله: الحياة السياسية في خراسان في القرنين الأول والثاني الهجريين، رسالة دكتوراه، آداب القاهرة.

إن أبا هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب - وكان فصيح اللسان حاضر الذهن، بحيث خافه سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م) فندس له من سمه⁽¹⁾، وهو في طريقه إلى إقليم الشراة بين الشام والحجاز - لما أحس بدنو أجله عرج على الحميمة حيث كان يقيم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأفضى إليه بأسرار الدعوة الهاشمية وأمده بكتب يسلمها إلى داعي دعائه في الكوفة ومن يليه من الدعاة ونزل له عن حقه في الإمامة وأوصى⁽²⁾ بأن تكون لابنه إبراهيم بن محمد الملقب بالإمام من بعده⁽³⁾، وبهذا تحول حق الإمامة من بيت علي إلى بيت العباس بمقتضى وصية أبي هاشم.

ولكن ما الذي حدا بأبي هاشم أن يحول الخلافة إلى بني عمه ويترك بني أبيه من العلويين على كثرتهم وعلو شرفهم؟

وللإجابة عن ذلك نقول إنه ربما كان ذلك راجعاً إلى الاختلاف بين مبادئ الكيسانية شيعة أبي هاشم⁽⁴⁾ وبين الإمامية شيعة أولاد فاطمة. على أن هناك مسألة جديرة بالملاحظة، وهي أن نزول أبي هاشم بن محمد بن الحنفية لا يمكن أن يعتبر نزولاً من العلويين جميعاً لأن فريقاً كبيراً منهم ظل متمسكاً بعقائد الشيعة الإمامية، بدليل قيامهم في وجه العباسيين بعد قيام دولتهم⁽⁵⁾.

ابتدأت الدعوة العباسية على يد محمد بن عبد الله بن العباس وكان أرشد القوم رأياً وأرجحهم عقلاً، ورأى أن نقل السلطان من البيت الأموي إلى البيت العباسي لا بد أن يسبقه إعداد أفكار الأمة لهذا الانتقال الذي يجب أن يتم بتؤدة وأناة وحزم في ذات

(1) بلبن مسموم، انظر: تاريخ يعقوبى، ج3، ص40، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص195، بيروت.
(2) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص195، ويذكر يعقوبى، (ج3، ص42، طبعة النجف) أن أبا هاشم أوصى لمحمد بن علي فقال له: "... واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه الذى أكبر منه".

(3) المسعودى: التنبيه والإشراف، ج8، ص238، طبعة دي غوييه، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص159.
(4) سمي بابن الحنفية لأن أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفى، كانت من عرب بني حنيفة، وهم فرع من بكر بن وائل العدنانية، وكانت منازل بني حنيفة في اليمامة. أحمد مختار العبادى: في التاريخ العباسى والفاطمى، ص19، هامش (1).

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص21.

الوقت، فعهد إلى شيعته أن يؤلفوا منهم دعاة يدعون الناس إلى ولاية أهل البيت، وكان يقول: "لنا ثلاثة أوقات: موت يزيد بن معاوية، ورأس المائة، وفتق بإفريقية فعند ذلك يدعوا لنا دعاة ثم يقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب"، فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وتعصب البربر، بعث محمد الإمام رجلاً إلى خراسان وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ولا يسمى أحداً⁽¹⁾، ورأوا أن أحسن منطقة يثبون فيها الدعوة الكوفة وخراسان. أما الكوفة فهي مهد التشيع لآل البيت من قديم⁽²⁾ فيمكن أن يأووا إليها ويجعلوها نقطة مواصلاتهم، وأما خراسان فسهولة الدعوة فيها مبنية على أمرين: الأول أن فكرة التشيع يفهمها الخراساني من المسلمين بسهولة، لأن مؤدها نقل الخلافة إلى بيت النبي ٢. وذلك قريب مما كان عندهم من الملك الذي يتوارثه أهل بيته ولا يجوز نقله إلى غير بيت الملك إلا إن كان عن اختلاس. الأمر الثاني: أن البلاد الفارسية كانت ذات تاريخ وملك قديمين، ولذلك فائدة كبيرة، فقد تآقت نفوس الموالى من الفرس إلى التخلص من حكم الأمويين لما ارتكبهوا من وسائل العنف في قمع ثورات العلويين ومالوا إلى نصره بنى هاشم، فقد اعتقد هؤلاء الموالى أن اعتناقهم الإسلام لم يسو بينهم وبين العرب. ولا غرو فإن المسلمين من غير العرب قد ألقوا بعد اعتناقهم الإسلام ببعض القبائل العربية ليكونوا موالى القبائل، ونظر العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب إلى هؤلاء الموالى نظرة الاحترار لامتثالهم طبقات العمال الذين نشأ منهم الموالى، هذا فضلاً عن أن العنصر العربى كان بينهم هو صاحب الكلمة العليا والنفوذ السائد ولا يتولى من ليس منهم شيئاً من الولايات العامة، فكان أهل فارس مستعدين لأن يقوموا بتغيير الدولة الحاضرة، وإخراج الخلافة إلى الدولة المستقبلية كي يكون لهم فيها حظ أحسن من حظهم في دولة بنى أمية⁽³⁾.

(1) البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف، ج3، ص28. الذهبى: مخطوط سير أعلام النبلاء، ج5، ص42. أما يزيد بن أبى مسلم الثقفى فإنه توفى سنة 102هـ وكان قد تقلد ديوان الرسائل للحجاج. انظر. ابن الأبار: أعتاب الكتاب، ص57، تحقيق صالح الأشقر، طبع مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م.

(2) يذكر المقدسى ما ورد في خطبة من إحدى خطب محمد بن على العباسى قوله: "أما الكوفة وسواها فشيعة علي". (أحسن التقاسيم، ص293-294).

(3) بدر عبد الرحمن: الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية، ص10-11.

بدأت الدعوة السرية في أوائل القرن الثاني للهجرة⁽¹⁾ من الحميمة التي اتخذها العباسيون مركزاً لنشر دعوتهم، وذلك في عهد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/171-720م)⁽²⁾، وأظهر الدعاة العباسيون حماسة شديدة لنشر دعوتهم في الولايات الإسلامية فكانوا يجوبون بلاد خراسان لبثها وظاهر أمرهم التجارة أو الحج⁽³⁾. كما أخذوا يصورون استبداد الأمويين بأسوأ الصور، ويتهمونهم بأنهم لا يزالون يظنون الكفر رغم ادعائهم الإسلام⁽⁴⁾، كما وجهوا الطعن إلى ولاية بنى أمية وأسموهم ولاية الجور، ورفعوا شعار الإصلاح⁽⁵⁾ والدعوة إلى الحق والعدل⁽⁶⁾.

الدعاة والتقية:

احتل أئمة الدعوة العباسية قمة التنظيم السري، وكان يساعدهم طائفة من الدعاة، هم وحدهم الذين يعرفون سر إمام الوقت ويحتفظون بهذا السر لأنفسهم، وكان الدعاة في الحقيقة جميعهم من طراز واحد؛ قدرات عسكرية خلاقة وإخلاص للدعوة وفناء فيها، وقدرة بارعة على الدبلوماسية والدهاء ومداورة الأحوال واجتذاب الأنصار، ومنطق في المخاطبة فيه أدب وبلاغة وفن ومراعاة مقتضى ذلك⁽⁷⁾.

(1) حسب وصية أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي بأن يبدأ بث الدعوة عند تمام المائة سنة للهجرة. (المسعودي: التنبيه والإشراف، ج8، ص238، طبعة دي غويه، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص21).

(2) الطبري: الأمم والملوك، ج6، ص562، حوادث سنة 100هـ بيروت.

(3) المرجع السابق، ج6، ص616-617، بيرت. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص182، بيرت.

(4) فان فلوتن: السيادة العربية، ص94-95، القاهرة 1934م.

(5) عرف العباسيون كيف يغرون الموالى على الانضمام إليهم، فأخذوا من حق بنى هاشم الشرعى في الخلافة أساساً سياسياً ودعوا لإرجاع الحق لأهله دون الجهر باسم المدعو له ونادوا بتحسين أوضاع الموالى ومساواتهم بالعرب وإشراكهم في الأمر متخذين من ذلك برنامجهم الاجتماعى ووعدوا بالعدل واتخاذ الكتب والسنة دستوراً يستهدى به إمامها. عبد العزيز الدورى: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص88. على الخربوطى: الدولة العربية الإسلامية ص294.

(6) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى في العصر العباسى ص47.

(7) المرجع السابق. ص15، ويذكر أن "غلب الدعاة تعمقوا في العلوم الإسلامية وبرعوا في الحديث أو الفقه أو اللغة وتولوا التعليم وأخذ الناس عنهم.

سياسة الخلفاء، العباسيين الداخلية

لم يعمل الدعاة على الدعوة لشخص معين، فقد قال الإمام محمد بن علي لكتابه ومتولى أمر الدعوة في الكوفة بكير بن ماهان: "لكن دعوتكم وما تلقى به العامة أن تدعوهم إلى الرضا من آل محمد⁽¹⁾، وتذكر جور بني أمية وأن آل محمد أولى بالأمر منهم⁽²⁾، ومن هنا صاروا يذيعون بين الناس أنه لا خلاص لهم إلا إذا ولي أمرهم آل البيت⁽³⁾ ومن ثم نجحت جهودهم، وقد استطاعوا أن يجذبوا إلى حقوقهم الكثير من ذوى الرأي، نخص منهم سليمان بن كثير الخزاعي، ومالك بن الهيثم، وطلحة بن زريق، وعمر بن أعين، وأخاه عيسى، وقحطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن كعب، وغيرهم ممن كان لانضمامهم إلى الدعوة العباسية أثر كبير في قيام الدولة العباسية⁽⁴⁾.

لم تكن عين ولاء بني أمية في خراسان غافلة عن هؤلاء الدعاة⁽⁵⁾، فقد وجه ميسرة العبدى اثنين من الدعاة هما أبا عكرمة وحيان العطار من العراق إلى خراسان في عام 102هـ وجاء رجل من بني تميم إلى سعيد خدينة وإلى خراسان من قبل يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م) فوشى بهم عنده فاستدعاهم سعيد قاتلاً لهم: جئتم دعاة؟ فنوا ذلك وادعوا أن شغلهم التجارة، فأخلى سبيلهم بعد أن ضمنهم قوم من ربيعة⁽⁶⁾.

(1) هددت الدعوة العباسية جهود العلويين وبخاصة في خراسان والتي كان يتزعمها "غالب" وهو داع علوي منطوف، فلما وصلت أخبار غالب إلى مسامع إبراهيم الإمام بعث إلى حراسان سنة 106هـ/724م بزياد أبي محمد مولى بني حمدان، وقامت بين الاثنين مناظرة عدائية هذا ينتصر لبيت العباس وذلك لبيت علي نتج عنها أن أصبحت الدعوة بعد ذلك تنص على "الرضا من آل محمد" وبذلك وجد العباسيون كما يقول نيكلسون في هذه اللفظة المهمة عبارة يمكن تطبيقها على أبناء علي وأبناء العباس.

Literary History of the Arabs. P. 258.

(2) عبد العزيز الدوري: ضوء جديد على الدعوة العباسية ص 75، مجلة كلية الآداب ببغداد العدد الثاني 1957م.

(3) فان فلوتن: السيادة العربية ص 95.

(4) الطبري: ج 6 ص 562، ابن الأثير: ج 4 ص 195.

(5) يذكر اليعقوبي: تاريخه ج 3 ص 52 أن "محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بعث ميسرة أبا رباح إلى العراق الكوفة ومحمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج إلى خراسان وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله عامل عمر بن عبد العزيز فلقوا من لقوا وانصرفوا وقد غرموا غرساً" انظر الطبري ج 6 ص 562 المقدسي: البدء والتاريخ ج 6 ص 59، وقد تولى الجراح خراسان سنة 99هـ وخرج منها أواخر رمضان سنة 100هـ.

(6) الدينوري: الأخبار الطوال ص 333 مطبعة لثني ببغداد، الطبري: ج 6 ص 616-617 بيروت.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

إلى جانب ذلك تعرض بعض هؤلاء الدعاة لولاة الأمويين عند اكتشاف أمرهم، ففي ولاية أسد بن عبد الله القسري، قبض على بعض الدعاة الذين وجههم بكير بن ماهان إلى خراسان على أثر وشاية رجل من كندة إلى أسد بخبرهم. فقطع أسد أيدي من ظفر منهم وأرجلهم⁽¹⁾، وأخبر من نجا بكير بن ماهان، فلما أبلغ بكير ذلك إلى الإمام محمد بن علي أرسل إليه قائلاً: "الحمد لله الذي صدق مقالكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتل ستقتل"⁽²⁾.

وفي ولاية الجنيد بن عبد الرحمن سار من دعاة بني العباس جماعة إلى خراسان عام 113هـ فأخذ الجنيد رجلاً منهم فقتله وقال: "من أصبت منهم فدمه هدر" لكن الدعاة على الرغم من ذلك لم يتراجعوا أو يتهاونوا؛ فقد كانوا يؤمنون بصحة دعوتهم ويقتنعون كل الاقتناع بأن الحق في جانبهم⁽³⁾.

استعان بعض الدعاة بالعصبية القبيلة للتخلص من إيذاء ولادة بني أمية فعندما قبض على سليمان بن كثير وفريق من الدعاة العباسيين في ولاية أسد بن عبد الله القسري الثانية قال سليمان بن كثير لأسد: "إنا أناس من قومك (اليمانية) وإن هؤلاء المضرة إنما رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم... فأطلق أسد بن عبد الله من كان منهم من خزاعة وبكر، وعاقب من كان منهم من تميم"⁽⁴⁾.

أبو مسلم الخراساني:

وفي سنة 125هـ/742-743م انضم إلى محمد بن علي العباسي، عبد الرحمن بن مسلم المكنى بأبي مسلم الخراساني، ولقد اختلف في أصله فقيل إنه حر من ولد بزرجهر (وزير كسرى آتوشيروان) وإنه ولد بأصفهان ونشأ في الكوفة وإنه كان يسمى إبراهيم بن عثمان ويكنى أبا إسحاق، وقيل إنه عبد من قبيلة بني عجل، وإنه كان في شبابه سراجاً (أي

(1) الطبري: ج7 ص40 حوادث سنة 107هـ.

(2) ابن الأثير: ج4 ص197 بيروت.

(3) الطبري: ج7 ص88 بيروت.

(4) ابن الأثير: ج4 ص221-222.

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية

يعمل في صناعة السروج)، أما هو فإنه لما قويت شوكته ادعى أنه ابن سليط بن عبد الله بن العباس⁽¹⁾.

وقد تلقى أبي مسلم أصول الدعوة عن بكر بن ماهان⁽²⁾ داعي العباسيين بالكوفة، وفي مكة وكّل محمد بن علي بن عبد الله زعيم العباسيين أمر الدعوة إلى أبي مسلم؛ لما أدركه عنده من الذكاء والشجاعة، وأوصى أصحاب أبي مسلم بمعاونته ومساندته عند الحاجة، وكان أهالي خراسان في حاجة إلى رجل مثله كي يحققوا غرضهم، بعد ما ساد الدولة الأموية من اضطراب ووقوع الخلاف والشقاق بين عرب خراسان⁽³⁾.

لما انتقلت رئاسة الدعوة بعد وفاة محمد بن علي العباسي⁽⁴⁾ إلى ابنه إبراهيم المنقّب بالإمام⁽⁵⁾ أرسل جماعة الدعاة إلى خراسان، وكتب مشايخها ودعا فيها فأجابوه ودعوا إليه سرّاً⁽⁶⁾، إلا أن إبراهيم الإمام اتخذ خطوة حاسمة لكي يقبض على زمام الأمور في خراسان قبضاً تاماً، وذلك بأن وجه أبا مسلم إلى خراسان⁽⁷⁾ بعد أن زوده بنصيحة قال فيها: "يا أبا عبد الرحمن، إنك رجل منّا أهل البيت، فاحفظ وصيتي، وانظر هذا الحى من اليمن

(1) انظر اليقوي: تاريخه ج3 ص327، ابن كثير: البداية والنهاية ج10 ص67 مكتبة المعارف بيروت 1978م، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج2 ص324 - ص330، ابن خلدون: العبر ج3 ص113، ابن طباطبا: الفخرى: ص139 - ص140، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج2 ص15-16.

(2) كان بكر بن ماهان مع الجنيد بن عبد الرحمن أثناء ولايته للسند ترجماً له فلما عزل الجنيد قدم بكر بن ماهان الكوفة عام 105هـ ومعه أربع لبنات (سبايك) من فصّة ولبة (سبيكة) من ذهب، فلقى أبا عكرمة الصادق ومبرة ومحمد بن خنيس وغيرهم من الدعاة فذكروا له أمر الدعوة لعباسية فقبل الدخول فيها وأنفق ما معه عليهم وتقابل مع الإمام محمد بن علي، ولما توفي ميسرة اختاره الإمام محمد بن علي ليكون القائم على أمر الدعوة بالعراق، ابن كثير: ج4 ص192-193 بيروت.

(3) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص175.

(4) كان ذلك سنة 118هـ الطبري: ج7 ص111 بيروت.

(5) ابن الأثير: ج4 ص226، فروق عمر: مقالة (الألقاب الإسلامية) ص397 مجلة كلية الآداب العدد الثالث عشر 1970م.

(6) الطبري: ج7 ص329، ابن طباطبا: الفخرى ص144.

(7) ابن الأثير: ج4 ص395 بيروت.

فأكرمهم وجلَّ بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهم في أمرهم، وانظر هذا الحى من مضر فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت فيه ومن كان في أمره شبهة، ومن وقع في نفسك منه شيء، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً، فأياها غلام بلغ خمسة أشبار اتهمه فاقتله، ولا تحالف هذا الشيخ (يعنى سليمان بن كثير)⁽¹⁾. وكان من أثر هذه الوصية أن عمد بعض المؤرخين إلى اتخاذها دليلاً على اعتماد الدعوة العباسية على العنصر الفارسي وعدم تمسكها بالعنصر العربي، وهى لا تقف أمام النقد الموضوعى وأول ما يلفت النظر أن هذه الوصية غير متفق عليها من قبل المؤرخين ولذلك لا يمكن قبولها بدون تمحيص لرواياتها⁽²⁾. فمن جهة النقد الخارجى فالرواية يذكرها الطبري⁽³⁾ بدون إسناد، ويذكرها ابن قتيبة⁽⁴⁾ ولا ذكر لها عند البلاذرى ولا فى اليعقوبى وذكرها المقرئى⁽⁵⁾ وعلق عليها متعجباً مما جاء بصدد قتل العرب، وانفرد الدينورى⁽⁶⁾ برواية مختلفة الوثيقة قال فيها إن أبا العباس أوصى أبا مسلم ألا يدع بخراسان عربياً لا يدخل فى أمره إلا ضرب عنقه، كما وردت بهذا المعنى فى كتاب العيون والحدائق⁽⁷⁾.

أما النقد الداخلى للوصية فإن متنها مفصول فى رواية الطبرى إلى قسمين تذكر بينهما حوادث الثورة، وأنها تأتى تحت عنوان «سبب قتل مروان بن محمد لإبراهيم الإمام»، مما تدل على أن كلها أو بعضها دعاية أموية ضد العباسيين وضعت لتبرير قتل مروان لإبراهيم الإمام، ثم إن متن الرواية يظهر تدققات كثيرة، فكيف يصح بأن يأمر إبراهيم الإمام بقتل كل العرب وهو يدرك أهميتهم ويوصيه فى بداية الرواية بتعهد البنائين

(1) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج2 ص139 - 140. البري: ج7 ص344 بيروت، الأزدي: تاريخ

الموصل ج2 ص65، المقرئى: النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم ص51.

(2) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص23.

(3) الأهم والملوك ج7 ص344.

(4) الإمامة والسياسة ج2 ص139 - 140.

(5) النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم ص51.

(6) الأخبار الطوال ص359.

(7) مجهول، ج3 ص184.

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية

والربيعيين منهم، ثم إن سياسة أبي مسلم في خراسان لا تتفق أبداً مع الوصية المزعومة، وذلك لأنه تقرب إلى البانيين والربيعيين حتى إنه قبل الكثير من المضرين الذين وثق بهم في صفوف الأتباع⁽¹⁾.

إلا أننا نرى أن إبراهيم الإمام في وصيته إلى أبي مسلم الخراساني لم يكن غرضه القضاء على العرب أو من يتكلم العربية، بل ربما قصد من ذلك إحكام أبي مسلم قبضته على أمور الدعوة في خراسان، ويحذره من العناصر العربية التي تعيش في هذه البلاد وعندها ميل إلى الثورة⁽²⁾، خاصة وأنهم كانوا غير متساوين في الحقوق مع الفرس أهل تلك البلاد.

وعلى أية حال فقد صار أبي مسلم في عام 128هـ ممثلاً للعباسيين في خراسان ورئيساً للدعوة، وبذلك أعطى العباسيون ثقتهم لأحد الموالى ليكون على رأس الهاشمية بخراسان، وجعلوا له سلطنة تامة على النقباء والدعاة⁽³⁾.

وكان انتشار العصية القبلية بين عرب خراسان عاملاً من عوامل ضعفهم مما شجع الموالى على الثورة على الأمويين، فقد أثار نصر بن سيار والى خراسان حقد البانيين لأنه كان مضرئاً، وظل أربع سنين لا يستعمل في خراسان إلا مضرئاً⁽⁴⁾، كما ساءت العلاقات بين القبائل العربية بخراسان.

وبعد أن نزل أبي مسلم خراسان أخذ في دراسة أحوال أهلها والمباعدة بين أحزابهم، ثم جهر بالدعوة لآل البيت سنة 129هـ فنزل بقرية من ضواحي مرو يقال لها «سفيذنج»، وهناك بث دعاته بين الناس فأقبل إليه كثير من الموالى⁽⁵⁾، وأصابته دعوته جميع أراضي خراسان، وقد أكد ذلك الديوري⁽⁶⁾ بقوله: "وكان الوقت الذي واعد أبي مسلم

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص 23-24.

(2) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص 176.

(3) بدر عبد الرحمن محمد: الدولة العباسية ص 16-17.

(4) الطبري: ج7 ص 158، ابن الأثير: ج4 ص 239 بيروت.

(5) يذكر كارل بروكلمان: أن الموالى في خراسان سارعوا إلى الانضمام تحت حركة أبي مسلم منذ البداية.

تاريخ الشعوب الإسلامية ج1 ص 200-202.

(6) الأخبار الطوال ص 360.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

مستجيبه فخرجوا جميعاً في يوم واحد من كور خراسان حتى وافوه"، ويشير ابن الأثير⁽¹⁾ إلى أن أبا مسلم أتاه في ليلة واحدة أهل ستين قرية لمبايعته، وكان أكثر أتباع أبي مسلم من الزراع والأعاجم من الموالي في قرى مرو⁽²⁾، فكان أهالي خراسان من السكان الأصليين يتسابقون إلى تأييد أبي مسلم ونصرته لأنه كان منهم، ولأن غايته تتفق مع أغراضهم، وتوافق هوى في نفوسهم، وفي هذا يقول الدينوري⁽³⁾: "وانجفل الناس على أبي مسلم من هرة ويوشنج ومرو والروز والطاقان ومرو ونسا وأبيورد وطوس ونيسابور وسرخس وبلخ والصغانيان والطخارستان وختلان وكش ونسف، وكانوا زهاء مائة ألف رجل".

تحلى الدور الكبير الذى قام به أبو مسلم الخراسانى لنجاح الدعوة العباسية في جهوده الصادقة التى بذلها في خراسان، فقد حارب الولاى الأموى بمن معه من شيعته من الموالي ومن أتاه من قبائل الهلالية، ولا سيما قبيلة خزاعة⁽⁴⁾ التى كانت أول من وافاه إذ كان معظم الدعاة منها⁽⁵⁾، ونزل قصر الإمارة بمرو في أوائل عام 130هـ⁽⁶⁾ واضطرو نصر بن سيار إلى الرحيل عنها وبذلك خلا الجو لأبي مسلم في مرو، وأمر بأخذ البيعة من الجند الهاشمية وكانت كما يلي⁽⁷⁾ "أبايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، والطاعة للرضا من آل بيت رسول الله ﷺ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعناق والمضى إلى بيت الله، وعلى ألا تسألوا رزقاً، ولا طمعاً حتى يبدأ بكم ومنكم وإن كان عدو أحدكم تحت قدميه فلا تهبجوه إلا بأمر ولا تنكم".

وتوالت مدن خراسان الكبيرة في السقوط في يد أبي مسلم الواحدة بعد الأخرى مثل

(1) الكامل ج4 ص304.

(2) فلهيرن: تاريخ الدولة العربية ص503.

(3) الأخبار الطوال ص361، ص362.

(4) ابن الأثير: ج4 ص304 بيروت.

(5) الطبرى: ج7 ص377-378.

(6) المرجع السابق، ج7 ص379.

Guest (BR): Action of Abu Muslim. P.55. the journal of the Royal Asiatic society. 1932.

(7) الطبرى: ج7 ص380.

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية

سرخس وطوس ونيسابور والري⁽¹⁾. وما لبث نصر بن سيار أن توفي بجوار الري في عام 131هـ⁽²⁾، فغلب على خراسان كلها بعد أن تخلص من شيوخ القبائل الذين نازعوه السيادة في خراسان، وأتبع هذا العمل بإرسال قواده إلى بلاد فارس واستولى على كثير من مدنها⁽³⁾.

ومن الجدير بالذكر أن أبا مسلم لم يذكر اسم الإمام الذي يدعو إليه حتى ذلك الوقت صراحة؛ خوفاً من أن تتصدع الجبهة الهاشمية إلى عباسي وعلوي، أو خشية أن يتعرض الإمام للقتل على يد الأمويين، ولكن ذلك لم يمنع مروان بن محمد الخليفة الأموي من متابعة الحركة والوقوف على الحقيقة، فلم يكن الأمويون طوال هذه المدة على علم بمن يدعو إليه العباسيون حتى وقع في يد الخليفة الأموي كتاب إبراهيم الإمام الذي بعث به إلى أبي مسلم يأمره فيه بقتل كل من يتكلم العربية بخراسان⁽⁴⁾، فأرسل مروان بن محمد إلى واليه بدمشق يأمره بأن يطلب إلى عامل البلقاء القبض على إبراهيم حيث يقيم بالحميمة⁽⁵⁾، ولما علم إبراهيم بما سيؤول إليه مصيره؛ أوصى إلى أخيه أبي العباس بالإمارة وأمر أهله بالرحيل إلى الكوفة⁽⁶⁾، وأن يكونوا في طاعته، وانتهت حياة إبراهيم وتوفي في سجن بني أمية بخران⁽⁷⁾.

أبو سلمة الخلال:

لما قتل مروان بن محمد إبراهيم الإمام خاف بنو العباس، فساروا يريدون الكوفة تنفيذاً

(1) ابن الأثير: ج4 ص 309 - 310 بيروت.

(2) المسعودي: مروج الذهب ج3 ص 285، ابن الأثير: ج4 ص 317 بيروت.

(3) فلهوون: تاريخ الدولة العربية ص 507.

(4) الطبري: ج7 ص 329.

Noldeka: Sketches from Eastern History.p.111.

(5) الكري: ج7 ص 422 - 423، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ج1 ص 221، اس النوردي: تاريخه ص 275.

(6) ابن الأثير: ج4 ص 232، الفخري: ص 146.

(7) المسعودي: التنبيه والإشراف ص 292، ابن الساعي: مختصر أخبار الخلفاء ص 4.

Browne: Aliterary History of Persia Vol, 1, p.292

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

لوصيته⁽¹⁾، وهناك التقوا بأبي سلمة الخلال⁽²⁾ أحد دعاة العباسيين وكان أيضًا من الموالي، وكان إبراهيم الإمام قد اتخذ داعمًا في العراق بعد موت بكر بن مهران⁽³⁾، وتعد من أهم دعاة آل العباس؛ إذ كان من مياسير أهل الكوفة⁽⁴⁾، وكان صهرًا لبكر بن مهران، وأنفق من ماله على الدعوة لآل البيت⁽⁵⁾ حتى استحق التلقب بوزير آل محمد⁽⁶⁾، وكان كثير التنقل بين الحميمية والكوفة وخراسان، وبفضل نشاطه سقطت الكوفة أهم مدن العراق في أيدي العباسيين.

أنزل أبو سلمة الخلال بنى العباس في إحدى دور الكوفة، ثم ما لبث أن أهمل شأنهم حتى إنه أبى أن يدفع أجرة الممالئين الذين تولوا نقلهم ونقل أمتعتهم وأخفى أمرهم⁽⁷⁾

(1) أودع إبراهيم الإمام وصيته هذه قبل مقتله عند سابق الخوارزمي مولاه. المسعودي: مروج الذهب ج3 ص267، حسن فاضل زعين العاني: سياسة المنصور أبي جعفر ص68.

(2) هو أبو سلمة حفص بن سليمان مولى بني حارث بن كعب ويعرف بأبي سلمة الخلال وقيل في نسبه بالخلال ثلاثة أوجه: أحدها: أن منزله بالكوفة كان قريبًا من محلة الخلائين وكان يجالسهم فنسب إليهم. وثانيها: أنه كان له حوايت يعمل فيها الحل فنسب على ذلك. وثالثها: نسبة إلى خلل السيف وهي أغمارها. انظر الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص83 - ص84، ابن طباطبا: الفخرى ص153 ص154.

(3) لما حضرت بكر بن مهران الوفاة كتب إلى إبراهيم الإمام يخبره أنه استخلف حفص بن سليمان فكتب إلى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خراسان أنه قد أسند أمرهم إليه ومضى أبو سلمة إلى خراسان فقبلوا أمره ودفعوا إليه خمس أموالهم ونفقات الشيعة. الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص84، الروحى: بلغة الظرفاء ص26.

(4) عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول ج1 ص37.

(5) الزركلي: الأعلام ج2 ص291.

(6) المسعودي: التنبيه والإشراف ص293.

(7) لم يأن أبو سلمة لبنى العباس بدخول الكوفة أول الأمر، وأمر بأن يقيموا بعصر معاتل وهو على بعد مرحلتين من الكوفة ثم سمح لهم بدخول الكوفة وحبسهم في دار الوليد بن مسعود مولى بنى هاشم في بنى أود فكان إذا بعث أبو العباس يسأله عن خبرهم عنده يقول: لم يأت طهوركم بعد، وخباهم أربعين ليلة ولم يصرح لأحد من النقباء بمكانهم. الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص85، البلاذري: مخطوط أنساب الأشراف ج3 ص134، الطبري: ج7 ص423 - ص424، ص430 - ص431.

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية

وأمر بمراقبتهم، وأخذ يعمل سرًا على تحويل الخلافة إلى أحد العلويين⁽¹⁾.

ويدفعنا ذلك إلى أن نتساءل عن الدوافع التي دفعت بالخلال للقيام بهذا العمل، وقد اختلف المؤرخون في تفسيرها، فمنهم من يقول بأنه أراد أن يجعل الأمر شورى بين بني هاشم من عباسيين وعلويين، ومنهم من يرى أنه خاف انتفاض الأمر وفساده بعد وفاة إبراهيم الإمام وتخوفه على مصير الدعوة وفشلها؛ إلا أننا نعتقد بأن الخلال لم يكن واثقًا من أبي العباس؛ حيث إن علاقته به لم تكن وثيقة كعلاقته بإبراهيم، وقد أدرك الخلال أن تسلم أبي العباس للسلطة ربما سيحد من نفوذه الذي أخذ يتعظم، خاصة بعد نجاح الثورة وسيطرة الخراسانية على الكوفة، ولذلك حاول الخلال أن يجد شخصية أخرى هاشمية غير عباسية ينصبها خليفة، ويحتفظ هو بنفوذه السياسي الكبير؛ ذلك لأنه سيكون صاحب الفضل على الخليفة الجديد، وسيلعب دور صانع الملوك في الدولة الجديدة⁽²⁾.

استأثر أبو سلمة بالسلطة وعين القواد دون الرجوع إلى أبي العباس⁽³⁾، فعين أبا الجهم على ديوان الجند، وأبا غانم عبد الحميد بن ربيع على الشرط، وعبد الله بن سام على الحرس، وعمرويه الزيات على حجابته، والمغيرة بن زيان على الخراج⁽⁴⁾، وفرق عماله على السهل والجليل، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وإليه⁽⁵⁾.

غير أن زعماء العباسيين لم يلبثوا أن أحبطوا مؤامرة الخلال⁽⁶⁾، فذهبوا إلى الكوفة

(1) الجهمياري: ص 84-87 ويشير المسعودي إلى أن أبا سلمة حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبي طالب. مروج الذهب ج3 ص268.

(2) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص34.

(3) خليفة بن خياط: تاريخه ج2 ص424، الدينوري: الأخبار الطوال ص251. البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوط) ج3 ص134.

(4) مجهول: نبذة من كتاب التاريخ ص101.

(5) الجهمياري: الوزراء والكتاب ص85-86.

(6) جاءت محاولة الخلال بالفشل لشك العلويين وحذرهم منهم.

وآلًا: لترد الشخصيات العلوية (التي أرسل إليها بدعواها بالخلافة وهم الإمام جعفر الصادق وعبد الله بن الحسن المحسن الحسن وعمر بن علي بن الحسن) بالمغفرة التي تتطلبها السياسة.

ثانيًا: لقوة الدعاة العباسيين في الكوفة.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

وقابلوا أبا العباس عبدالله وبايعوه بالخلافة، واضطر أبو سلمة أن يسلم هو أيضًا إلى أبي العباس بالخلافة⁽¹⁾، ويشير الجهشاري⁽²⁾ إلى ذلك بقوله: "إن أبا سلمة قبل يد أبي العباس وقدميه وبدأ في الاعتذار، فقال له أبو العباس: "عذرناك أبا سلمة غير معتد، وحقق معظّم وسابقتك في دولتنا مشكورة وزلتك مغفورة، انصرف إلى معسكر لا يدخله خيل..."⁽³⁾.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة للهجرة خرج أبو العباس على أثر بيعته إلى مسجد الكوفة؛ حيث خطب خطبة أشار فيها إلى أن الخلافة حق شرعي لأسرته⁽⁴⁾، فقال: "الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكريمة، وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والمناصرين له... وخصنا برحم من الإسلام رسول الله وقرابته، وأنشأنا من أبائه وأبنائه وأتبتنا من شجرتهم... ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابنا فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاعُ لِوَجْهِكَ الْكَامِلِ بِضَرَّةِ لَيْلٍ وَسُحُورٍ وَأُفْحَاهٍ وَأَدْبَارِ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾" (5).

= ثالثاً: اكتشاف الدعاة مكان أبي العباس وإعلانهم بيعته، فاروق عمر: العباسيون الأوائل جداً ص 33-35.

(1) اتخذ نقيب الدعوة إجراءات أمن مشددة ضد أبي سلمة فأوصى أبو الجهم أبا حيد - محمد بن إبراهيم الحميري قائلا: "إن أتاكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحده فإن دخل وباع فسيهله ذلك وإلا فاضربوا عنقه، فلما قدم أبو سلمة أدخلوه وحده فباع لأبي العباس" فقال له أبو حيد: "على رغم أنفك يا ابن الخلال" فقال له أبو العباس: "مه وجعل أبو سلمة يقول: "إنما أردت إظهار أمر أمير المؤمنين بعد أن أحكم له الأمور". (البلاذري: أنساب الأشراف "مخطوط" ح3 ص24، الطبري: ج7 ص424، ص430 - 431، وانظر: مجهول: نبذة من كتاب التاريخ ص117، العاتى: سياسة المنصور أبو جعفر ص70-71.

(2) الوزراء والكتاب ص 87.

(3) الموزاء والكتاب ص 87، الأزدى: تاريخ الموصل ج 2 ص 132.

(4) الطبري: ج 5، ص 424-426، ان: الأثر ج 5، ص 66.

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج1 ص 183، مكتبة القدسي - القاهرة 1350هـ.

Nicholson: A literary History of the Arabs. P.253.

فاروق عم: العباسون الأوائل، ج 1، ص 35-36.

(5) سورة الأحزاب: الآية 33.

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية

وقال: "أوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفىء والغنمة نصيباً تكرمة لنا وفضلاً علينا والله ذو الفضل العظيم، وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة فشاهت وجوههم... وبنا هدى الله الناس بعد ضلالهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق ودحض بنا الباطل وأصلح بنا ما كان فاسداً... فتمم الله ذلك منة ومسحة لمحمد ﷺ، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى فحوا موارث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها، ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى أسفوه فلما أسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا وتولى نصرنا ليؤمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض... وإنى لأرجو ألا يأتكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله، يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومترل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا لذلك ولم يشنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدناكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فإنا السفاح المبيح والناثر المبير".

ثم خطب بعده عمه داود بن علي فقال: "الحمد لله... الذى أهلك عدونا... إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيئاً ولا عقياً ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً... وإنا أخرجنا الأنفة عن ابتزازهم (أى الأمويين) حقنا والغضب لبني عمنا، وما كرهنا من أموركم... ولقد كانت أموركم ترمضنا... ويشد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم وخرقهم بكم واستذلهم لكم، واستثأروهم بفيثكم وصدقاتكم ومناصمكم عليكم، لكم ذمة رسول الله وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل بينكم بكتاب الله ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ... يا أهل الكوفة، إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاك الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأصابهم حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا، وأراكم والله ما كنتم تنتظرون... وأدلكم على أهل الشام ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام⁽²⁾".

(1) سورة الشورى: الآية 23.

(2) الطبرى: ج7 ص426 - 428 بيروت.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

ومن هاتين الخطبتين يتبين لنا الاتجاهات الجديدة للعهد، ومنها:

- 1- أن الثورة العباسية قامت من أجل الإسلام الذي فشل الأمويون في تطبيق مبادئه.
- 2- أن للعباسيين الحق في الخلافة لأنهم أقرباء الرسول ٢ من جهة عمه العباس بن عبد المطلب الذي توفي بعد الرسول ٢.
- 3- أن الثورة العباسية تعني العدالة للمظلومين والمستضعفين من الناس.
- 4- وتعني الثورة كذلك انتصار العراق على الشام بعد الكفاح المرير الذي خاصته العراق خلال العصر الأموي، وقد أشار الخليفة إلى ثورات أهل البيت، مثل الحسين بن علي والمختار الثقفي وابن الحنفية وعبد الله بن معاوية وزيد بن علي بن الحسن.
- 5- وعد الخليفة بزيادة العطاء إلى مائة درهم وذكرهم السفاح الميبح.
- 6- بيّن موضع العباسيين من الإسلام وأهله وأنهم بنو هاشم وأهل البيت.
- 7- فنّد الخليفة العباسي رأى السبئية (ويعني هنا شيعة العلويين) في قولهم بأن الخلافة من حق آل علي وبين أثر العباسيين في إحقاق الحق وإزهاق الباطل.
- 8- ندّد أبو العباس بسياسة الأمويين وظلمهم للناس وكيف أن العباسيين هم الذين وضعوا نهايتهم⁽¹⁾.

ثم رأى أبو العباس بعد أن تمت له البيعة في الكوفة أن يتخلص من مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، فوجه إليه عمه عبد الله بن علي الذي أوقع به الهزيمة على نهر الزاب⁽²⁾ - أحد روافد دجلة - وأخذ يتعقبه في بلاد الشام حتى اضطر مروان إلى الاتجاه إلى مصر فدخل الفسطاط ثم رحل منها إلى بوضير⁽³⁾ - من أعمال الفيوم - حيث قتله صالح بن علي العباسي في أواخر سنة 132هـ، وبذلك انتهى حكم البيت الأموي وانتقل مركز العالم الإسلامي من الشام إلى العراق.

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص 36-37.

(2) الطبري: ج7 ص 432، ص 437-441 بيروت.

(3) الأصفهاني: الأغاني ج4 ص 92، ابن الأثير: ج4 ص 327، 330 بيروت.

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية

نشط العباسيون منذ أن انتقلت إليهم الخلافة في القضاء على الأمويين واستئصال شأفة الأحياء منهم، وإزاء تلك السياسة عمد الأمويون إلى الاختفاء والحرب، غير أن كثيرًا منهم تعرضوا لأذى العباسيين فقتل عبد الله بن علي - عم الخليفة - من كان بالشام من أولاد الخلفاء وغيرهم ونكّل بهم⁽¹⁾، كما استدعى الخليفة نفسه عددًا كبيرًا منهم، وأكرمهم ثم غدر بهم، وقتل داود بن علي بمكة والمدينة عددًا وافً من الأمويين، كذلك قضى سليمان بن علي على من كان منهم بالبصرة، ولم يفلت منهم إلا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، الذي فر إلى المغرب ومنها إلى إسبانيا وأسس الدولة الأموية بالأندلس، ولم يقنع العباسيون بما فعلوا بالأحياء فعمدوا إلى قبور بني أمية فنبشوها حتى عو آثارها⁽²⁾.

(1) اليعتوبى: تاريخه ج2 ص 92 - 93.

(2) الطبرى: ج7 ص 459، ابن الأثير: ج4 ص 333 بيروت.

خلفاء العصر العباسي الأول

(132-232هـ / 750-850م)

أبو العباس السفّاح (132-136هـ / 750-754م)

ولد أبو العباس في مستهل رجب سنة 104 هـ بالحريمة، وأمه ربيعة بنت عبد الله بن عبد الله بن عبد الدار الحارثي⁽¹⁾، ولم يكن أبو العباس سفاحاً⁽²⁾ بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة بل يغلب على الظن أن اسمه⁽³⁾ اقترن بتلك الصفة منذ أن قال في خطبته أنا السفاح المبيح والناثر المبير، ومعناها الرجل الكريم الذى يكثر الذبح لضيوفه، كما كان دمث الأخلاق⁽⁴⁾ جميل التكوين يحب الشعر والأدب، أما من ناحية حكمه فلم يكن مطلق السلطة، فكان يشترك معه في إدارة الدولة العباسية أبو مسلم الخراساني بالمشرق، وأبو جعفر المنصور بالجزيرة، وعبد الله بن علي بالشام، وكان ما يجرى في دولته من خير وشر يقع على أيديهم⁽⁵⁾.

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج5 ص133، ابن الأثير ج4 ص188، ابن كثير: البداية والنهاية ج10 ص58 مكتبة المعارف، بيروت 1978 م.

(2) أطلق هذا الاسم على بعض شيوخ القبائل في الجاهلية، ويقال إن سمة بن خالد الذى قاد بنى تغلب في موقعة الكلاب الأولى سمى السفاح لأنه أفرغ مزاد جيشه قبيل المعركة.

Nicholson: Aliterary Hist of the Aralis. P. 253.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج2، ص22.

وعن اقتران لقب السفاح بأبي العباس وعمه عبد الله بن علي راجع البحث القيم الذى أورده الدكتور / أحمد مختار العبادى في كتابه: في التاريخ العباسى والفاطمى ص41-44 مشيراً إلى مقالة للدكتور / عبد الحميد العبادى بعنوان: صور وبحوث في التاريخ الإسلامى ج2 ص70، الإسكندرية 1948 م.

(3) يقال لأبى عباس: المرتضى والفاطمى، ابن كثير: البداية والنهاية ج10 ص85.

(4) انظر المسعودى: مروج الذهب ج2 ص192-194. ابن طباطبا: الفخرى ص128، جمال سرور: الحياة السياسية ص179،

(5) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص179-180.

وكان أبو العباس غاضباً على⁽¹⁾ بنى أمية كما كان أهله غاضبين عليهم معه، وإن لم يذهب به غضبه بعيداً ليفعل بهم ما كان يفعل بهم أعمامه وأقاربه⁽²⁾، فلقد قتل قائد العباسيين يحيى بن محمد بن عبد الله بن العباسي⁽³⁾، ثمانية عشر ألفاً من أهل الموصل في مسجدها العام، ولما تساءلت زوجة الخليفة عن أسباب هذه المذبحة العامة رد عليهم بأنه لا يعرف عنها شيئاً، ولقد أكل عمه عبد الله بن علي على جثث ضيوفه الأمويين وهم يثنون تحته، وأخل أخوه المنصور بكل عهوده مع أنصار بنى أمية ولم يوف لهم بشيء ألزم به نفسه⁽⁴⁾ أمام الناس.

مقتل أبي سلمة الخلال:

لم تكن سياسة العنف والتنكيل التي اتخذها العباسيون سلاحاً للقضاء على خصومهم موجهة فقط إلى الأمويين، بل اتبعوها أيضاً مع أنصارهم الذين شككوا في إخلاصهم، فاتهم أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الذي كان يقال له وزير آل محمد⁽⁵⁾ لما تم الأمر

(1) عرف من عفا خصومته للأمويين أنه قابل رأس الخليفة مروان بن محمد بالسجود لله شكرًا، وقال: إن دماءهم من الغيظ لا ترويه، وكان يخرج عن اتزاه وحكمته لو حرضه بعض الناس على قتل الأمويين ولو كانوا ضيوفه، وعرف من ذلك أنه أمر بأن يجر أحدهم - وهو سليمان بن هشام - من رجله ليلقى مصرعه في بيته، وكان سليمان ضيفه وأحد المعارضين للنظام الأموي قبله. على حبيبة: العباسيون في التاريخ ص 72 حاشية (2) مكتبة الشباب 1980م.

(2) عرف الكثير عن مأساة بنى أمية أمام بنى العباس عند ظهور دولتهم حتى لقد نشت قبورهم وصليت أجسادهم وحرقت رفاتهم وطرود الأحياء منهم في كل مكان وقيل إن بنتاً من بنات الخليفة مروان بن محمد استعظمت أحد قادة العباسيين ليلقى على أذنيه الأمويين بعد الانتصار عليهم فقال: إنه سوف لا يبقى منهم أحداً أبداً. على حبيبة: نفسه ص 72 حاشية (3).

(3) الأزدى: تاريخ الموصل ص 145-155.

(4) قيل إن المنصور لم يكن يلتزم بعهوده كلها، ومنها تعهده بالإبقاء على حياة قائد الأمويين ابن هيرة - بالعراق وتعهده بضمان السلامة لعمه الخارح عليه - عبد الله بن علي - حتى كان خصومه يفضلون الموت أمامه في ساحت الحرب على أن يرضوا بعهود موثقة لا يرضى حرماتها، وكانوا يعبرونه بهذا الضعف في سلوكه. على حبيبة: نفسه ص 73 حاشية (1).

(5) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج 5 ص 113 ويذكر أنه أول من لقب بالوزارة، ويذكر ابن الأثير ج 4 ص 336 أنه كان يقال له أيضاً وزير آل محمد.

لبنى العباس أنهم بأنه كان يعمل على تحويل الخلافة إلى العلويين⁽¹⁾، وقد قيل إن أبا العباس استوزر أبا سلمة على كره منه؛ لما كان يتمتع به من مكانة سامية ونفوذ كبير في نفوس الخراسانيين، وخشى إذا قتله أن يقوم أهل خراسان في وجهه ويأثروا له، فبدأ أبو العباس يخطط للتخلص من الخلال⁽²⁾، فبدأ في إقصاء أتباعه والولاة المواليين له، ثم اتصل بأبي مسلم الخراساني⁽³⁾ واتفقا على التخلص من أبي سلمة الخلال⁽⁴⁾ ويروى أن أبا مسلم هو الذي اقترح قتله⁽⁵⁾ للتخلص منه وأرسل من قتله⁽⁶⁾ في خراسان سنة 132هـ وقبل مقتل الخلال أعلن بأن الخليفة رضى عن الخلال وأضفى عليه الهدايا والإكرام⁽⁷⁾، وبعد اغتياله أذيع بين الناس بأن الخوارج هم الذين قتلوا الخلال⁽⁸⁾.

(1) ابن الأثير: ج4 ص336.

(2) اتفق البلاط العباس على التخلص من أبي سلمة الخلال، وكان الخليفة يرى التريث في قتل أبي سلمة، أما رأى المنصور وعمه داود بن علي فكان الإسراع بتنفيذ الأمر، إلا أنهم لم يلبثا أن ركنا إلى رأى أبي العباس ورأوا أن يكتب إلى أبي مسلم الخراساني ليوجه من يقتله. ابن الأثير: ج4 ص336 بيروت، العائلي: سياسة المنصور ص71، ص73.

(3) أرسل أبو العباس رسالة مع أبي جعفر المنصور إلى أبي مسلم الخراساني يقول فيها المنصور على لسان أبي العباس متهمًا أبا سلمة بأنه قد شمع بأنفه على أمير المؤمنين حتى إنه ما يعد الخلافة بشيء وإنه يعتزض علينا اعتراضًا يحل عن الوصف وما يمنع أمير المؤمنين من الإساءة والوقوف عليه إلا غضبك؛ لأنك أنت الذي جعلته مشيرًا ووزيرًا. ابن أعثم الكوفي: مخطوط الفتوح ج2، البلعيني: تاريخ طبري ص740، بالفارسية مطبعة نول كشور الهند 1291هـ.

(4) أرسل أبو مسلم إلى مرار بن أسد الضبي وقال: انطلق إلى حفص بن سليمان بالكوفة فقتله حيث لقيته. البلاذري: مخطوط أنساب الأشراف ج3 ص36، الطبري ج7 ص447.

(5) كان أبو الجهم عطية عينا لأبي مسلم، فلما اتفق البلاط العباسي على قتل أبي سلمة الخلال أرسل إليه بالأخبار فقال: "إن حفصًا كان غاشيًا لله والرسول والأئمة فالعنوه" فكتب أبو مسلم لأبي العباس كتابًا يشير عليه بقتل أبي سلمة الخلال وقال: "قد أحل الله لك دمه؛ لأنه نكث وغير وبدل". البلاذري: مخطوط أنساب الأشراف ج3 ص36، البيعقوبي: ج3 ص93، المسعودي: مروج الذهب ج2 ص284.

(6) كمن له مرار بن أسد بعد خروجه من سمر عند الخليفة وقتله، البلاذري: نفسه، البيعقوبي: نفسه، الأزدى: تاريخ الموصل ج2 ص145.

(7) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص90.

(8) البلاذري: نفسه، الأزدى: نفسه، الجهشيارى: نفسه.

قَتْلُ أَبِي مُسْلِمِ الْخُرَاسَانِيِّ سُلَيْمَانَ بْنِ كَثِيرٍ:

ومن الشخصيات التي تم التخلص منها نتيجة الشك في إخلاصها لسليمان بن كثير، وهو لا يقل أثرًا عن أبي سلمة⁽¹⁾ فهو نقيب النقباء للدعوة العباسية وكان يتمتع بنفوذ قبل واسع، ويبدو أنه اتصل بأبي جعفر أخى الخليفة حين زار خراسان واتفقا على ضرورة التخلص من أبي مسلم، على أن هناك روايات أخرى تظهر أنه اتصل بعبيد الله بن الحسين (العلوي) الذي كان مرافقًا لأبي جعفر واتفق معه على الثورة وسلب السلطة من العباسيين⁽²⁾.

على أية حال فقد قتل أبو مسلم سليمان بن كثير معتذرًا بأوامر أو وصية سابقة من إبراهيم الإمام حين قال له في حينه "ومن شككت به فاقته" فأعلن أنه شك في نوايا سليمان وتآمره ضد السلطان (الخليفة) ولذلك قتله، ولكن الواقع يؤكد بأن أبا مسلم قتل سليمان بن كثير؛ لأنه كان ينافسه في الزعامة على خراسان لقدمه في الدعوة وسلطته على القبائل البيمانية والربيعية خاصة، وقد قتل أبو مسلم سليمان دون أخذ موافقة الأمير أبي جعفر الذي كان حاضرًا في خراسان مما سبّب غضبه ولكنه كتم غضبه ولم يتجاسر أن ينكر ذلك على أبي مسلم⁽³⁾.

عهد أبو العباس قبل وفاته ولاية العهد إلى أخيه أبي جعفر، ثم لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد على العباسي بالتعاقب، فسار بذلك على سياسية الأمويين في توليه العهد لأكثر من واحد، فكان ذلك من عوامل ظهور الخلاف والتزاع بين أفراد البيت العباسي⁽⁴⁾.

ظل أبو العباس في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر، ومات بالجدري في مدينته الأنبار التي اتخذها قاعدة لخلافته يوم الثاني عشر من شهر ذى الحجة سنة 136 هـ⁽⁵⁾.

(1) انظر الطبري: ج7 ص450 بيروت.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) الطبري: نفسه، فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص41-42.

(4) الطبري: ج7 ص470 حوادث سنة 136 هـ.

(5) ابن الأثير: ج4 ص346 بيروت.

أبو جعفر المنصور⁽¹⁾ (136-158هـ / 754-775م):

لما توفي أبو العباس⁽²⁾ بالأثبار سنة 136هـ خلفه أبو جعفر⁽³⁾ الذي لقب بالمنصور⁽⁴⁾ والذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية⁽⁵⁾، والذي يعزى إليه تمكين الأسرة العباسية من الحكم عدة قرون، وحرصه على إعلاء شأن الخلافة مما ساعد على تدعيم سلطانهم⁽⁶⁾.

وفي أيام المنصور حدثت أحداث خطيرة منها خروج عمه عبد الله بن علي⁽⁷⁾ والى بلاد الشام على طاعته، وادعى أن أبا العباس جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان بن

(1) ولد أبو جعفر في أوائل ذي الحجة سنة خمس وتسعين وكان أسمر رقيق السمرة موفور اللعة خفيف اللحية، رطب الجبهة، أعين. انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد ج5 ص114، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج3 ص139، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج10 ص54 مطبعة السعادة 1931م.

(2) رزق أبو العباس من الولد اثنين محمد ومات صغيراً وانه سهاها ربطة. ابن عبد ربه: العقد الفريد ج5 ص113.

(3) كان أبو جعفر يلقب في صغره بمدرك التراب. الديار بكري: تاريخ الخميس ج2 ص362 ومدرك كثير الإدراك، انظر ابن منظور: لسان العرب ج12 ص302 - ص306. ولقب قبل أن يلى الخلافة بالطويل وبعد الله الطويل ابن الأبار: الحلة السراء ج1 ص33.

(4) لقب أبي جعفر "المنصور بالله" يذكر العيني أنه أول من لقب بالمنصور. انظر العيني: عقد الجمان (مخطوط) ج7 ص161.

(5) مدحه حماد عجرد قائلاً:

أتوك بعد أبي العباس إذ باننا
لو صبح عود على قوم عصارتهم
يا أكرم الناس أعرافاً وعيدانا
يمح عودك فينا الشهد والباننا

ابن عبد ربه: العقد الفريد ج1 ص316 دار الكتاب العربي 7 أجزاء.

(6) جمال سرور: الحياة السياسية ص180، يروي ابن تغري برى: النجوم الزاهرة ج3 ص33 حوادث سنة 158هـ عن الربيع بن يونس الحوجب أنه (الخليفة) قال: الخلفاء أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والملوك أربعة معاوية وعبد الملك وهشام وأنا.

(7) كان أبو جعفر المنصور يخاف شر عمه عبد الله بن علي وقد أففى بذلك على أبي مسلم حينما جاءه مهتئاً بالخلافة قائلاً: أتخوف من عمي عبد الله بن علي فقال له: لا تخفه وأنا أكفيكه. ابن الأثير: ج4 ص348 حوادث سن 137هـ.

محمد فبعث إليه المنصور بأبي مسلم الخراساني⁽¹⁾ الذي تمكن من هزيمته بالقرب من نصيبين في جمادى الآخرة سنة 137هـ، وفر مع نفر من خواصه على أخيه سليمان بن علي أمير البصرة فأواه عنده⁽²⁾، ولما علم أبو جعفر بذلك أرسل إلى سليمان يأمره بإنفاذ عبد الله بن علي إليه، وأعطاه من الأمان ما رضى به، فخرج سليمان على المنصور سنة 139هـ ولكن المنصور لم يف بأمانه لعبد الله بن علي، بل أمر بحبسه بعد قدومه إليه⁽³⁾، ثم قتله سنة 147هـ⁽⁴⁾.

لم يكن عبد الله بن علي محققاً في ثورته على اخليفة أبي جعفر لعدة أسباب؛ منها أن المنصور عينه والياً على بلاد الشام وهو منصب له وزنه في الدولة، إذ يعتبر من الرجال المعدودين والشخصيات البارزة في بلاط المنصور، ثانيًا: احتجاج عبد الله بن علي بأن أبا العباس السفاح جعل الخلافة لمن انتدب لقتل مروان بن محمد لا يعد وثيقة لها سندها الشرعي، إذ كان من المعروف أن ولي عهد أبي العباس حسب وصية إبراهيم الإمام كانت أن يلي الخلافة أبو العباس عبد الله، ثم أخوه أبو جعفر ثم ابن أخيه عيسى بن موسى⁽⁵⁾، ولم يحدث أن تغير الأمر بعد ولاية أبي العباس الخلافة ومن ثم يكون ادعائه بأن أبي العباس جعل الخلافة لمن انتدب لقتل مروان بن محمد لا يعدو إلا أن يكون على سبيل التحفيز والتحميس.

على أية حال فقد كان لثورة عبد الله بن علي ثلاث معان، أولها: أنها ثورة زعيم من زعماء الدولة العباسية عمل لإنجاحها بالقضاء على آخر خلفاء الدولة الأموية. ثانيها: أنها تعنى انشقاق في صفوف البيت العباسي حول مشكلة ولاية العهد. وثالثها: أنها تعنى ثورة أهل الشام على العباسيين، ولذلك دلالاته، لأن أهل الشام في

(1) ابن الأثير: نفسه.

(2) الطبري: ج7 ص474 وما بعدها حوادث سنة 137هـ.

(3) المسعودي: مروج الذهب ج3 ص230.

(4) الطبري: ج8 ص7-8 ويذكر ابن الأثير ج5 ص24 سنة 147هـ أن أبا جعفر المنصور عهد إلى عيسى بن موسى بقتل عبد الله بن علي لكي يثير عموته عليه، إلا أنه لم يقتله، فتخلص المنصور من عبد الله بحبسه في بيت أساسه ملج وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فيات.

(5) الطبري: ج7 ص470 حوادث سنة 136هـ.

الحقيقة استغلوا عبد الله بن علي العباس لعبروا عن سحقهم على الدولة الجديدة⁽¹⁾.

عصيان أبي مسلم الخراساني وموقف الخلافة منه:

لم يلبث أبو مسلم الخراساني أن أصبح الزعيم لذي لا منافس له في خراسان سنة 129هـ/747م⁽²⁾، حين أمره إبراهيم بإظهار الدعوة وإعلان الثورة في خراسان فتمكن بكل ما أوتي من ذكاء ومقدره عسكرية من السيطرة على الوضع هناك، فاستطاع أن يوحد الصفوف تحت قيادته في وقت قصير، رغم تطاحن القوى وتصارعها سياسياً وقبلياً، وبذلك قلب موازين القوى في المنطقة بتحويله الموقف لصالح الثورة العباسية⁽³⁾، وبدأ نفوذه يتسع خارج خراسان وفي أقاليم فارس، وتخلص من كل العاصم التي كانت تنازع السيادة⁽⁴⁾، وكان يرفض أن يكون أحدًا وصيًا على تصرفاته، فتجاهل تمامًا شيوخ ونقباء الدعوة معه في خراسان، والأغرب من ذلك أنه رفض الإذعان لأمر الخليفة العباسي حين وجه عمه عيسى بن علي سنة 132هـ/750م واليًا على فارس، وكان عليها محمد بن الأشعث فأراد محمد قتله فقبل له: إن هذا لا يسوغ لك فقال: بلى أمرني أبو مسلم أن لا يقدم أحد على يدعي الولاية من غيره إلا ضربت عنقه، ثم خلى سبيله⁽⁵⁾، فرجع عيسى إلى الخليفة فأخبره ذلك فكظم غيظه، وأمر عمه بالمقام عنده فأقام⁽⁶⁾، فكانت قرارات أبي مسلم تتصادم مع قرارات الخليفة، ولذلك لم يعد الخليفة أبو العباس أو أبو جعفر يتحملان سلطته الواسعة⁽⁷⁾.

ويبدو أن أبا العباس كان أعجز من أن يتخذ ضد أبي مسلم أي إجراء صارم، أما المنصور فكان على عكس ذلك؛ لأنه كان يرغب في أن تكون سلطة الدولة ظاهرة في جميع المناطق التي تسيطر عليها، ويجب على الجميع بها فيهم الولاية احترام وتنفيذ القرارات الصادرة عنها، وكل من يشذ عن هذه القاعدة يجب اتخاذ القرار المناسب تجاهه بغض

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص49.

(2) الطبري: ج7 ص355، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج5 ص35، العاني: سياسة المنصور ص162.

(3) العاني: سياسة المنصور ص162.

(4) فان فلوتن: السيادة العربية ص129.

(5) ابن الأثير: ج4 ص339 بيروت.

(6) الدينوري الأخبار الطوال ص357.

(7) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص51.

النظر عما قدم من خدمات⁽¹⁾.

وزدت سياسة الثلثين أبا مسلم من غروره الذي دفعه إلى تعيين أبي الجهم عطية جاسوساً له في بلاط العباس، وكان الخليفة يعلم هذه الحقيقة، لكنه تجاهلها خوفاً من إغضاب أبي مسلم الذي كان يرى في غضبه خطراً على كيان الدولة الجديدة⁽²⁾.

كان المنصور على التقيض من سياسة أخيه الخليفة ولم يوافق في نظره هذه، فضلاً عن أنه لم يكن مرتاحاً لوجود أبي الجهم في البلاط بهذا الشكل، واعتبر وجوده إهانة للبلاط بأسره، وكان من حصيلة اختلاف وجهات النظر هذه بين الخليفة وأبي جعفر من جهة وأبي جعفر وأبي مسلم من جهة أن برزت المنافسة بين المنصور وأبي مسلم من أجل الزعامة والتصدى للأمور، فكانت جميع تصرفات أبي مسلم لولى العهد مُنصَّبة على هذه الساحة، ناسياً أو متناسياً ما للمنصور من مكانة سياسية مرموقة عند الخليفة، وربما أثرت هذه المكانة على مستقبله السياسي، ولكن يبدو أن أبا مسلم كان يسعى لإزاحة المنصور عن طريقه؛ لذا لم يعبأ لوجوده أو لمكانته، يؤيد ذلك ما قاله وهو في طريقه إلى العراق "إني لأرجو أن يموت أبو العباس، فأكون أقوى مما بعده، ثم أغلب على الأمر ويكون لي شأن من الشأن، فلا تبقى بلداً إلى وطيته برجلى هاتين"⁽³⁾.

لم تلبث هذه المنافسة أن ظهرت بصورة واضحة سنة 132هـ/750م حين أرسل الخليفة أخاه المنصور بصحبة الحجاج بن أرطاة الفقيه وإسحق بن الفضل الهاشمي وغيرهم إلى خراسان لاستشارة أبي مسلم وأخذ رأيه في انحراف أبي سلمة الخلال فلم يحتفل به..."⁽⁴⁾.

ومما زاد الأمر سوءاً إقدام أبي مسلم على قتل سليمان بن كثير الخزاعي - شيخ النقباء العباسيين - حين وشى به أنه قال: "حفرنا نهراً فجاء غيرانا فأجرى فيه الماء (يعني أبا مسلم) فبلغ أبا مسلم قوله فاستوحش منه وشهد عليه بقوله: "اللهم سود وجه أبي

(1) العائى: سياسة المنصور ص 163-164.

(2) ابن الأثير: ج 4 ص 338.

(3) انظر الدينورى: الأخبار الطوال ص 356.

(4) البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف ج 3 ص 39 أ، العين: المخطوط عقد الجان ج 7 ص 15 وهذا يفسر لنا وضعه قوات في الزرى بلغ قوامها ثمانية آلاف مقاتل لتكون على أهبة الاستعداد عند استدعائها وأقل في ألف مقاتل. البلاذرى: نفسه، الطبرى: ج 2 ص 448.

مسلم كما سودت هذا العقود"⁽¹⁾.

وجرت هذه الحادثة أثناء وجود المنصور هناك فتجاهل أبو مسلم وجوده ولم يستشره في هذا الأمر الخطير، ونفذ الأمر في سليمان بدون الرجوع إلى رأيه، واكتفى بأن كتب إلى الخليفة يعلمه بقتله لسليمان فلم يحبه على كتابه⁽²⁾ ويظهر أن قتل سليمان كان سببه التنازع على السلطة التي أراد أن يتفرد بها أبو مسلم دون منافس⁽³⁾.

وهذه الحادثة وسبقها أثارت في نفس المنصور حقداً شديداً على أبي مسلم، وشعور بالمرارة جعلته يقول لأخيه عند رجوعه من خراسان "لست بخليفة ولا أمرك بشيء إن لم تقتل أبا مسلم فقال أبو العباس: وكيف ذلك؟ فقال: لا والله ما يعأبنا، ولا صنع إلا ما يريد فقال له أبو العباس: اسكت واكتمها"⁽⁴⁾.

لم يتخل المنصور عن سياسته تجاه أبي مسلم، ولم يشأ أن يتركه يستمر في غطرسته وجبروته، وأخذ يلح على أخيه بضرورة التخلص منه، وتحت وطأة هذا الإلحاح انتنع الخليفة أخيراً بوجهة نظر أخيه ودبر لاغتيال أبي مسلم سنة 135هـ/ 752م حين دسَّ له سباع بن النعمان الأزدي، فلما اتجه أبو مسلم للقضاء على عمرد زياد أخبره هذا بتفاصيل المؤامرة فقبض أبو مسلم على سباع الأزدي وقتله⁽⁵⁾.

أما المحاولة الأخيرة لاغتيال أبي مسلم، فقد حوت أحداثها في الأنبار سنة

(1) اليقوي: تاريخه ج3 ص91، مخطوط أنساب الأشراف ج3 ص35ب، 39، الأخبار الطوال ص356، بئرس الجوادار: زبدة الفكرة ج4 ص136.

(2) البلاذري: أنساب الأشراف ج3 ص37 أ (مخطوط)، عقد الحمان: ج7 ص30 أ، العنسي: سياسة المنصور ص165.

(3) انظر: مجهول (من القرن 11م) تاريخ الخلفاء ص520.

(4) أنساب الأشراف ج3 ص37 أ.

(5) الطبري: ج7 ص450، بئرس الدوادار: مخطوط ريدة الفكرة ج4 ص126 وفي رواية أنه قال لأبي العباس: لست بخليفة ما دام أبو مسلم حيّاً، فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك، فلقد رأيته وكان لا أحد فوقه ومثله لا يؤمن عذره ويكنه فقال أبو العباس: وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أشرب قلوبهم حبه واتباع أمره وإيثار طاعته فقال له: مذاك والله أخرى أن لا تأمنه فاحتل له فقال أبو العباس: يا أخي اضرب عن هذا ولا تعلمن رأيك في ذلك أحد". الدينوري: الأخبار الطوال ص356، ابن كثير: البداية والنهاية ج10 ص98.

136هـ/753م حين كتب أبو مسلم إلى أبي العباس يستأذن في الحج، فكتب إليه أن الجهاد أفضل من الحج، فكتب إليه أنه لا بد لي من الحج، فإني حججت وأنا تابع بغير مالي وعلى غير طهرى وفي نفسى من ذلك شيء، فكتب إليه يأمره بالمسير إليه في ألف ويقول له: إنما تسير في سلطان أهلِكَ وطريق مكة لا تحتل العسكر، فأما المال فلا تستكثر منه وعول علينا به، فأقبل في الرجال ومعه الأموال حتى نزل الرى، فخلف فيه ثمانية آلاف فارس وخلف الأموال وأتى الأنبار في ألف⁽¹⁾، واستخلف على خراسان خالد بن إبراهيم الذهلي⁽²⁾ أما الجهمياري⁽³⁾ فذكر أن "أبا الجهم بن عطية كان ينوب عن أبي مسلم بحضرة أبي العباس ويخلفه، فلما ثقلت وطأة أبو مسلم على أبي العباس، وكثر خلافه إياه ورده لأمره قال لأبي الجهم: اكتب إليه وأشر عليه بالاستئذان في القدوم فكتب إليه أبو الجهم بذلك... فكتب مستأذناً فمنعه أبو العباس وقال له: خراسان لا تحتل مفارقتك لها وخروجك عنها وتركه شهراً ثم قال لأبي الجهم أعد له الكتاب بمثل ذلك... وفي الثالثة أذن له".

وفي نفس الوقت كان الخليفة قد كتب لأخيه المنصور وهو يومئذ بالجزيرة يقول له، "إن أبا مسلم قد استأذن في الحج وهو مغلس، فأقدم حاجاً"⁽⁴⁾ فأسرع المنصور وقدم الأنبار فوصلها قبل وصول أبي مسلم إليها".

وقد رأى المنصور أن هذه الفرصة مناسبة جداً لاغتيال أبي مسلم في الأنبار بعيداً عن مركز قوته في خراسان، وزاد من تدهور الموقف وتصعيد روح الحقد والكراهية في نفس المنصور أن أبا مسلم لما دخل على أبي العباس وسلم عليه، تجاهل وجود أبي جعفر ولم يسلم عليه فنهه الخليفة قائلاً: هذا أبو جعفر أخى. فأجاب أبو مسلم: إن مجلس أمير المؤمنين لا تقضى فيه الحقوق"⁽⁵⁾.

(1) أنساب الأشراف ج3 ص 39 أ، الأخبار الطوال ص 357، الطبرى: ج7 ص 469، ابن الأثير: ج4 ص 345.

(2) الذهبي: خطوط سير أعلام النبلاء ج5 ص 36 أ.

(3) الوزراء والكتاب ص 93-94.

(4) عقد الجمان (خطوط) ج7 ص 157، العائى: سياسة المنصور ص 168.

(5) أنساب الأشراف ج3 ص 37 أ، البعقوبى: تاريخه ج2 ص 91، ابن قتيبة: عيون الأخبار ج1 ص 17.

ولا شك أنه كان لهذه الحادثة ردود فعل عنيفة في نفس المنصور، ظهرت بوادرها واضحة على سلوكه وتصرفاته، فأشهر على أخيه بضرورة التخلص من أبي مسلم فقال له: يا أمير المؤمنين أطعني واقتل أبا مسلم، فوالله إن في رأسه لغدرة فأجابه الخليفة: يا أخى قد عرفت بلاه، وما كان منه فقال أبو جعفر: يا أمير المؤمنين إنما كان بدولتنا، والله لو بعثت سنورًا لقام مقامه وبلغ ما بلغ في هذه الدولة، فقال له أبو العباس: فكيف نقلته؟ فقال له: إن دخل عليك وحادثته وأقبل عليك فدخلت فغفلته فضربته من خلفه ضربة أثبت بها على نفسه، فقال له أبو العباس: فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم وديناهم؟ قال: يؤول ذلك كله إلى ما تريد، ولو علموا أنه قد قتل تفرقوا وذلوا، قال: عزمت عليك إلا كففت عن هذا قال: أخاف والله إن لم تنغده اليوم يتعشاك غداً، قال: فدونكه أنت أعلم...⁽¹⁾.

على أية حال فقد استمر أبو مسلم يتردد على مجلس الخليفة، فلما قرب موسم الحج استأذنه في أن يكون أمير الموسم، فقال أبو العباس: لولا أن أخى على الحج عامه هذا لوليتك الموسم فإنك رجل مثا أهل البيت، فامتعض أبو مسلم من ذلك وقال: أما وجد أبو جعفر سنة يحج فيها إلا هذه السنة التي حججت فيها وأضغنها أبو جعفر عليه⁽²⁾.

لم يتوان أبو العباس عن محاولة اغتيال أبي مسلم عدة مرات، كان آخرها يوم أن مر أبو مسلم بمدينة الهاشمية يريد الحج سنة 136هـ إلا أن الخليفة عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة رغم إلحاح أخيه أبي جعفر على قتله.

وفي طريق الحج كان موكب أبي مسلم يضاهى موكب أبي جعفر في أبعته وعظمته وإسرافه⁽³⁾ وفي طريق الرجوع حدث أن توفي الخليفة أبو العباس موصلاً لأبي جعفر

(1) الطبرى: ج7 ص468، المقدس: البدء والتاريخ ج6 ص75، ابن الأثير: ج4 ص346.

(2) أنساب الأشراف (مخطوط) ج3 ص39، الطبرى: ج7 ص470، ج4 ص479.

(3) كان أبو مسلم يتقدم أمام أبي جعفر غادياً وراجعاً خوفاً على نفسه، وقام على تسهيل الطرق وحفر الآبار وكسوة الأعراب في كل مكان. فكان الصيت والذكر له دون الخليفة. ابن الأثير: ج4 ص350، وأمر منادى الطريق: برت الذمة من رجل أوقد ناراً في معسكر الأمير، فلم يزل يقدمهم ويعيشهم حتى بلغ مكة وأوقف في المسعى خمسمائة وصيف يسقون من سعى من الحاج بين الصفا والمروة. ابن جابر الله مخطوط مختصر مرآة الجنان حوادث سنة 136هـ.

بالخلافة، ولكنَّ أبا مسلم لم يهتم بالخليفة الجديد⁽¹⁾، وقد راودت أبا جعفر فكرة قتل أبا مسلم قبل الوصول إلى العراق، وبلغ من شدة غضبه أن استدعى عطية بن عبد الرحمن التغلبي وأعطاه كتاباً إلى أبا مسلم⁽²⁾ يرد فيه على كتابه وأوصاه باغتيال أبا مسلم أثناء قراءته الكتاب، فقال له إسحاق بن مسلم: يا أمير المؤمنين، إنه لا يؤمن أن ينبو سيفه فيقتل باطلاً ويكر العليج علينا، وقال يزيد بن أسيد قول القطاعي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ثم أشار عليه قائلاً: إني أكره أن تجامعه في الطريق والناس جنده وهم له أطوع، وله أميب، وليس معك أحد، وقال له أبو أيوب كاتبه: أخر الأمر حتى نقدم إلى شيعتك وأهل بيتك، فاقنع المنصور بوجهة نظرهم وأجل الموضوع إلى وقت أكثر ملائمة وأنفذ الكتاب مع شخص آخر⁽³⁾.

عدل أبو جعفر عن فكرة قتل أبا مسلم، بعد أن استشار صحابته في ذلك، لأنه كان إزاء خطر عمه عبد الله بن علي في الشام؛ حيث كان أبو جعفر يتوقع أن يثور هذا العباسي الطموح، وكذلك محمد ذو النفس الزكية في الحجاز⁽⁴⁾.

ورغم كثرة الروايات وتناقضها، فيبدو أن أبا مسلم تأخر في إعطاء البيعة لأبي جعفر⁽⁵⁾، إلا أنه بعد أن بايعه أبدى استعداداً للمساعدة تجاه الأخطار المحتمل حدوثها⁽⁶⁾.

(1) علم أبو مسلم بخبر وفاة أبي العباس أولاً بتقدمه في المسير فكتب إلى أبي جعفر: عافاك الله وأعظم أجرك، أتاني خبر وفاة أمير المؤمنين رحمه الله، فبلغ مني أعظم مبلغ وزادني وجعاً وألماً. فلما قرأ المنصور استشاط غضباً؛ لأن أبا مسلم بدأ الكتاب بنفسه أولاً، ولم يهتبه بالخلافة ثانياً. مخطوط أنساب الأشراف: نفسه.

(2) جاء فيه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الرحمن وصل كتابك فرائيتك غير موفق المرشد ولا مسدد الصواب، ولكني ذكرت ما تقدم من طاعتك فعتقت عليك وقد وليتك مقدمتي، فسر على اسم الله وبركته حتى توافي الأبنار، ومن أنكرت من أمره شيئاً من عيالنا قاصره واستبدل به. أنساب الأشراف: نفسه.

(3) البلاذري: نفسه.

(4) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جداً ص 51.

(5) أرسل له البيعة بعد يومين، وكان قصد أبا مسلم من ذلك إرهاب أبا جعفر بتأخيرها. أنساب الأشراف: نفسه.

(6) لما علم أبو مسلم باستحلاف المنصور كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم أصلحك الله يا أمير

وقد أمره الخليفة أبو جعفر بالإسراع إلى الكوفة والسيطرة عليها قبل حدوث الشغب⁽¹⁾.

ويظهر أبو مسلم في الكوفة لأول مرة نواياه الخطرة تجاه المنصور فيعرض على ولى العهد عيسى بن موسى أن يتعاونوا معاً لتنحية الخليفة وتنصيب عيسى خليفة للمسلمين، وقد أنكر عيسى ذلك وحذره من مغبة هذه الخطوة⁽²⁾ وفشل المشروع.

ولا شك أن الظروف التي واجهت (أبا جعفر كانت حرجة، ولم يكن هناك مجال للقضاء على أبي مسلم، فقد ثار عبد الله بن علي⁽³⁾ في الشام وتمكن من السيطرة على حلب وقسرين وديار ربيعة ومضر وسائر الشام⁽⁴⁾ وقضى أبو مسلم على حركته، وكان إرسال أبي جعفر أبا مسلم لمواجهة عبد الله حركة بارعة، ذلك لأن الخليفة سينتفع إذا قتل أياً منهما، ثم إن إرسال أبي مسلم إلى الشام حال دون رجوعه إلى خراسان مركز نفوذه وقوته، كما أن الخليفة لم يعط أبا مسلم القيادة الكاملة لكل القوات العباسية في الشام، بل أرسل كتائب أخرى بقيادة احسن الطائي وصالح بن علي العباسي، وكن هذان القائدان غير مرتبطين بأبي مسلم، كما كانت لديهما الأوامر بمراقبة تحركات ونوايا أبي مسلم⁽⁵⁾.

المؤمنين صلاحاً نامياً قابلاً، بلغنى هذا الأمر الذى أظعننى وأتاني به كتاب عيسى بن موسى مع محمد بن الحصين إلا أنه سرى عنى الغم ولوعة المصيبة ما صار إليك من الأمر، فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك فيها ولاك وأن يبارك لك فيها قلده، اعلم أنه ليس لك يا أمير المؤمنين أشد تعظيماً لحقك وحرصاً على سيرتك منى، والله أسأل لك السلامة في الدين والدنيا. البلاذري: أنساب الأشراف ج3 ص39 أ، الطبري: ج7 ص472.

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص51.

(2) وقال له: الأمر لعمى ولو قدمنى أبو العباس لقدمته على نفس. أنساب الأشراف: نفسه، ابن أعمش الكوفي: مخطوط الفتوح ج2، العاني ص173.

(3) يذكر بعض المؤرخين عن عبد الله أنه قال حين صمّم على الثورة "وانَّ أبا العباس حين أراد أن يوجه الجنود على مروان بن محمد دعا بنى أبيه فأغراهم على المسير إليه فقال: من انتدب فيكم فسار إليه فهو ولى عهدى، فلم ينتدب أحد غيرى، فعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت". اليعقوبى: تاريخه ج3 ص104، أنساب الأشراف ج3 ص30 أ، الطبري: ج7 ص474، ابن أعمش: نفسه، الأزردى: تاريخ الموصل ج2 ص162.

(4) ابن العديم: زبدة الحلب ج1 ص57، وانظر ياسين العري (مخطوط) غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ص125.

(5) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص51-52، العاني: سياسية المنصور ص172-173.

وبعد القضاء على ثورة عبد الله بن علي وهروبه إلى البصرة⁽¹⁾ عول أبو مسلم على الرحيل على خراسان، لكن الخليفة عاجله بإرسال يقطين بن موسى يحصى غناؤه وأمواله⁽²⁾ التي حصل عليها من عبد الله، وقد أثار هذا العمل أبا مسلم واعتبرها إهانة موجّهة له فقال: "أمين على الدماء خائن في الأموال"⁽³⁾، ورفض هو وقواده تسليم الأموال على اعتبارها غنائم توزع على المقاتلة⁽⁴⁾، لكن الخليفة تصرف بحذر وذكاء فكتب إلى أبي مسلم الخراساني أنه لم يكن في نيته أخذ الغنائم، بل إنه تنازل عن حصّة بيت المال، وأنه سيرسل جوائز سنّية إلى القواد بمناسبة الانتصار وطلب الخليفة من أبي مسلم مقابلته لأمر هام⁽⁵⁾ غير أن أبا مسلم كانت من الفطنة والدهاء، بحيث لم يؤخذ تلك الخيلة، فعزم على الرحيل وكتب إلى الخليفة: "إنه لم يبق لأمر المؤمنين - أكرمه الله - أحد إلا ومكنه الله منه، وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان بأن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدماء، فتحن نافعون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، حريون بالسمع والطاعة، وغير أنها من بعيد تقارنها السلامة فإن أرضاك ذلك فإنا كأحسن عبيدك، فإن أبيت إلا أن تعطى نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنقسي"⁽⁶⁾ فأجابه الخليفة: قد فهمت كتابك، وليس صفتك صفة أولئك الوزراء الغشّة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، فإنا راحتهم في انتشار نظام

(1) أنساب الأشراف مخطوط ج3 ص 31 أ، ابن أئثم الكوفي: معطوط المتوح ج2، العيني: عقد الجمان ج7 ص 362.

(2) ابن قتيبة: عيون الأخبار ج1 ص 6، السوي: المعرة والتاريخ ج1 ص 58، مخطوط أنساب الأشراف ج3 ص 141.

(3) البسوي: ج1 ص 119، أنساب الأشراف ج3 ص 41 أ، اليعقوبي: تاريخه ج3 ص 106.

(4) لما رأى يقطين ثورة أبي مسلم وغضبه أراد أن يهدئ من نفسه فقال له "إن أمير المؤمنين ما وجهني إليك إلا مهتاً بالفتح"، وقد عجلت أيها الأمير، إنا أمرني أن أحصي ما وجدت بعكس عبد الله ثم أسلمه إليك لتعمل فيه برأيك وتصنع ما أردت" ابن قتيبة: عيون الأخبار ج2 ص 26، البلاذري: نفسه، اليعقوبي: نفسه، المسعودي: مروج الذهب ج3 ص 302.

(5) كتب الخليفة إلى أبي مسلم: "أردت مذكرك في أشياء لم يحتملها الكتاب فأقبل فإن مقامك قلبي"، الدبنوري: الأخبار الطوال ص 259، المسعودي: نفسه.

(6) الطبري: ج7 ص 483، الجهنياري: الوزراء والكتاب ص 11، الأزدي: تاريخ الموصل ج2 ص 165، مخطوط زبدة الفكرة ج4 سنة 137 هـ.

الجماعة، فلم سويت نفسك بهم وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاكك بها حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به وليس من الشريعة التي أوجبت منك سمع ولا طاعة، وحمل إليّ أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن غليها أن أصغيت إليها وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك⁽¹⁾ فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عند - وأقرب من طيه (سحره) من الباب الذي فتحه عليك"⁽²⁾ وأرسل أبو جعفر الرسالة مع كبار رجل البلاط وبعض الهاشميين الذين طلبوا منه أن يقدم على الخليفة حيث ولاه الشام ومصر، فأجاب أبو مسلم: "هو يولني الشام وخراسان"⁽³⁾ ولم يكن مقتنعاً بنوايا المنصور، ولذلك استمر في سفرته إلى خراسان⁽⁴⁾،

إن هذه اللحظة الحاسمة من العلاقات بين الخليفة وأبي مسلم شهدت سلسلة جديدة من المناورات السياسية التي تضمنتها الرسائل المتبادلة بين أبي مسلم والخليفة، على أن ما يلفت النظر في هذه الرسائل هي تلك التي أرسلها أبو مسلم لغرابتها في الألفاظ والنص ورغم قوة إسنادها، فإن طبيعة متنها يجعلنا نشك في صحتها؛ ذلك لأن أبا مسلم يهاجم في هذه الرسالة إبراهيم الإمام ويصفه بالتطرف، وأنه حرّف القرآن طمعاً في الدنيا ومكاسبها، وأنه أباح له القتل بالشك من أجل إنجاح الدعوة والتخلص من الخصوم وتثبيت سلطان العباسيين ومس حق العلويين⁽⁵⁾ ونص هذه الرسالة "بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الرحمن بن مسلم إلى عبد الله بن محمد: أما بعد فإني اتخذت أخاك إماماً - يقصد إبراهيم الإمام - وكان في قريته برسول الله ٢ ومجمله من العلم على ما كان ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعاً في قليل من الدنيا، قد نعاه الله لأهله، ومثلت له ضلالته على صورة العذاب. فأمرني أن أجرد السيف، وأخذ بالظنة، ولا أقبل معذرة، وأن أسقم البريء وأبرئ السقيم، وأتر أهل الدين في دينهم، وأوصاني في غوركهم من أهل بيتكم الغشوة بالآفك والعدوان، ثم إن الله بحمده ونعمته استنقذني بالثورة وكره لي الجور، فإن

(1) الطبري: ج7 ص482-484، المقدسي: البدء والتاريخ ج6 ص78.

(2) مخطوط أنساب الأشراف ج3 ص41 أ، الطبري: ج7 ص482-484.

(3) كتب الخليفة إلى أبي مسلم: إني قد وليت الشام ومصر فها أفضل من خراسان، فوجه على مصر من أحببت وأدم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فإن أحب لقاءك أتته قريباً. البلاذري: أنساب الأشراف ج3 ص41، الطبري: ج7 ص483، ابن الأثير: ج4 ص350-351.

(4) الطبري: ج7 ص483-484، ابن الأثير: ج4 ص351-352.

(5) الطبري: نفسه، فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص52-53.

يعف ففدياً عرف ذلك منه، وأن يعاقب فبذنوبى، وما الله بظلام للعبيد" (1).

أنه لمن الصعب تصور أبى مسلم وهو يكتب مثل هذه الرسالة، ثم يسمح لنفسه بعدها بمقابلة الخليفة، ولكن إذا كانت هذه الرسالة صحيحة فهي تظهر أبى مسلم في حالة نفسية وعصبية لا يحسد عليها، حيث شعر بأن كرمته قد جرحت بعدم تقييم الخليفة فموقفه أثناء الثورة وقضائه على أعداء الدولة وآخرهم عبد الله ابن على، خاصة وأن أبى مسلم كان معتزاً بنفسه وبأعماله في سبيل الدعوة، لذلك اندفع على كتابة هذه الرسالة، وهو في حالة شديدة من الشغب، ولكن الخليفة ظل رابط الجأش مسيطر على أعصابه حذراً في اتخاذ الموقف لئلا يجعل أبى مسلم يفلت من قبضته (2).

وأرسل المنصور إلى أبى مسلم كتاباً مع أبى حميد المروزى وأوصاه قائلاً: كلّم أبى مسلم بألّين ما تكلم به أحد ومنه، وأعلمه أنى رافعه وصانع ما لم يصنعه أحد، إن هو صلح وراجع ما أحب، فإن أبى أن يرجع فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: لست للعباس وأنا رى من محمد، أن مضيت مشاقاً ولم تأتنى، أن كلت أمرك إلى أحد سواى، وإن لم آل طلبك وقتالك بنفسى، ولو خضت البحر لحضته، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها، حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك؛ ولا تقولوا له هذا الكلام حتى تباى من رجوعه ولا تطمع منه في حير" (3).

وعلى أثر وصوله أبى حميد والوفد المرافق له تغير الموقف لصالح الخليفة، فحين دخل عليه، وهو لا يزال بحلول، دفع إليه كتاب المنصور وقال له: أن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله، وخلاف ما عليه برأيه فيك حسداً وبغيّاً، يريدون إزالة النعمة وتغييرها، فلا تفسد ما كان منك، وإنك لم تزل أمين آل محمد يعرفك الناس، وما ذخر الخليفة لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك، فلا تحبط أجرك، ولا يستهوينك الشيطان، فقال له أبو مسلم: متى كنت تكلمنى بهذا الكلام؟ قال: أنت دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبى ﷺ، أمرتنا بقتال من خالف ذلك، فدعوتنا من أرضين

(1) مخطوط: أنساب الأشراف ج3 ص 14، الطبرى: ج7 ص 483-484، ابن أعثم: مخطوط الفتوح

ج2، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج10 ص 208.

(2) البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف ج3 ص 141.

(3) الطبرى: نفسه، ابن الأثير: نفسه.

متفرقة، وأسباب مختلفة، فجمعنا الله على طاعتهم، وألف بين قلوبنا بمحبتهم وأعزنا بنصرنا لهم، ولم نلق منهم رجلاً إلى بما قذف الله في قلوبنا، حتى أتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة، أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد أمرنا وتفرق كلمتنا، وقد قلت لنا: من خالفكم فاقتلوه، وأن خالفتمكم فاقتلوني، فالتفت أبو مسلم على أبي نصر مالك بن المهشم الخزاعي، فقال له: يا مالك أما تسمع ما يقول هذا، ما هذا بكلامه يا مالك؟ فقال مالك لا تسمع كلامه، ولا يهولنك هذا منه، فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه، ولما بعد هذا أشد منه فامض لأمرك ولا ترجع فوالله لئن أتيت ليقتلنك، وقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً فقال: أبو مسلم: قوموا فنهضوا وأرسل إلى نيزك وقال له: يا نيزك إني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك، فما ترى، فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ما قالوا؟ قال: لا أرى أن تأتبه، وأرى أن تأتى الرى تقيم بها، فيصير ما بين حراسان والرى لك وهم جندك وما يخالفك أحد فإن استقام لك استقيمت له، وإن أبى كنت في جندك، وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك. فدعا أبا حميد فقال: ارجع إلى صاحبك فليس من رأى أن أتبه قال: قد عزمت على خلافه: قال: نعم، قال: لا تفعل. قال: ما أريد أن ألقاه فلما أيسه من الرجوع قال له ما أمره به أبو جعفر فوجم طويلاً ثم قال: قم، فكسره ذلك القول ورعبه⁽¹⁾

وقد استطاع أبو جعفر المنصور في نهاية المطاف باستغلاله بعض أصحاب أبي مسلم أمثال عيسى بن موسى، وجريز بن يزيد البجلي أن يقنع أبا مسلم بضرورة مقابلة الخليفة، وقد تمكن جريز البجلي. وكان أوحده زمانه في المكر والخداع والدهاء أن يجذعه بكلامه وسحره⁽²⁾، حين قال له: أيها الأمير، ضربت الناس عن عرض لأهل هذا البيت، ثم تتصرف على هذه الحالة، ما أمن أن يعيبك من هنالك ومن ههنا، وأن يقال طلب بثأر قوم ثم نقض بيعتهم. فيخالفك من تأمن مخالفته إليك، وأن الأمر لم يبلغ عن خليفتك ما تكره، ولا أرى أن تتصرف على هذه الحال، وساعده عيسى بن موسى، حتى إنه ضمن له الوفاء

(1) الطبري: ج7 ص484-485، ابن الأثير: ج4 ص351-352.

(2) المقدسي: البدء والتاريخ ج6 ص79.

من المنصور⁽¹⁾.

ولم يجد أبو مسلم طريقًا آخر إلا الطريق الذي يوصله إلى الخليفة خاصة بعد أن سد أبو جعفر في وجهه طريق خراسان بتعيينه واليًا جديدًا لها هو أبو داود خالد بن إبراهيم الذهل⁽²⁾ الذي أرسل رسالة⁽³⁾ إلى أبي مسلم يعلمه فيها بأن الطاعة خير من المعصية، ويحذره من العودة إلى خراسان دون موافقة الخليفة، فاستدعى أبو مسلم أبا إسحاق المروزي، وكان من يثق بهم فشاورة في الأمر وقال له: "... وهذه سيوف أبي جعفر من خلفنا، وقد أنكرت من كنت أثق من أمر أمرائي فقال أبو إسحاق: أيها الأمير هذا رجل يضطغن عليك أمورًا متقدمة، فلو كنت إذ ذاك هداك رأيك ووليت رجلًا من آل علي بن أبي طالب كان أقرب، ولو أنك قبلت توليته إياك.. الشام والصائفة مدت بك الأيام وكنت في فسحة من أمرك فوجهت إلى المدينة، فاختلست علويًا فنصبته إمامًا، فاستلمت به أهل خراسان وأهل العراق ورميت أبا جعفر بنظيره، فكنت على طريق تدبير، أنطمع أن تحاسب أبا جعفر وأنت بحلولان وعساكره بحلولان، وعساكره بالمدائن وهو خليفة مجمع عليه... لكن بقي لك أن تكتب إلى قوادك... قال: هذا رأي إن وافقنا عليه قوادنا، قال: فما دعاك إلى خلع أبي جعفر وأنت عى غير ثقة من قوادك... أرى أن توجه بى إليه حتى أسأله لك الأمان، فإذا صفح وإما قتل على عز، قبل أن ترى المذلة من عسكرك، أما تقتلوك وأما سلموك⁽⁴⁾.

رأى أبو مسلم أن يبعث بأبي إسحاق إلى مقر الخليفة ليطلع على شعور المنصور والقواد نحوه⁽⁵⁾، فلما علم الخليفة بإرسال أبي إسحاق إليه أمر أفراد البيت الهاشمي بتلقيه وإكرامه واستقبله بالحقاوة والتعظيم، وتمكن من استئلائه إلى جانبه ووعد بولاية خراسان قائلًا له: اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان⁽⁶⁾، فرجع أبو إسحاق إلى أبي

(1) البلاذري: (مخطوط) أنساب الأشراف ج3 ص141.

(2) صديق أبي مسلم وندبه على خراسان.

(3) يقول فيها "إننا لم نخرج لمعصية الله وأهل بيت نبيه r". الطبري: ج7 ص486، الذهبي: سير أعلام النبلاء (المخطوط) ج5 ص39، العاني: ص181-182.

(4) الذهبي: (مخطوط) سير أعلام النبلاء ج5 ص39.

(5) الطبري: ج7 ص486.

(6) الطبري: نفسه، الذهبي: ج5 ص39.

مسلم وقال له: ما أنكرت شيئاً رأيتهم معظمين لحقك يرون لك ما يرون لأنفسهم وأشار عليه أن يرجع للخليفة فيعتذر إليه عما كان منه، وهكذا كان لا بد لأبي مسلم أن يقابل الخليفة، فقد نجح المنصور نجاحاً باهراً في كسب واستمالة أصحاب أبي مسلم المقربين إلى صفه، فافتتح هؤلاء أبا مسلم أما بطريق التهديد، أو الترغيب مقابلة الخليفة، فاستجاب أبو مسلم أخيراً وقرر السفر إلى المدائن لمقابلة المنصور، رغم تحذير مستشاره نيزك بعدم الذهاب، فلما أعياه ذلك قال: له: أما إذا اعتزمت على هذا فخار الله لك، واحفظ واحدة، إذا دخلت على المنصور فاقتله، ثم بايع لمن شئت فإن الناس لا يخالفونك⁽¹⁾.

وكتب أبو مسلم إلى الخليفة يخبره بأنه منصرف إليه واستدعى أبا نصر مالك بن الهيثم فاستخلفه على عسكره وأمواله، وأمره بالموث في حلوان، وقال له: أقم حتى يأتبك كتابي، فإن أناك مختوماً بنصف خاتم فانا الذي كتبتك، وإن أناك بالخاتم كله، فلم أكتبه ولم أختمه، وصحب معه نحو ثلاثة آلاف فارس بأسلحتهم وتوجه إلى المدائن⁽²⁾.

ولما وصل كتاب أبي مسلم إلى المنصور استعد هو الآخر للمواجهة الشاقة، والمحنة، فرتب أموره، وأخذ يستطلع آراء المقربين له، ليتعرف على رأيهم في قتل أبي مسلم، فدعا أبا إسحاق بن مسلم العقيلي، وشاوره في قتل أبي مسلم، فأشار عليه بأن يفعل ذلك⁽³⁾، واستشار يزيد بن أسيد الذي أكد ضرورة التخلص منه حفاظاً على سلامة الدولة⁽⁴⁾، وشاور مسلم بن قتيب في الموضوع فقال له: ما ترى في قتل أبي مسلم؟ فقال مسلم: لو كان فيهما إله إلا الله لفسدنا: "فقال المنصور: حسبك يا أبا أمية، لقد أودعتها أذنًا وإعية"⁽⁵⁾.

(1) الطبري: ج7 ص486.

(2) المرجع السابق: ص489، ابن الأثير: ج4 ص353. ويذكر الطبري في نفس الصفحة أنه لما دنا أبو مسلم من المدائن تلقاه رجل من قواده، فسلم عليه وقال له: أعطني وارجع فإنه إن عاينك (يقصد المنصور) قتلك فقال له أبو مسلم: قد قربت من القوم فأكره أن أرجع.

(3) انظر الجاحظ: البيان والتبيين ج3 ص367-368، المعاني ص183.

(4) انظر الزبير بن بكار: الأخبار المرفقيات ص139.

(5) انظر ابن قتيبة: عيون الأخبار ج1 ص36، ابن عبد ربه: العقد الفريد ج1 ص80، المسعودي:

مروج الذهب ج3 ص103.

وإزاء القوات التي كان أبو مسلم يصطحبها معه فكان لا بد للمنصور من إجراءات أمن مشددة، وفي نفس الوقت أراد أن يبعث الأمن والطمأنينة في قلب أبي مسلم، فقبل الاقتراح الذي تقدم به وزيره أبو أيوب المورياني لتحقيق هذه الفرصة، فأخبره بأنه اتفق مع مسلمة بن سعيد بن جابر، ووعدته بولاية كسكر وأطمعه في إحسان كبير على أن يأتي أبو مسلم ويعرفه أن أبا جعفر قد عزم أن يوليه ما وراء أباه، ويستريح ويريح نفسه وأن يسأل أبا مسلم أن يوليه تلك البلد، كما أن الخليفة قابل سلمة قبل سفره لهذه المهمة فقال له: أفتحب أن تلقى أبا مسلم؟ قال: نعم فقال المنصور له: قد أذنت فأقرئه السلام، وأعلمه بشوقنا إليه، فخرج سلمة فلقية فقال: أمير المؤمنين أحسن الناس فيك رأياً قطابت نفسه، واعتد أن ذلك هو الحق، فحضر في التحرز والتأهب واسترسل⁽¹⁾، وقد رأى المنصور استحساناً لنجاح خطته أن يأمر الناس بالترحيب به، فكان لا يمر بمكان إلا واستقبلوه بالبر والإحسان والإكرام⁽²⁾، فلما دنا من المدائن، بعث لاستقباله ولى عهده عيسى بن موسى، زيادة في الحفاوة به، ولإدخال الطمأنينة في قلبه، خاصة وأن عيسى كان شديد التعظيم لأبي مسلم، وهذا كان يقدره ويحبه⁽³⁾، لذلك قال له عيسى حين قابله: "لو خير المنصور بين موت ابنه وموتك لاختار موت ابنه، فإنه لا يجد خير منك خلقاً"⁽⁴⁾، وذهب لأكثر من هذا حين ضمن له الوفاء من المنصور⁽⁵⁾، وهو لا يعلم بالخطبة التي بيتها المنصور.

لقد كانت المقابلة الأولى⁽⁶⁾ بين الخليفة وأبي مسلم ودية؛ إذ استقبل أبا مسلم بالحفاوة

(1) الطبري: ج7 ص487، الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص112، العيني: عقد الجمان ج7 ص162، وكسكر: كورة واسعة قصبها واسط.

(2) ابن أعثم الطوفي: مخطوط الفتوح ج2.

(3) البلاذري: (مخطوط) أنساب الأشراف ج3 ص141، الطبري: ج7 ص489.

(4) المقدسى: البدء والتاريخ ج7 ص162، العيني: عقد الجمان، ج7 ص164.

(5) المقدسى: البدء والتاريخ ج7 ص162، العيني: عقد الجمان، ج7 ص164.

(6) أشار أبو أيوب المورياني على الخليفة بألا يتعجل في مقتل أبي مسلم يوم وصوله معللاً ذلك بقوله: أنشدك الله، إنه يدخل مع الناس وقد علموا ما صنع، فإنه دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاد، ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن يتصرف فإذا غدا عليك رأيك رأيك، الطبري: ج7 ص487، العيني: عقد الجمان، ج7 ص164.

والتعظيم حين دخل عليه في مجلسه فبادره أبو مسلم وقبل يده وقام قائماً بين يديه⁽¹⁾، فقال له الخليفة: كدت أن تمضي قبل أن أفضي إليك ما أريد، قال: لقد أتيت يا أمير المؤمنين فأمر بأمرك⁽²⁾، فأمره بالانصراف وراحة نفسه من عناء ومشقة السفر، فخرج وخرج الناس.

وفي المقابلة الثانية كان الخليفة قد هياً رئيس الحرس عثمان بن نهيك مع جماعة⁽³⁾ من الحرس لقتل أبي مسلم بعد أن يأمرهم⁽⁴⁾ بذلك وزيادة في احتياطات الأمن، أمر المنصور حاجبه أن يأخذ سيف أبي مسلم إذا دخل عليه ليأمن شره⁽⁵⁾.

ولا شك أن أبا مسلم خالجه إحساس أن وراء استدعاء المنصور أمراً فأفضي بمخاوفه إلى عيسى بن موسى قائلاً: اركب معي إلى أمر المؤمنين، فقد أحسست بالشر، ولما كان عيسى يجهل نية المنصور فإنه قال له: أنت في ذمتي فتقدم فإنني لأحقك، فلا تعجل بالدخول حتى أدخل معك⁽⁶⁾، فأقبل أبو مسلم واستأذن بالدخول إلى الخليفة، فأخبروه بأنه يتوضأ، وطلبوا منه أن يجلس برهة حتى ينتهي المنصور من وضوئه، وأبطأ عليه عيسى ابن موسى، وجاء الإذن من المنصور بالسماح له بالدخول، فلما قام ليدخل أدخله سلام الحاجب في دهليز وحده دون جماعته⁽⁷⁾، ثم طلب منه أن ينزع سيفه، ونزع سيفه متغرباً بعد أن ألح عليه سلام الحاجب، فقال أبو مسلم: الآن عرف الدامي موضع سهمه⁽⁸⁾.

- (1) أنساب الأشراف (مخطوط) ج3 ص141، ابن الأثير: ج4 ص354 بيروت، الفخري ص135.
- (2) اليعقوبي: تاريخه ج3 ص107، المسعودي: مروج الذهب ج3 ص203.
- (3) فيهم شبيب بن واج المرزوي، وابن بته علي بن أحمد بن بسطام، وأبو حنيفة حرب بن قيس، ابن الأثير: ج4 ص354.
- (4) البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوط) ج1 ص141: ج3 ص107، الطبري: ج7 ص488، المسعودي: مروج الذهب ج3 ص203، وكانت الإشارة المتفق عليها أثناء معانيته لأبي مسلم أن يصفق المنصور فيخرجوا من وراء ستر خلف أبي مسلم فيقتلوه. المصادر السابقة والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج10 ص209، العاني: ص186.
- (5) الدينوري: الأخبار الطوال ص360، تاريخ الموصل: ج2 ص165.
- (6) أنساب الأشراف: ج3 ص41 ب، الطبري: ج7 ص489، المسعودي: مروج الذهب ج3 ص203 وانظر الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك ص83 مطبعة السعادة 1906م.
- (7) اليعقوبي: تاريخه ج3 ص107، العاني: ص186.
- (8) أنساب الأشراف (مخطوط) ج3 ص141، الطبري: ج7 ص491، عقد الجمان ج8 ص164، والمثل يقال لمن أمكن عدوه من نفسه.

أما ما حدث في المقابلة الأخيرة، فيختلف فيه المؤرخون، ونود أن نشير إلى أن المصادر تزخر بالروايات الموضوعية؛ وذلك لأن المؤرخين حاروا في تفسير سبب مقتل أبي مسلم، ووضعوا تفسيرات متنوعة من نسج خيالهم، ثم إن حب الرواة العرب لعنصر الإثارة جعلهم يضعون كثيرًا من الزرْكشة على الحوادث، وكانت بعض الوقائع التي أشار إليها المؤرخون حول المقابلة تستند مثلاً إلى أحداث وقعت في السابق وسببت غضب الخليفة على أبي مسلم، ولكن لا نستطيع الجزم أنها كانت سبباً مباشراً قتله كما يزعم هؤلاء⁽¹⁾.

إن العداوة بين أبي جعفر وأبي مسلم ترجع إلى أيام أبي العباس، فقد أشار أبو جعفر على الخليفة بقتل أبي مسلم عدة مرات، والواقع أن خليفة مثل المنصور لم يكن يحتمل والياً قوياً مثل أبي مسلم⁽²⁾.

1 - لقد عاتب الخليفة أبا مسلم لعدم تحيته وسلامه عليه حينما زار الأخير البلاط في عهد أبي العباس⁽³⁾.

2 - ذكّر الخليفة أبا مسلم بتحريض عيسى بن موسى على التمرد ضده في الكوفة⁽⁴⁾.

3 - عاتبه على تقدمه إياه في الحج⁽⁵⁾.

4 - وبخّه لأنه قدم اسمه في بعض المراسلات⁽⁶⁾.

5 - أثبّه لأنه ناداه باسمه لا بكنته في بعض المناسبات⁽⁷⁾.

6 - تهجم عليه لأنه ادعى النسب العباسي من نسل سليط بن عبد الله العباس⁽¹⁾.

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص54.

(2) العائلي سياسة المنصور ص188.

(3) ابن قتيبة: عيون الأخبار ج1 ص17، البلاذري: أنساب الأشراف ج3 ص137، اليعقوبي: ج3 ص71، العقد الفريد: ج1 ص17.

(4) البلاذري: أنساب الأشراف ج3 ص129، ابن أعثم: مخطوط الفتوح ج2 ابن الأثير: ج4 ص350.

(5) أنساب الأشراف ج2 ص29 ورد عليه أبو مسلم: كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك الناس، ابن الأثير: ج4 ص354.

(6) أنساب الأشراف ج3 ص39، ابن الأثير: ج4 ص354.

(7) رد عليه أبو مسلم قائلاً: إن وجدت الله يقول: محمد رسول الله ٢ في حق نبيه وقال في حق عدوه: تبّت يدا أبي لب، فسمي نبيه وكنى عدوه، البلاذري: أنساب الأشراف ج2 ص354.

- 7- ويخه لأنه خطب امرأة عباسية⁽²⁾.
- 8- عاتبه لأنه تأخر عليه في البيعة بعد سماعه بوفاة أبي العباس⁽³⁾.
- 9- ذكَّره بالغنائم التي حصل عليها بعد قضائه على عبد الله بن علي بن العباس في الشام وخاصة مَخْلَفَات عبد الله العباس نفسه⁽⁴⁾.
- 10- قتله سليمان بن كثير الخزازي رئيس النقباء في خراسان، وهو من الشخصيات ذات المكانة المرموقة من الدعوة العباسية دون الرجوع على الخليفة أو على ولي العهد الموجود آنذاك في خراسان، والذي اعتبره المنصور تحديًا للدولة بأسرها، وإهانة لهيبة الخلافة وله كبر للعهد⁽⁵⁾. وقتله كذلك أفلح ابن مالك الفزارى أحد الشيوخ المواليين للدولة العباسية. وأجاب أبو مسلم بأنه شك في سليمان بن كثير وقتله استنادًا على السلطة المخولة إليه من إبراهيم الإمام.
- 11- وأخيرًا واجهه الخليفة بالسؤال المخرج. لماذا قررت السير إلى خراسان بدون استئذان بذلك.
- ولم يكن لأبي مسلم من جواب إلا أن يذكر المنصور بخدماته في سبيل الدعوة فأجابه الخليفة بأن العباسيين بها لهم من مكانة وكفاءة هم الذين أوصلوا الدعوة إلى النجاح، وليس لأبي مسلم شيء فإنهم لو أرسلوا مكانه أمة إلى خراسان لقامت بمثل ما قام به أبو مسلم⁽⁶⁾.
- لقد ذكر المؤرخين كل هذه التهم، لكن يبدو أن القليل منها كان موضع مناقشة في المقابلة الأخيرة، ولو أن معظمها كان صحيحًا من الناحية التاريخية، وربما كان من العوامل المساعدة التي ألبت الخليفة على أبي مسلم، ولكن قتل أبي مسلم جاء بسبب تعاضل نفوذه بعد نجاح الثورة في خراسان والأقاليم الشرقية وحتى في البلاط العباسي؛
-
- (1) الطبري: ج7 ص491، ابن الأثير: ج4 ص354 بيروت.
- (2) قائلًا: "وخطبتك أمانة بنت علي" الطبري: ج7 ص491، ابن الأثير ج4 ص354.
- (3) البلاذري: مخطوط أنساب الأشراف ج3 ص39 أ.
- (4) العيني: مخطوط عقد الجمان ج7 ص164.
- (5) الطبري: ج7 ص491، ابن الأثير: ج4 ص354، ابن كثير: البداية والنهاية ج1 ص70.
- (6) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص55.

حيث كان له جواسيس مثل أبي الجهم بن عطية الباهلي، ولذلك قال الخليفة له قبل قتله: ولقد ارتقيت مرتقياً صعباً⁽¹⁾، ووصفه قائلًا.

لقد اكتفتك خلال ثلاث جليبن عليك محذور الحما
خلافك وامتنانك ترميني وقودك الجماهير العظام

وقتل أبو مسلم في نهاية المقابلة وقال للخليفة قبل قتله: "استبقني لعدوك" فقال له الخليفة: وأى عدو أعدى لي منك؟ أأست الذى بايعتنا على أن من خرج علينا قتلته؟! وأنت خرجت علينا فحكمتنا عليك حكمك في غيرك⁽²⁾.

ومن الجدير بالذكر أنه بعد قتل أبي مسلم اتهم بأنه كان ذميول علوية، أو أنه ينادى بآراء متطرفة بعيدة عن الإسلام، وأنه كان زنديقا، وهى اتهامات ليس لها أساس من الصحة، فقد بقى أبو مسلم مواليا للعباسيين حتى خلافة مع أبى جعفر، وإذا كانت هذه التهم صحيحة فإنها يجب أن توجه أولاً إلى العباسيين قبل أن توجه إلى أبى مسلم الوالى المخلص للقضية العباسية⁽³⁾.

وما ينبغى الإشارة إليه أن الصراع بين أبى جعفر المنصور وأبى مسلم الخراسانى كان له جانبته السياسى والدبلوماسى، فعلى الصعيد السياسى اعتقد كل من المنصور وأبى مسلم أن لكل منهما مكانته التى يجب أن يرضاها الجانب الآخر، وكان موقف المنصور الشرعى كولى للعهد فى عهد أبى العباس، ثم خليفة لأخيه وأميراً للمؤمنين يحتم على أبى مسلم الطاعة والولاء، إلا أن الأخير ظن أن سابقته فى مناصرة الدعوة وقيام الدولة العباسية توجب على المنصور إغضاء الطرف عن كثير من تصرفات أبى مسلم غير أن المنصور كان على علو من الخطر والهمة مما يجعله لا يركن إلى تلك الادعاءات؛ لذا كان لا بد من حدوث الصدام منذ ولاية عهده حتى حادثة خروج عمه عبد الله بن على بالشام. أما على الجانب الدبلوماسى فقد أيقن كلا الطرفين أبو جعفر المنصور وأبو مسلم أنهم لن يلتقيا على خير؛ إذ أضمر كل منهما الشر لأخيه، وكان على المنصور ألا يجعل

(1) البلاذرى: (مخطوط) أنساب الأشراف ج1 ص41ب، العائى: سياسة المنصور ص521.

(2) العينى (مخطوط) عقد الجمان ج7 ص164.

(3) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص55-56.

صيده يفلت من يده، فأخذ يحيك الشباك حول أبي مسلم، ويسد كل ثغرة يمكن أن يتفذ منها، واستعان بأصدقائه ومَنَّاهم حتى دفعوه إلى لقائه دفْعاً، وكانت الورقة التي في يد أبي مسلم هي جيش الشرق أو جيش خراسان والتي كان يخشاها أبو جعفر والتي لم يستطيع استغلالها في وجه أبي جعفر، مما جعل الأخير يحطم كل سلاح في يد أبي مسلم، فلم يجد أبو مسلم بداً من التسليم ليلقى نهايته.

على أية حال فقد كان أبو جعفر المنصور يرى أن خلافته مهددة بالزوال طالما بقي أبو مسلم على قيد الحياة؛ ويتخلصه منه سنة 137هـ أصبح المنصور الحاكم الفعلي للدولة الإسلامية⁽¹⁾.

مشكلة ولاية العهد أيام أبي جعفر المنصور:

أسند أبو العباس قبل وفاته ولاية العهد إلى أخيه أبي جعفر المنصور⁽²⁾ ثم لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباس بالتعاقب، فسار بذلك على سياسة الأمويين في توليه العهد لأكثر من واحد. فكان ذلك من عوامل ظهور الخلاف والنزاع بين أفراد البيت العباسي⁽³⁾.

لما توفي أبو العباس بالأنبار سنة 136هـ خلفه أبو جعفر المنصور الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، والذي يعزى إليه تمكين الأسرة العباسية من الحكم عدة قرون، وحرصه على إعلاء شأن الخلافة مما ساعد الخلفاء العباسيين على تدعيم سلطانهم⁽⁴⁾.

(أ) التمهيد لخلق عيسى بن موسى:

(1) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص 182.

(2) ونصه "هذا ما عهد أمير المؤمنين علي عبد الله بن محمد، فإن حدث بعبد الله حدث الموت فإلى عيسى بن موسى". أبو بكر: الأخبار الموفقيات ص 196، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج 10، العنبي: سياسة المنصور ص 373.

(3) جمال سرور: الحياة السياسية ص 180.

(4) العنبي: سياسة المنصور ص 162، بدر عبد الرحمن: ولاية العهد من بداية الدولة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجري. مكتبة الأنجلو المصرية ص 6 سنة 1986م.

تشير الدلائل على أن أبا جعفر التزم بكون عيسى بن موسى ولياً للعهد من بعده لبضع سنوات من حكمه، وكان هذا الالتزام ظاهرياً لعدم اقتناعه به. وقد كشفت الحوادث صحة ذلك؛ حيث كان سكوته طيلة السنوات المحصورة بين سنة 136-147هـ/753-764م ضرورة سياسية أملتها الظروف الحرجة التي مرت بها الدولة آنذاك. فلما تمكن من تصفية العناصر المناهضة له، وبدأت الأحوال تميل إلى الاستقرار والهدوء، عزَّزَ عليه بعد هذا الجهد الكبير الذي بذله أن يرث هذا الملك الواسع أحد من غير أبنائه لشعوره أن مآثر الأبناء تكملة وامتداد لحياة الآباء⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق بدأ المنصور بالفعل في نقض العهد السابق بكل وسيلة؛ ليهيئ المناخ الطبيعي لتولى ابنه المهدي بالخلافة من بعده، رغم أنه لم يكن ولده الوحيد⁽²⁾، ولكنه كان مشغوقاً به، شديد الحب له⁽³⁾.

وبدا المنصور بإعداد ابنه المهدي لمهام الخلافة، وأشركه في الأحداث السياسية. فأرسله إلى خراسان وهو ابن خمسة عشر سنة، على رأس حملة عسكرية لقمع ثورة عبد الجبار الأزدي⁽⁴⁾ وضم غلبه القائد خازم بن خزيمة وأمره بنزول الري، وبعد القضاء على

(1) العائى: سياسية المنصور أبى جعفر ص 373.

(2) أولاد المنصور ثمانية أولاد و بنت واحدة، أكبرهم كان جعفر الأكبر و يليه المهدي، انظر اليعقوبى ج 3 ص 127، الطبرى: ج 8 ص 102 ابن حزم: جبهة أنساب العرب، ص 12.

(3) ابن طباطبا: الفخرى ص 126 - ص 127.

(4) اختار المنصور لولاية خراسان صاحب شرطته عبد الجبار الأزدي، وهو أحد الدعاة العباسيين السبعين بعد وفاة واليها أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلي "فسار سيرة حسنة في أمهها ونظر في الحراج وقوى الدعوى، ويبدو أو الوشاية التي قام بها المسيب بن زهير الضى الذى أصبح رئيساً لشرطة المنصور بعد عزل عمر بن عبد الرحمن الأزدي عنه كانت السبب الرئيسى في دفع عبد الجبار للثورة، فتشير بعض الروايات على أن المسيب أفسد حال عبد الجبار عند الخليفة وأوحشه منه وأغراه به فكتب إليه أن المنصور قال ذات يوم من ولّى خراسان فأصلح ثغورها وأحسن السيرة في أهلها ورزق جنودها وكان يت ماله بعد ذلك عشرة آلاف ألف فهو الكامل، فكتب إلى المنصور يعلمه أنه عنده بعد سد الثغور وإعطاء المقاتلة عشرة آلاف ألف فكتب إليه المنصور في حملها، ولم تكن عنده، وإنما كذبه؛ وألح المنصور فيها فكتب عبد الجبار يسأله الإذن له في إشخاص عياله إليه فلم يأذن له في ذلك، فخلع وقال: إن أبا جعفر دعانى إلى عدته وأسرف في القول، وربما كان السبب الرئيسى في غضب الخليفة على عبد الجبار يعود على قتله للعناصر المعروفة بولائها للعباسيين. البلاذرى: أنساب الأشراف ج 4 ص 1 ب، اليعقوبى: ج 3 ص 110، الطبرى: ج 7 ص 503، العائى: ص 202-205.

الثورة⁽¹⁾، أمره بغزو طبرستان، فتم له ذلك، واستمر في الإقامة بالري، ولما قرر المجيء إلى العراق سنة 144هـ/761م احتفل بمقدمه، وأمر كبار البيت الهاشمي والقواد بتلقيه والترحاب به وزوجه بريطة بنت أبي العباس⁽²⁾.

لم تلبث هذه الأحداث أن أكسبت المهدي خبرة وتجربة في مجال السياسة، والحرب، فحظي باحترام البيت العباسي، وصار أبوه يجلسه عن يساره في مجلسه العام تقديرًا وإكرامًا، رغم أنه لم يجاوز الخامسة عشر من عمره⁽³⁾.

على أنه ذلك لا يخفى ما لعيسى بن موسى من خدمات جيلة أسداها للدولة العباسية، فقد قلده أبو العباس الكوفة تكريماً له، وقام بدور بارز في أخذ البيعة للمنصور وهو بمكة، كما أنه لم يجاوب مع أبي مسلم حين دعاه إلى خلع أبي جعفر وتصيبه بدلاً منه ونهره قائلاً: "ريحك يا أبا مسلم، إنما نحن بنى عمٍّ فأينا صار إليه الأمر فهو محل.. أو يجوز أن أتقدم على عمي وهو شيخ كبير. والله لو قدمني عليه أمير المؤمنين الماضي لكرهت ذلك"⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من اعتراف المنصور بجهود عيسى بن موسى الكبيرة، فإن رغبته في خلعه من ولاية العهد طغت على هذه الجهود. وبدأت بوادر هذه الرغبة منذ إرسال عيسى لقمع ثورة النفس الزكية⁽⁵⁾ بالمدينة سنة 145هـ/762م يدل عليها قوله: "لا أبالي أيها قتل صاحبه"⁽⁶⁾.

وبعد أن قضى عيسى على النفس الزكية زجه المنصور في قمع ثورة أخيه إبراهيم التي أعلنها في البصرة، وتمكن عيسى من القضاء على هذه الثورة أيضًا، غير أن تلك الانتصارات التي حققها عيسى بن موسى وأشاد بها المنصور في خطبه في الكوفة

(1) أن تمكن الجنيد بن خالد من أسر عبد الجبار وحمله إلى المنصور الذي أمر بضرب عنقه، البلاذري:

أنساب الأشراف ج4 ص1 ب، الطبري ج7 ص509، ابن الأثير: ج5 ص506.

(2) مخطوط أنساب الأشراف ج4 ص4 ب، العاني ص374.

(3) مخطوط أنساب الأشراف ج4 ص4 ب، العاني: ص374.

(4) ابن الأثير: ج5 ص419.

(5) محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(6) الطبري: ج7 ص577، الكامل: ج5 ص544، العاني: ص375 وهي نفس خطته مع أبي مسلم

وعبد الله بن علي.

وينداد⁽¹⁾، لم تكن حائلاً دون تنفيذ المنصور رغبته في خلعه من ولاية العهد، وبدأ بالشروع في وضع خطته سنة 147هـ/764م⁽²⁾. وسار فيها بين الترغيب والتهديد.

دور الترغيب:

بدأ أبو جعفر بجس نبض عيسى بن موسى للتعرف على مدى تحاويه وتقبله التنازل عن حقه في ولاية العهد، فاستدعاه وفاقحه في الأمر وكلمه بألين الكلام وأرفقه، فرد عليه عيسى بن موسى: "أمير المؤمنين، كيف بالإيمان، والعهد والمواثيق، ولئن فعلت هذا لتكون حجة لمن ترك الوفاء وخان العهد"⁽³⁾، ورفض إجابة المنصور إلى طلبه وقال له: "ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين"⁽⁴⁾، وأصر على موقفه، ولم تجد محاولات المنصور نفعا في غير موقف ابن موسى للعدول عن رأيه. وفي ذات الوقت استعان المنصور بالخطباء والشعراء⁽⁵⁾ لمدح ابنه وتبيان فضائله، ولتهئية الناس لقبول ما يمكن أن يقوم به المنصور تجاه ولي العهد الرسمى عيسى بن موسى.

دور التهيب:

أما دور التهيب فقد بدأ حينما غير المنصور موقفه الودى السابق في تقدير واحترام

(1) قال فيها: "إن عيسى بن موسى لم يزل مصيباً في رأيه سديداً في أمره، ماضياً في عزمه، كافياً فيما أسند إليه ميمون القبية فيها استكفيتها مؤيداً بالنصر، مستعملاً للأناة والصبر، وقد كفى الغائب، وناب عن الحاضر، فاحمدوا الله على ما وهب من رأى أمير المؤمنين وأهل بيت نبيكم". الأزدى: تاريخ الموصل ج2 ص194، العائى ص375-376.

(2) ابن خياط: تاريخه ج2 ص452، اليعقوبى: تاريخه ج2 ص119، الطبرى: ج8 ص9، الأزدى: تاريخ الموصل ج2 ص194.

(3) البلاذرى: أنساب الأشراف ج4 ص4 ب، الطبرى: ج8 ص10، العينى: عقد الجمان (مخطوط) ج7 ص195، العائى: ص276.

(4) الطبرى: نفسه، الأزدى: تاريخ الموصل ج2 ص200، الكامل ج5 ص373 (طبعة أزهريّة).

(5) منهم الشاعر أبو نخيلة بن جوز، ومضيق بن إياس الذى أسرف في المدح والثناء حتى أنه وضع حديثاً ونسبه إلى النبي ﷺ قال فيه: "المهدى منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملأها عدلاً كما ملئت جوراً". الأصفهاني: الأغاني ج12 ص81، ج16، ج18 ص129-152، ويذكر ج18 ص139، أن عيسى بن موسى قتل الشاعر أبا نخيلة بن جوز في طريق خراسان انتقاماً لتعريضه به. العائى ص376-377.

عيسى بن موسى، إزاء إصراره وتعتته في عدم تنازله عن حقه في ولاية العهد للمهدي، فلجأ إلى التقليل من مكانة عيسى بن موسى السياسية، فبعدما كان يجلسه عن يمينه في مجلسه العام ويستشيريه في الأمور الهامة، أخذ يجلس ابنه المهدي مكانه، ثم أخذ يأذن لأعيان البيت الهاشمي في الدخول عليه قبل عيسى بن موسى، فكان يأذن لعلي بن عيسى، ثم لعبد الصمد بن علي، واتباع لك بعض المضايقات لعلها تأتي بنتيجة، فكان يأمر بثر التراب عليه من سقف مجلسه⁽¹⁾.

ولما انتشر خبر محاولات المنصور لمضايقة عيسى بن موسى بين الجند، طمع هؤلاء بعيسى كي يرضوا الخليفة، فكان إذا ركب عرضوا له بما يكره وسمع الكلام⁽²⁾، فشكا ذلك إلى المنصور، في رسالة بعثها إليه يشكو ما قاله الجند الخراسانيين من إهانة وتهديد بالقتل⁽³⁾. فرد عليه المنصور⁽⁴⁾ ردًا هادئًا به خاطره، واعدًا إياه بأنه سيكشف أيدي أولئك المعتدين من الجند⁽⁵⁾.

ولكى يظهر المنصور أنه غير راضٍ عن تصرف هؤلاء الجند، استدعى قائد شرطته المسيب بن زهير الضبي وقال له: "تقدم على القنود والجند في أن يمسكوا لعن

(1) الطبري: ج8 ص10، العيني: عقد الجمن (مخطوط) ج7 ص195، العاني ص377.

(2) البلاذري: أنساب الأشراف ج4 ص4ب. وفي رواية أخرى أن المنصور حرض الجند على النيل من عيسى وشتمه. الطبري: ج8 ص14، الفخري: ص138.

(3) قال فيها: "لو سامني غيرك ما سامني لاستصرتك عليه ولاستشفعتك به إليك حتى تقر الحرم مقرها وتترك للوفاء منزلته، ونحن أول من يستن بعيننا فيها، وينظر إلى ما أخذناه منها، وقد استعنت بك على قوم لا يعرفون الحق معرفتك، ولا يلحظون العواقب لحظتك، فكن لي عليهم مغيرًا ومنهم مجيرًا يجزك خير جزائك عن صلة الرحم قطع الظلم إنشاء الله والصولي: كتاب الأوراق ج2 ص316، العاني: ص377-378.

(4) "لولا أنك تسأم النزول عن حق لك، وأحب في يدك لزال الضرع إليك والتحمل عيك، لولا أنني أخاف أن تسبق أيدي هذه العصبة من أهل الدولة إليك، لما كلفتك شاقًا، ولا حملتك مكروهًا، ولكنني عندك بالنصح لك، والإشفاق عليك في جنبه من لا يرضى منك إلا بزرادته، ولا يستهمل أيامك لسرعته وما الذي أسمو بك إليه بدون الذي يستنزلون عنه والله يوفقك ويحسن الاختير لك". المصدر السابق.

(5) الصولي: الأوراق ج2 ص316، العاني: ص378.

ابن أخى، ولا يؤذوه فإنه ثمرة قلبى، وجلدة ما بين عينى، من العقل والفضل والسخاء"⁽¹⁾.

ويبدو أن موقف المنصور هذا لم يكن سوى لعبة سياسية ذكية بدليل أنه لم يكف عن محاولته إجبار عيسى على التنازل، فعاد إليها واستهلها بأن أرسل إلى عيسى كتابًا طويلًا⁽²⁾ ذكر فيه "ما قذفه الله في قلوب أنصار الدعوة وأهل المشايعة على الحق وشرها من محبة المهدي ومودته وفضله، حتى صاروا له صاغين ولأعناقهم مادين، لا يذكرون إلا فضله، ولا يعرفون إلا حقه، ولا يفهمون إلا باسمه، وأنه لما رأى ذلك، علم أنه أمر نولاه الله له ليس للعباد فيه صنع وأنه لا بد من استصلاحهم ومتابعتهم، ويعلمه الله أنه يرى له إذا اجتمع الناس على ابن عمه أن يكون أول ما يبدر إلى البيعة له، وأن يعرف له ما عرفوه ويؤمل فيه ما أملوه"⁽³⁾. فلما وصل الكتاب إلى عيسى بن موسى كتب إليه كتابًا شديد اللهجة جوابًا على ذلك⁽⁴⁾. يذكره الوفاء، ويعلمه أن كثيرًا من الناس قد نازعتهم أهواؤهم ودعتهم أنفسهم إلى مثل الذى هم به ولده، فأثروا الله وحقه وكرهوا الغدر وعاره وسوء عواقبه في الدنيا والآخرة، فأمسكوا عن ذلك وكرهوه"⁽⁵⁾.

وحين وصل كتاب عيسى إلى المنصور، قرأه غضب غضبًا شديدًا "فقرأه على الناس، فعاد القواد والجند لأشد ما كانوا عليه، وكان أشد الناس في ذلك قولاً أسد بن المرزبان، ونصر بن حرب، وعقبة بن مسلم، فكانوا يأتون باب عيسى فيمنعون من أن يدخل عليه أحد، ويسرون إذا ركب ويقولون: أنت البقرة التى قال الله (فذبوها وما كادوا يفعلون)"⁽⁶⁾ فشكاهم إلى المنصور الذى قال له: إن هؤلاء القوم قد غلب عليهم حب هذا الفتى، واجتمعت عليه آراؤهم، وأنا والله يا ابن أخى وحبيب قلبى، أخاف عليك وعلى

(1) أنساب الأشراف: ج4 ص4 ب (مخطوط).

(2) انظر الطبرى: ج8 ص 14 - 17، الصولى: الأوراق ج2 ص 20 وما بعدها؛ وقد أورد بعض فقراته البلاذرى: أنساب الأشراف، ج4 ص4 ب، واليعقوبى: تاريخه ج3 ص 119.

(3) أنساب الأشراف: ج4 ص4 ب بن اليعقوبى: ج3 ص 119.

(4) الطبرى: ج8 ص 17 - 19، الصولى: الأوراق ج2 ص 313 وما بعدها، وهناك كتب أخرى أوردتها الصولى ج2 ص 319.

(5) أنساب الأشراف: ج4 ص4 ب، اليعقوبى: ج3 ص 119.

(6) سورة البقرة، الآية 71

نفسى، فلو قدمته بين يديك، حتى يكون بينى وبينك كفواً وأنا لك ناصح وأنت أعلم"⁽¹⁾.

واختلف المؤرخون في وصف الطريقة التى لجأ إليها المنصور لإجبار عيسى ابن موسى على البيعة للمهدى، وذكروا في ذلك روايات عدة منها رواية تقول: "إن المنصور أمر بختنق موسى بن عيسى بحضرة أبيه، فخاف عيسى على ابنه وخلع"⁽²⁾.

وقد روى الطبرى تلك الرواية لكنه شكك في صحتها فقال: "وهذه القصة فيما قبل منسوبة إلى آل عيسى أنهم يقولونها"⁽³⁾، أما البلاذرى فرواها بصورة مختلفة فقال: "وقال قوم من ولد موسى بن عيسى، أمر المنصور بموسى فختنق بحمايل سيفه وضمن له المنصور رضاه فوق له"⁽⁴⁾.

وهذا التضارب الوارد في أحداث الرواية وأشخاصها يجعلنا شك في صحتها خاصة إذا علمنا أن من أبرز سمات المنصور الوصول إلى هدفه دون أن يعطى الآخرين الفرص لتوجيه إصبع الاتهام إليه.

أما الرواية التى تذكر "أنه ذهب إلى عيسى بن موسى ثلاثون رجلاً فسألوه أن ينزل عن الخلافة فأبى..."⁽⁵⁾ فقد رواها كل من الطبرى⁽¹⁾، والأزدى⁽²⁾ عن أبى الأسوارى،

(1) أنساب الأشراف ج4 ص4 ب، وانظر الطبرى: ج8 ص19، ابن الأثير ج5 ص275 (ط أزهرية)، ابن طباطبا: الفخرى ص138 وتشير بعض الروايات إلى أن الخليفة استعان بعمه عيسى بن على لإقناع عيسى بن موسى بالنزول والبيعة للمهدى، فقام هذا بدس شربة سم لعيسى بن موسى فأقلت منها بعد أن شارب على الموت، انظر الطبرى: ج8 ص14.

(2) فقد قيل للمنصور: إن عيسى إنما يحب الخلافة لولده موسى، فلو أوهمته قتله لنزل عن الخلافة، فأخذ ولده بحضرته، وقال للربيع: اختفه. فلف حمايل سيفه على عنقه، يومه أنه يخنقه، فلما رأى عيسى الجد قان: أشهدك أن نسائي طوالق ومما ليكى أحراراً، وكل ما أملك فى سبيل الله، وهذه يدى بالبيعة للمهدى، ابن الجوزى: المنتظم ج8 ص147.

(3) الطبرى: ج8 ص11-14.

(4) أنساب الأشراف ج4 ص4 ب.

(5) يذكر ابن الجوزى: أنه ذهب إلى عيسى بن موسى ثلاثون نفساً فسألوه أن ينزل عن الخلافة، فلم يفعل، فخرجوا، فأخبروا المنصور أنه قد نزل وشهدوا عليه بذلك، فكتب بذلك الأخبار، فلما أنكر شهدوا عليه، المنتظم ج8 حوادث سنة 147هـ.

فمصدر الرواية عند كليهما واحد، أما رواية ابن طباطبا⁽³⁾، والعيني⁽⁴⁾، فهما متأخران، ومع هذا فإن هذه الرواية تعارضها رواية البلاذري⁽⁵⁾، والطبري⁽⁶⁾ اللذين ذكرا "أن مسلم (سالم) بن قتيبة دخل على عيسى فقال له: "أيها الرجل بايع هذا الأمير وقدمه، فإنك لن تخرج من الأمر وأرض عمك، فقبل قوله وبايع"⁽⁷⁾.

وأساس التعارض في الروایتين هو كيف أن عيسى بن موسى لم يستجب لطلب خالد بن برمك ومن معه من كبار رجال الشيعة رغم إلحاحهم عليه واستجاب لقول مسلم بن قتيبة فضلاً عن أن ابن الأثير ضعف هذه الرواية حين قال: وقيل إن أبا جعفر بعث إلى خالد بن برمك وأرسله إلى عيسى ليسأله النزول عن حقه.

أما الرواية التي يمكن قبولها والقول بأنها العامل المؤثر في تنازل عيسى بن موسى هي التي ذكرت بأن "الجند كانوا يؤذون عيسى إذا ركب.. فبايع" لأن الدلائل تشير إلى أن المنصور استعمل مع عيسى الأذى في بادئ الأمر، لرفضه الاستجابة لطلب التنازل، حتى وصلت إحداها إلى دس السم بغرض التخلص منه⁽⁸⁾، فلما باءت المحاولة بالفشل، واضطر الخليفة لاستعمال أسلوب العنف المقرون "بالتهديد والوعيد"⁽⁹⁾، فسلط عليه بعض الجنود الخراسانيين الذين أهانوه وشتموه وهددوه بالقتل⁽¹⁰⁾، في محاولة لإجباره على التنازل، فشكاهم إليه، ولكن الخليفة لم يتخذ إجراء صارم تجاههم لرددهم وإيقافهم عند حددهم، وكتب إلى عيسى كتاباً يطلب منه النزول عن ولاية العهد لابنه، معللاً طبعه

(1) الأمم والملوك ج8 ص19 وما بعدها.

(2) تاريخ الموصول ج2 ص200-201.

(3) الفخري: ص138.

(4) مخطوط عقد الجمان: ج7 ص195.

(5) مخطوط أنساب الأشراف: ج4 ص4 ب.

(6) الأمم والملوك: ج8 ص24.

(7) ذكر ابن الجوزي: المنتظم حوادث سنة 148هـ أن مسلم بن قتيبة أشار عليه بذلك فقبل منه.

(8) البلاذري: أنساب الأشراف ج4 ص4 ب وانظر الطبري: ج8 ص19.

(9) ابن كثير: البداية والنهاية ج10 ص104.

(10) أنساب الأشراف ج4 ص4 ب، وانظر اليعقوبي ج3 ص118، الطبري: ج8 ص14، ابن

طباطبا: الفخري ص138.

هذا بأنه يخاف عليه أن يقوم الجند ضده أن استمر في رفضه⁽¹⁾.

وإزاء هذه التهديدات التي واجهها من الجند الخرسانيين، وتيقنه من عدم حماية المنصور له، الأمر الذي أدى به أن يتخس على نفسه من تنفيذهم تهديداتهم، وسلم بالأمر الواقع وبائع للمهدي، يؤيد ذلك قول البيهقي "وقدم عيسى بن موسى بغداد، فوثب به الجند يوماً بعد يوم وصاروا إلى بابه حتى خاف على نفسه، فلما رأى ذلك رضى وسلم فبايع المنصور بولاية العهد لابنه المهدي سنة 147هـ⁽²⁾.

وبعد أن خنع عيسى بن موسى أغدق عليه لخليفة وعلى ولده الأموال والعطايا الخزيلة⁽³⁾، فكسب ودهم وأزال ما علق في قلوبهم من كراهية وغط من جراء الإكراه في التنازل للمهدي، وهي من الناحية الأخرى تظهر للناس أن عيسى تنازل عن حقه وباع نصيبه بالمال⁽⁴⁾.

على أية حال فقد اطمئن المنصور بذلك على مصير الخلافة من بعده، فضمن استمرارها في ذريته، وهو الهدف الذي سعى إلى تحقيقه، وأكد هذا المفهوم في سنة 151هـ/ 768م حين جدد البيعة لنفسه ولابنه المهدي ولعيسى بن موسى من بعد المهدي على أهل بيته بمحضر منه في مجلسه، فكان من بايعه يقبل يده ويد المهدي، ثم يسمح على يد عيسى ابن موسى ولا يقبل يده⁽⁵⁾.

(1) أنساب الأشراف ج4 ص4 ب، البيهقي: نفسه الطبري: ج8 ص119، الصولي: كتاب الأوراق ج2 ص316.

(2) البيهقي: ج3 ص119.

(3) أعطاه على حد قول بعض الروايات أحد عشر ألف ألف درهم، الطبري: ج8 ص35، ابن الجوزي: المنظم ج8 حوادث سنة 147هـ ابن الأثير: ج9 ص275 (طبعة زهرية)، الفخري: ص138.

(4) فقد ألزم عيسى بن موسى على أن يعلن بنفسه على الناس أنه سلم ولاية العهد للمهدي وقدمه على نفسه، وأنه باع نصيبه عن تقدمه في ولاية عمه أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي بعده بعشرة آلاف ألف درهم وبطبيع نفس منه ورغبة منه في تصييرها إليه لأنه أولى منه بالتقدم فيها وأحق وأقوى بها وأقوى على القيام بها منه. الجشياري: الوزراء والكتاب ص127، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص117.

(5) البسوي: المعرفة والتاريخ ج1 ص138، الطبري: ج8 ص39، الأزدي: تاريخ الموصل ج7 ص214، العاني: ص386.

المهدي⁽¹⁾ (158-169هـ / 775-785م):

توفي أبو جعفر المنصور سنة 158هـ/775م بعد أن عهد لابنه المهدي بالخلافة ومن بعده عيسى بن موسى، وقضى المهدي في الخلافة زهاء عشر سنين تعتبر فترة انتقال بين عهد الشدة والقمع الذي ساد عهد من سبقه من الخلفاء العباسيين، وعهد الاعتدال واللين الذي امتازت به أيامه، وقد ذكر المؤرخون أنه رد الأموال التي صادرها أبوه على أهلها العلويين الذين حبسهم أبوه وعفا عنهم وأدر عليهم الأرزاق⁽²⁾.

وفي عهد المهدي خرج عبد الله بن مروان بن محمد الأموي ببلاد الشام سنة 161هـ فتمكن المهدي من هزيمته وحبسه ثم عفا عنه⁽³⁾، كذلك حرج عليه سنة 162هـ عبد السلام بن هشام اليشكري في الجزيرة (بالعراق) واشتدت شوكته وعاث في الأرض، ولكنه هزم وقتل في قنسرين⁽⁴⁾، كما خرج بالموصل رجل من بني تميم يدعى ياسين واستولى على أكثر ديار ربيعة ومضر، فحلت به الهزيمة، وثار أهل الخوف في مصر (بالقرب من بليس) وقتلوا عامل المهدي الذي ندب لقتلهم الفضل ابن صالح العباس، ولكنه وصل إلى مصر بعد وفاة المهدي وتمكن من هزيمتهم⁽⁵⁾.

المهادي⁽⁶⁾ (169-170هـ / 785-786م):

لم تطل خلافة المهادي فقد توفي ببغداد في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 170هـ بعد أن ظل في الخلافة سنة وشهراً واثنين وعشرين يوماً - وقد اشتهر عنه حبه للإسراف في

(1) ولد محمد بن عبد الله المنصور بالحريمة يوم الخميس ثلاث عشرة ليلة خلت من حمادى الآخرة سنة 126هـ وأمه أروى بنت منصور بن عبد الله الحميرى وعنى أبوه بتتقيفه وعهد به إلى المفصل الضبي فعلمه تعليماً عربياً فشأ فصبأ يقول الشعر ويحده، ويحفظ كثيراً من أمثال لعرب، ابن عبد ربه: العقد الفريد ج5 ص115، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج5 ص391، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج2 ص40.

(2) الطبري: ج8 ص81، ابن الأثير: ج5 ص48.

(3) الطبري: ج8 ص135-136، ابن الأثير: ج5 ص60 بيروت.

(4) الصبري: ج8 ص142، ابن الأثير: ج5 ص60، ابن كثير: البداية والنهاية ج10 ص135.

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج2 ص42.

(6) هو موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، الطبري: ج8 ص187.

العطاء، كما أنه عدل عن البيعة لابنه جعفر بدلاً من أخيه الأكبر هارون الرشيد، نظراً لصغر سنه وسمعاً لنصيحة يحيى البرمكي⁽¹⁾، كذلك تمكن من استخلاص الخلافة وتنجيه أمه الخيزران التي كانت متسلطة في عهد أبيه المهدي، وأرادت أن تمتد سطوتها إلى ابنه، وجعلت الناس يتوافدون عليها لاستشارتها فمنع الناس من ذلك⁽²⁾.

هارون الرشيد (170-193هـ / 786-809م):

يعتبر هارون الرشيد أشهر خلفاء بني العباس، فقد بلغت بغداد في عهده درجة لم تصل إليها من قبل، فأصبحت مركز التجارة وكعبة رجال العلم والأدب واشتهر اسم الرشيد في بلاد الغرب (أوروبا) لما كان بينه وبين شارلمان - ملك لفرنجة - من العلاقات السياسية وأواصر الود والصفاء، كذلك عرفته الإمبراطورية البيزنطية بطلاً محارباً منذ أن ولاه أبوه الصائفة في سنتي 163-165هـ لأرغم الإمبراطورة إيريني⁽³⁾ "أوجسطه"⁽⁴⁾، وكانت وصية على ابنها قسطنطين السادس⁽¹⁾ -

(1) الطبري: ج8 ص207-213، ابن الأثير ج5 ص77-79، الفخري في الآداب السلطانية ص172.
(2) ذكر ابن طاطايا: الفخري في الآداب السلطانية ص172، أن المهدي كان شديد الغيرة على النساء وكره أن يتوافد الناس على دار أمه لقضاء حاجاتهم، ويزيد المسعودي: مرج الذهب ج2 ص261 هذه المسألة بياناً فيقول أن المهدي كان كثير الطاعة لأمه وكان يجيها إلى ما تسأله من قضاء الحاجات فسألته يوماً قضاء مسألة رجل لم يجد لقضائها سبيلاً، فأخت في الطلب وقامت مغضبة فقال لها مهذباً متورداً: "لئن بلغني أنه وقد باباك أحد من قوايدي، أو من خاصتي وخدمى = لأضربن عنقه ولأقبصن ماله. فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواقب التي تغدو وتروك إلى بابك كل يوم، أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك: إياك أن تفتحي فاك في حاجة لمسلم أو ذمي". انظر أيضاً الطبري: ج8 ص206 بير وت.

(3) إيريني: زوجة الإمبراطور ليو الرابع "الخزري" (775-780م) يونانية من أثينا، وكان ليو الرابع من متاوثي عبادة الأيقونات، غلا أنه تحت تأثير زوجته إيرين أظهر بعض التسامح بالنسبة لعبادة الأيقونات، إلا أنه قبل موته اتبع سياسة تبعد عن التسامح مع الأيقونيين، وبدأ حركة اضطهاد شديد ضدهم. عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية ص120.

(4) كانت إيريني إمبراطورة الدولة البيزنطية في هذه الفترة تواجه مصاعب داخلية كبيرة بعد أن قضت على مقاومة ابنها قسطنطين، وانشغلت الإمبراطورية بالصراع بين أفرادها على السلطة، فأهملوا الدفاع عن حدود الدولة، ولم يعروا أية أهمية إلى تقوية الإمبراطورية وازدهارها، بالإضافة إلى النزاع العائلي حيث سارت الإمبراطورة على سياسة معاكسة لسياسة زوجها، هذا فضلاً عن الانقسام

على طلب الصلح الذي انتهى بعقد هدنة بين العباسيين والبيزنطيين مدتها ثلاث سنوات⁽²⁾.

الفتن والثورات في عهد الرشيد:

خرج الوليد بن طريف الشاري الشيباني على هارون الرشيد سنة 178هـ وانتصر على جيشه أكثر من مرة فقتل والي نصيبين، ثم مضى إلى أرمينية، وأذربيجان، وعاث فيها فسادًا، ثم عاد إلى الجزيرة سنة 179هـ وعبر نهر دجلة حتى وصل حلوان (آخر بلاد العراق) واشتدت شوكته وكثر أتباعه، فبعث الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني⁽³⁾، وسرعان ما حلت الهزيمة بجند الوليد بن طريف وقتل⁽⁴⁾.

بين صفوف قادة الجيش وزعمائه الذي أدى إلى انحياز بعضهم إلى صفوف قادة الجيش وزعمائه الذي أدى إلى انحياز بعضهم إلى صفوف المسلمين، فقد انحاز تانزيت إلى هارون الرشيد بسبب كرهه للرحال المحيطين بالإمبراطورة، وكان هذا القائد خير عون هارون من الناحية العسكرية. فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص222.

(1) كانت إيريني وصية على ابنها قسطنطين السادس، فلما بلغ ابنها سن الرشيد طالب أمه بحقه في الحكم، غير أن الإمبراطورة إيريني التي ذاقَت طعم السلطة عمت على إثارة العفصات ضد ابنها بإثارة الكراهية ضده بين الأيقونيين من رعاياه - كما دبرت ضده فضيحة أخلاقية فساعدته في أن يطلق زوجته ليتزوج من عشيقته الأمر الذي أثار رجال الدين ضده فأمر بالقبض على رهبان دير سكاديون مما أثار الرأي العام ضد ابنها ومن ثم قامت بتدبير مؤامرة للقبض على ابنها وسجنه وأمرت بسمُل عيناه. عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية ص122-125.

(2) حسن إبراهيم حسن: ج2 ص51 وكان من شروط الصلح: أ- أن تدفع إيريني إتاوة سنوية تقدر بين 70 ألف إلى 90 ألف دينار على دفعتين. ب- أن ترسل إيريني رسولاً يمثلها شخصياً على الخليفة المهدي في بغداد ومعه هدايا الذهب والفضة وغيرها من العروض كالملايس الحريرة.

ج- أن تقدم إيريني الأدلاء والعداء إلى المقاتلة المسلمين في طريق عودتهم إلى بلادهم عبر الأناضول، وأن تسهل طريق العودة بكل الوسائل الممكنة. فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص223.

(3) ابن أخى معن بن زائد الشيباني بطل موقعة يوم الراوندية، الطبري: ج8 ص256، ابن الأثير: ج5 ص97.

(4) الطبري: ج8 ص261.

خلفاء العصر العباسي الأول (132-232هـ / 750-850م)

وفي إفريقية استمرت قبائل البربر تنازع العباسيين بين سنتي 178-181هـ كما أخذت في التخلص عن الحكم الإسلامي، وغدت كفة النصر ترجح في جانبهم حيناً وفي جانب العباسيين حيناً آخر، حتى بعث إليهم الرشيد هرثمة بن أعين على رأس جيش كثيف استطاع أن يقضي عليهم ويظفي جذوة ثورتهم⁽¹⁾، ثم قامت دولة الأغالبة على يد إبراهيم بن الأغلب الذي ولى هذه البلاد من قبل الرشيد لتأديب البربر والوقوف في وجه الأدارسة إذا أرادوا الإغارة على أراضي الدولة العباسية، غير أن الأغالبة ما لبثوا أن استقلوا بدولتهم عن الخلافة العباسية، وأصبحت تبعيتهم للخلافة تبعية اسمية، واتخذوا مدينة القيروان⁽²⁾ حاضرة لهم، واستمرت دولتهم حتى استولى الفاطميون عليها سنة 296هـ⁽³⁾.

وفي سنة 176هـ تحولت المنازعات القديمة بين الليانيين والعبدانيين في بلاد الشام إلى حرب مستعرة، وبقيت دمشق زهاء سنتين مسرحاً للانقسامات والحروب الداخلية، إلا أن الرشيد ولى موسى بن يحيى بن خالد البرمكي بلاد الشام فأصلح بين أهلها وسكنت الفتنة⁽⁴⁾.

كانت بلاد خراسان التي وليها على بن عيسى بن ماهان⁽⁵⁾ مصدرًا للفتن والقتل في عهد هارون الرشيد، نظرًا لسياسة الظلم والعسف واغتصاب الأموال التي سار عليها هذا الوالي، والذي استطاع أن يكسب ثقة الرشيد بالهدايا ولطف التي بهرته، فلما اشتكى أهل خراسان وكتبوا إلى الرشيد يستغيثون، فزار الرشيد⁽⁶⁾ على الرى ومعه ابنه عبد الله والقاسم، فلما صار بقرمايسين استدعى جماعة من القضاة وغيرهم وأشهدهم بأن جميع ما

(1) الطبري: ج8 ص256، 266.

(2) إلى الجنوب الغربي من مدينة تونس الحالية.

(3) الطبري: ج8 ص272، ابن الأثير: ج5 ص109، ج6 ص124 وما بعدها.

(4) الطبري: ج8 ص251-252.

(5) يذكر الطبري: ج8 ص314 حوادث سنة 189هـ "أن الرشيد كان استشار يحيى بن خالد في تولية خراسان على بن عيسى بن ماهان - فأشار عليه ألا يفعل فحالعه الرشيد في أمره فولاه إياها.

(6) دعا الرشيد يحيى بن خالد فشاورة في أمر على بن عيسى وفي صرفه وطلب منه أن يشير عليه برجل يرضاه خراسان يصلح ما أفسده على بن عيسى فأشار عليه يزيد بن مزيد فلم يقبل مشورته، الطبري: ج8 ص35.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

له في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكرام وما سوى ذلك لعبد الله المأمون وجدد البيعة له على ما كان معه، ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرسه إلى بغداد، فعاد أخذ البيعة إلى محمد بن هارون وإلى من بحضرته لعبد الله القاسم⁽¹⁾.

لما بلغ على بن عيسى ذلك قابِل الرشيد بالبري، وقدم فروض الولاء والطاعة، كما قدم ألواناً من الهدايا والطرف للرشيد وكبار رجال الدولة الذين صحبوه، فرضي عنه الرشيد وعاد إلى بغداد، وأعاد على بن عيسى على خراسان⁽²⁾، إلا أن هذا الوالي عاد إلى سيرته الأولى في استبداده، فأرسل إليه الرشيد القائد المعروف هرثمة بن أعين وكتب عهداً بتوليته خراسان عام 191هـ فلما وصل هرثمة إلى مرو عاصمة خراسان قبض على على بن عيسى وصادر أمواله وأرسله مكبلاً إلى الخليفة ببغداد، فأمر الرشيد بحبس وحبس ولده وقبض أمواله، ولم يزل محبوباً حتى وفاة الرشيد⁽³⁾.

ترتب على سوء سيرة على بن عيسى في خراسان قيام رافع بن الليث بن نصر بن سيار بالثورة عام 190هـ في سمرقند؛ وذلك أن رافع بن الليث تمكن من إخراج امرأة من ذوى اليسار غاب عنها زوجها من الإسلام إلى الكفر وتزوج بها⁽⁴⁾، فبلغ ذلك الرشيد، فأمر على بن عيسى بأن يفرق بين رافع وزوجته وأن يعاقبه على فعلته، فتمكن كل من والي خراسان وعامل سمرقند من تنفيذ أوامر الخليفة وحبس رافع الذى تمكن من الفرار من سجنه⁽⁵⁾ واستغاث بولد على بن عيسى. فتوسط له عند أبيه فأمنه وردّه إلى بلده، فثار

(1) الطبرى: ج8 ص 314 - 315، الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص 277، ابن الأثير: ج5 ص 121 - 122.

(2) الطبرى: ج8 ص 315 - 316 حوادث سنة 189هـ ابن الأثير: ج5 ص 120 - 121.

(3) الطبرى: ج8 ص 324 - 337، ص 340، أرمينوس فاميرى: تاريخ بخارى ص 91.

(4) كانت هذه السيدة زوجة ليحيى بن الأضعث بن يحيى الطائى وهى ابنة عمه أبى النعمان وكانت ذات يسار، أقام بمدينة السلام وتركها بسمرقند، فلما طال مقامه بها، وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد، التمسّت سبيّاً للتخلص منه، فعى عليها، وبلغ رافعاً خرها فطمع فيها وفى ما لها ففدس إليها من قال لها: أنه لا سبيل إلى التخلص من صاحبها إلا أن تشرك بانه وتحضر لذلك قومًا عدولاً وتكشف شعرها بين أيديهم ثم تتوب فتحل للأزواج، ففعلت ذلك وتزوجها رافع. انظر الطبرى: ج8 ص 319، ابن الأثير: ج5 ص 122، أرمينوس فاميرى: تاريخ بخارى ص 90 - 91.

(5) الطبرى: ج8 ص 219، ابن الأثير: ج5 ص 122، فاميرى: تاريخ بخارى ص 90 - 91.

لنفسه ومن عامل المدينة سليمان ابن محمد وقتله، واتبعه كثير من أهالي سمرقند والشاش (طشقند) وفرغانه وأشروسنة وغيرها من بلاد ما وراء النهر⁽¹⁾.

ندب الخليفة هارون الرشيد هرثمة بن أعين لقتال رافع بن الليث فتمكن هرثمة من قتل الكثير من أصحاب رافع، ونجح في فتح بخارى وأسر أخا لرافع، إلا أن ثورة رافع استمرت حتى خرج الرشيد بنفسه لحربه، غير أن المنية عاجلته وهو في طريقه إليه، واستمر حال رافع حتى أيام المأمون⁽²⁾.

البرامكة:

كان برمك جد الأسرة البرمكية سادن (المشرف على خدمة) بيت النار ببلخ⁽³⁾ في خراسان، وكان برمك⁽⁴⁾ وأسرته يدينون بالمجوسية ولما ظهر الإسلام أسلم بعضهم، وظهر منهم أوائل الدولة العباسية خالد بن برمك الذي تقلد الوزارة في عهد السفاح⁽⁵⁾ والمنصور واتخذ هارون الرشيد يحيى بن خالد قبل أن يلى الخلافة كاتباً له، ولما ولي الخلافة استوزر يحيى؛ فعلا شأنه وبعد صيته وأصبح هو وأولاده كعبة الآمال وغدت تشد إليهم الرحال⁽⁶⁾.

(1) الطبري: نفس المرجع والصفحة، ابن الأثير: نفسه.

(2) الطبري نفسه ص 341-342، فاميري: ص 91.

(3) كان يعرف بمعبد النوبهار وكان القرس يسمون من شرف على شئون هذا المعبد برمكا. انظر

الجهشياري: الوزراء والكتاب حاشية رقم (1)، جمال سرور: الحياة السياسية ص 210.

(4) عاصر برمك الخليفة هشام بن عبد الملك (105 - 125هـ / 724 - 743م) ويروى أنه اعتنق الإسلام في أواخر أيامه، جمال سرور: نفس المرجع والصفحة.

(5) قرب السفاح خالد بن برمك إليه وأولاه ثقته وأحله من نفسه محل التعظيم والتكريم، ولكنه لم يقتر بذلك وأبى إلا أن يظهر بمظهر المتواضع وتجنب أن يسمى وزيراً، رغم أنه كان يعمل عمل الوزراء خشية أن يحل به ما حل بأبي سلمة الحلال، ثم أسند إليه المنصور ولاية الموصل سنة 158هـ ففسس أهلها أحسن وقهر المفسدين من الأكراد، وكان المنصور يرجع في رأيه إلى حتى أنه لما أراد أن يعدم إيوان كسرى ليستخدمه في بناء قصر له عدل عن ذلك بعد أن بين له خالد أن نفقة هدمه أكثر من عائد نفعه. الطبري ج 8 ص 54، 56. ابن طباطبا: الفخرى ص 134، جمال سرور: ص 210.

(6) الفخرى: ص 173، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج 2 ص 54.

وكان يحيى بن خالد البرمكى أشهر رجال عصره علمياً وأدبياً وفضلاً وجوداً ونبلاً وكان في الثانية عشرة من عمره حين قامت الدولة العباسية فترى في كنفها وشمله المنصور بعطفه فولاه آدرينجان سنة 158هـ⁽¹⁾ واختاره المهدي كاتباً له ونائباً لابنه هارون، فخرج معه في الصائفة (المعارك الصيفية) لغزو البيزنطيين، ولما تولى هارون بلاد المغرب سنة 163هـ⁽²⁾ ساعده يحيى على النهوض بأعبائها وأخلص له كل الإخلاص، ولما أراد الهادي أن يخلع هارون من ولاية العهد نصح له بالعدوان عن هذا الرأي نظراً لصغر ابن الهادي، غير أن الهادي⁽³⁾ سرعان ما وقع تحت تأثير بعض قواده اجتمعوا به وطالبوه بأن يخلع هارون ويباع ابنه جعفر تقريباً إليه ورغبة فيما يصل إليهم من العطايا، فبعث في طلب يحيى وتحدث معه في مسألة نقل ولاية العهد إلى ابنه جعفر، فأخذ يحيى يهدئ من ثائرة غضبه ويحاول جهده أن يثنيه عن عزمه، على أن انحياز يحيى إلى هارون جعل الهادي يحقد عليه فقال له: لقد أفسدت على أختي وأمر بحبسها، ففقدت في سجنه ليلة، ثم توفي الهادي، فأطلقت أمه الخيزران سراحه فذهب يحيى من فوره إلى هارون وهنأه بالخلافة⁽⁴⁾.

لم يلبث هارون الرشيد أن قلد كاتبه الوفي المخلص يحيى بن خالد البرمكى الوزارة بعد اعتلائه عرش الخلافة، وفوض إليه أمر دولته، واستعان بأولاده الأربعة جعفر والفضل ومحمد وموسى، ونهض يحيى بأعباء الدولة أتم نهوض، فكان يحيى وابناء الفضل وجعفر يجلسون للناس جلوساً عاماً في كل يوم على انتصاف النهار، وينظرون في أمورهم وحوادثهم، وقد أتمدت إدارة الدواوين إلى يحيى بن خالد مع الوزارة سوى ديوان الخاتم الذي تقلده أبو العباس الطوسي، وديوان النفقات الذي عهد به يحيى إلى الفضل بن الربيع⁽⁵⁾.

وكان الفضل أكبر أبناء يحيى من كرام أهل عصره، وكان عضد أبيه، ينوب عنه في مهام أعماله، ولما ولد الأمين عهد الرشيد على الفضل بتربيته وفي سنة 176هـ نذب الفضل

(1) كان أبو جعفر المنصور معجباً بيحيى بن خالد وكان يقول: ولد الناس ابنًا وولد خالد أبًا. الطبري: ج8 ص56.

(2) الطبري: ج8 ص146-147، جال سرور: ص211.

(3) الجيهياري: الوزراء والكتاب ص170، ابن طباطبا: الفخرى 174.

(4) كان ذلك سنة 170هـ الطبري: ج8 ص207-213.

(5) الطبري: ج8 ص233 حوّد سنة 170هـ الجيهياري: الوزراء والكتاب ص177، ص178، ص179.

الحرب يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي ثار في بلاد الديلم، فاستطاع بحسن سياسته ودهائه أن يستميله على الصلح ويحصل له على أمان بخط الخليفة⁽¹⁾.

وفي سنة 178هـ ولاء هارون بلاد خراسان، ففضى على الفتنة التي قامت بهان وأحسن معاملة أهلها وبني بها المساجد والأربطة، وأمر بهدم بيت التوبهار (بيت النار) وبني موضعه مسجدًا، وزاد من عدد الجند ولقواد وحذا حذو أبيه في الكرم وإجزال العطاء على الوافدين إليه وعلى الكتاب ثم عاد بعد سنة إلى بغداد⁽²⁾.

أما جعفر بن يحيى فقد اشتهر بالفصاحة والفظنة والحلم و لكرم، وكان يحيى بن خالد يميل إلى ابنه الفضل، أما هارون فكان يأنس بجعفر لحسن أخلاقه ويؤثره على الفضل، وكثيرًا ما يقول ليحيى: أنت للفضل وأنا لجعفر، وبلغ من حرصه على صداقته أن أنزله قصر الخلد على مقربة من قصره⁽³⁾، ونظرًا لأنس هارون بجعفر، فقد عمل على التخلص من الفضل لشراسة أخلاقه حتى قيل إن الرشيد قال يومًا ليحيى: يا أبا ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفرًا بذلك فقال يحيى: لأن الفضل يخلفني. قال: فضم إلى جعفر أعمالًا كأعمال الفضل، فقبل يحيى: إن خدمتك ومنادمتك يشغلانه عن ذلك، فجعل إليه أمر دار الرشيد، فسمى بالوزير الصغير أيضًا⁽⁴⁾.

لم يلبث الرشيد أن نقل ديوان الخاتم من الفضل إلى جعفر لعلو منزلته عنده ومحبة إياه، وولاه مصر في سنة 176هـ وأرسله سنة 180هـ إلى بلاد الشام حين ثار أهلها، فأزال أسباب التذمر، وأطمأنت خواطر أهل الشام، فَعَلَّتْ منزلته عند الرشيد، فأُسند إليه في هذه السنة ولاية خراسان ثم ولاء حراسة الجيش⁽⁵⁾.

أما موسى فكان أشد أبناء يحيى البرمكي بأسًا وقائدًا ومحكمًا، ولاء الرشيد بلاد الشام سنة 176هـ. فأصلح أمورها، غير أن علي بن عيسى والي خراسان أوقع بموسى عند

(1) الطبري: ج8 ص242-243، الجهشيارى: ص189-193.

(2) الطبري: ج2 ص257، ص261، الوزراء والكتاب ص183-193.

(3) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص189-192، محمد جمال الدين سرور: الحية السياسية ص212.

(4) ابن طباطبا: الفخرى ص185-186، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج2 ص57.

(5) الطبري: ج8 ص252، 262 بيروت.

الرشيذ ورماه بتهمة إثارة الاضطرابات فيها والخروج على طاعة الخلافة، واتفق أن اختفى موسى بسبب دين عليه، فاعتقد الرشيذ صحة هذه الوشاية، وأمر به فُحْبَسَ في الكوفة، ولم يطلق سراحه إلا بوساطة أمه وضمان أبيه له، ثم عفا عنه وخلع عليه. أما محمد بن يحيى فكان سرّيًا بعيد المهمة، ولم يكن له من الشهرة ما كان لأخوته⁽¹⁾.

وأصبحت إدارة الدولة العباسية في السنوات الأولى من عهد الرشيذ في يد البرامكة، ولم تكن إدارتهم مختلفة، بل اشتهروا جميعًا بحسن استعدادهم الإداري، فقد أوصى أولاده بقوله: "لا بد لكم من كتاب وعمال وأعوان فاستعينوا بالأشراف، وإياكم وسفلة الناس، فإن النعمة على الأشراف أبقى وهي بهم أحسن والمعروف عندهم أشهر والشكر منهم أكثر"⁽²⁾.

من ذلك نستطيع أن نقف على مبلغ خطر الأسرة البرمكية في أيام هارون الرشيذ الذي وثق بهم، وفوض إليهم أمور دولته، ولا نعجب إذا انصرف إليهم الناس، ونظموا القصائد الرائعة في مدحهم والتغنى بكرمهم وجودهم الذي كان مضرب الأمثال، وقد أشاد ابن طباطبا بذكرهم فقال⁽³⁾: "كان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة والبحور زاخرة، والغيوث ماطرة، أسواق الأدب عندهم نافقة، ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية، والدنيا في أيامهم عامرة، وأبهة الملك ظاهرة".

وقد بلغ من جود يحيى وكرمه أنه كان إذا ركب أعد صرًّا (جمع صرة) في كل منها مائتا درهم يدفعها على الذين يقفون في طريقه، يلتمسون معونته، لهذا لا نعجب إذا تلمس الوشاة وعمال السوء أسباب الإيقاع بالبرامكة⁽⁴⁾.

نكبة البرامكة:

لم يلبث هارون الرشيذ أن تغير على البرامكة، فقد أمر بعد عودته من حجه سنة 187هـ

(1) الطبرى: ج8 ص 251، 293.

(2) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص 179، جمال سرور ص 212-213.

(3) الفخرى في الآداب السلطانية ص 173.

(4) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ج2 ص 60.

وكتابة عهدي ولديه الأمين والمأمون، بقتل جعفر وصلبه وحرقه وحبس يحيى بن خالد وأبنائه، ومصادرة كل ما يملكون من عقار وأموال ورقين⁽¹⁾.

أسباب نكبة البرامكة:

اختلفت كلمة المؤرخين وأصحاب السير في السبب الذي دفع هارون الرشيد إلى نكبة البرامكة، مع أنه شب في حجر يحيى بن خالد حتى كان يدعو: يا أبت، ونسب البعض ذلك على مجرد الغيرة والملل، فقد سئل سعيد بن سالم عن خيانة البرامكة الموجبة لغضب الرشيد عليهم فقال: "والله ما كان ما يوجب عمل الرشيد بهم، ولكن طالت أيامهم، وكل طويل ملول، ورأى الرشيد مع ذلك أنس النعمة بهم وكثرة حمد الناس لهم، فتعنت عليهم وتحنى، ولاذ بالخليفة أعداؤهم، كالفضل بن الربيع، وغيره، الذين نجحوا في الإيقاع لهم لدى الرشيد بذكر العيوب وستر المحاسن، أضف إلى ذلك ما أظهره البرامكة من الدلالة على الرشيد مما لا تتجمله نفوس الملوك، فضلاً عن سعاية أعداء البرامكة عند الرشيد، ومما يدل على تأثير هذه السعائيات في نفس الرشيد ما رواه ابن طباطب⁽²⁾ عن يحنثشوع الطيب قال: "دخلت يوماً على الرشيد وهو جالس في قصر الخلد، وكان البرامكة يسكنون بهذاته من الجانب الآخر، وبينهم وبينه عرض دجلة، فنظر الرشيد، فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال: جزى الله يحيى خيراً للأمر وأراحني من الكد ووفر أوقاتي على اللذة، ثم دخلت عليه بعد أوقات وقد شرع يتغير عليهم، فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة فقال: استبد يحيى بالأمور دوني، فالخلافه على الحقيقة له، وليس لي منها إلا اسمها فقلت إنه سينكهم فنكهم عقيب ذلك.

وما يرويه الطبري⁽³⁾ عن تغير الرشيد على البرامكة أن يحيى بن خالد طلع على الرشيد، وكان فيما مضى يدخل بلا إذن، فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد رد عليه الرشيد ردّاً ضعيفاً، ثم أقبل على جبريل وكان من الحاضرين مجلسه وسأله: ما باننا يدخل علينا بلا إذن، فقام يحيى فقال: يا أمير المؤمنين قدمني الله قبلك، والله ما ابتدأت ذلك

(1) الطبري: ج8 ص294 وما بعدها.

(2) الفخري ص190.

(3) الأمم والملوك ج8 ص288، ابن الأثير: ج5 ص115.

الساعة وما هو إلا شيء كان قد خص به أمير المؤمنين ورفع به ذكرى حتى إنى كنت لأدخل وهو في فراشه مجرداً أحياناً وحياناً في بعض إزاره، وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يجب. وإذا علمت، فإنى أكون عنده في الطبقة الثانية من أهل الإذن أو الثالثة إن أمرنى سيدي بذلك. قال: فاستحي وكان من أرق الخلفاء وجهها وعيناه في الأرض أن يرفع إليه طرفه ثم قال: ما أردت ما تكره ولكن الناس يقولون، قال: فظننت أنه لم يسنع له جواب يرتضيه فقال بهذا القول. ثم أمسك عنه وخرج يحمى.

كذلك يروى الطبري⁽¹⁾ عن مبلغ حقد الرشيد على البرامكة وعمله على الغض من شأهم، فأمر غلمانه بالإعراض عنهم والاستهتار بهم إذا دخلوا قصره، فكانوا لا يقومون لهم ولا يلبون رغباتهم، أضف إلى ذلك أن أعداء البرامكة من بطانة الرشيد دسوا للمغنين شعراً يثير عامل المنافسة والحقد في نفسه⁽²⁾ ومنه هذين البيتين:

ليست هنذا أنجزتنا ما تعدد وشفقت أنفسنا عما تمجد

واستبدت مرة واحدة فإن العاجز من لا يستبد

فلما سمع الرشيد هذين البيتين قال: أى والله إنى لعاجز وسلط عليهم سيف انتقامه⁽³⁾، ولم يكن الرشيد غافلاً عن حقيقة الحال في دولته، وعن أن السلطة الفعلية وإدارة الدولة أصبحت في يد البرامكة وعن تغلغل النفوذ الفارسى في بلاطه ودواوينه، وعن تدمير العرب واستيائهم لخروج السلطة من يدهم إلى الفرس، وكانت البيئة التى نشأ فيها الرشيد كما رأينا، قد اضطرتته إلى اتخاذ الفرس عدة لدولته، فلم يحاول في بداية عهده أن يباعد بين هؤلاء البرامكة الذين رفعوه إلى عرش الخلافة وبين مناصب الدولة، ورأى أن ينهج طريقاً وسطاً، حتى تحين له الفرصة للقضاء على استئثار هذه الأسرة بالنفوذ في البلاد، ففعل في بداية عهده على استجلاب محبة شعبه وإعلاء شأنه بين المسلمين، وسلك في سبيل الاحتفاظ بمكانته بين رعاياه عدة طرق، منها الاتصال بجمهور المسلمين عن طريق حجه المستمر، فكان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته إلا سنين قليلة، وإذا ما خرج

(1) الأهم والملوك ج8 ص288، ابن الأثير: ج5 ص115.

(2) ابن خلدون: المقدمة ص15.

(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ج2 ص168.

خلفاء العصر العباسي الأول (132-232هـ / 750-850م)

للحج صاحبه كبار العلماء ورجال الدولة⁽¹⁾، فيسير الخليفة في موكب عظيم بجنازاً المسافة بين بغداد ومكة، وكان الرشيد في أثناء الطريق يفرق الهدايا على الأهالي في البلاد التي يمر بها، وإذا ما وصل إلى مكة وزع الهبات والأموال على فقرائها، وكذلك الحال إذا ما قدم على المدينة، وكان يتصدق كل يوم بألف درهم على فقراء بغداد⁽²⁾.

ويعزو بعض المؤرخين نكبة هذه الأسرة على حوادث ليست فجائية كالتى تقدمت، وإنما هي أمور جاءت متتابعة، منها أن الرشيد كان يميل كثيراً إلى تولية الفضل بن الربيع بعض أمور الدولة، فكانت الخيزران أم الرشيد تحول دون ذلك، وكان الفضل يظن أن الذى حملها على ذلك إنما هو جعفر البرمكى فلما مات الخيزران ولى الرشيد الفضل ديوان الخاتم وغيره مما كان في يد جعفر⁽³⁾.

وأعقب ذلك حادث إطلاق يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوى، الذى خرج على الرشيد في بلاد الديلم، فبعث إليه الفضل بن يحيى البرمكى في خمسين ألف مقاتل، فما زال به حتى مال إلى الصلح، وطلب أماناً بخط الرشيد، فكتب إليه الأمان بخطه، وشهد فيه القضاة والفقهاء وكبار بني هاشم، ولما قدم يحيى تلقاه الرشيد بالخفاوة والإكرام، ولكنه لم يلبث أن حبسه إذ علم أنه يعمل لخلعه، واستفتى الفقهاء في نقض الأمان الذى أعطاه يحيى ثم سلمه لجعفر بن يحيى البرمكى فأطلقه، فكان ذلك من أهم أسباب نكبة البرامكة، وفى ذلك يقول الطبرى⁽⁴⁾: "وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه. ثم دعا به ليلة من الليالي فسأله عن شيء من أمره فأجابه إلى أن قال: "اتق الله في أمرى، ولا تتعرض أن يكون خصمك غداً محمد ٢، فوالله ما أحدثت حدثاً ولا أويت محدثاً فرد عليه وقال: اذهب حيث شئت من بلاد الله فقال: وكيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ بعد قليل فأرد إليك أو إلى غيرك؟! فوجه معه من أداه إلى مأمته، وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له عليه من خاص خدمه، فعلا الأمر فوجده حياً، وانكشف عنده، فدخل على الرشيد وأخبره، فأراه أنه لا يعبأ بخبره وقال: وما أنت وهذا لا أم لك، فلعل ذلك عن

(1) ابن طباطبائي: الفخرى ص 169.

(2) ابن الأثير ج ٥ ص 114 هامش (1) بيروت.

(3) الطبرى: ج ٨ ص 238 وكان ذلك سنة 173هـ.

(4) الأهم والملوك ج ٥ ص 242-251، ص 288-289، ابن الأثير: ج ٥ ص 114 بيروت.

أمرى؟! فانكسر الفضل، وجاءه جعفر فدعا الرشيد بالغداء فأكلوا وجعل يلقمه ويمادته إلى أن كان آخر ما دار بينهما أن قال: ما فعل يحيى بن عبد الله؟ قال: بحاله يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والأكبال قال: بحياتي. فأحجم جعفر وكان من أدق الناس ذهناً وأصحهم فكراً. فهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره، وقال: لا وحياتك يا سيدي، ولكن أطلتته وعلمت أنه لا خيانة ولا مكروه عنده، قل: نعم ما فعلت وما عدوت ما كان في نفسي، فلما خرج أنبئه ببصره حتى كاد يتوارى عن وجهه، ثم قال: قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك، فكان من أمره ما كان⁽¹⁾.

لذلك لا نعجب إذا ساءت العلاقة بين البرامكة وبين الرشيد وساعد على إشعال هذه النار سعاية الفضل بن الربيع وغيره وكراهية زبيدة أم الأمين لبرامكة، إذ كانت تظن أن الرشيد قد عهد إلى ابنه المأمون دون الأمين بتأثير يحيى بن خالد البرمكي، أضف إلى ذلك ما اتصل بعلم الرشيد من أن عبد الملك بن صالح العباسي كان يدعو إلى نفسه وأن البرامكة كانوا يساعدونه فغضب عليهم الرشيد وحبس عبد الملك معهم⁽²⁾.

ولم يكن جعفر البرمكي وحده هو الذي اتهم بالتقرب إلى العلويين بل شاركه في ذلك أخوه موسى بن يحيى، فقد رماه أعداؤه بأنه ينشر الدعوة إلى العلويين، ويعمل على تحويل الخلافة إليهم بين أهالي خراسان⁽³⁾.

أما قصة العباسية مع جعفر بن يحيى البرمكي، وتتلخص في أن هارون الرشيد، لكلفة بمكانة جعفر وأخته العباسية وحرصه على حضورهما مجلسه أذن لهما في عقد الزواج دون الخلوة، وأن الرشيد غضب على جعفر لعدم تنفيذ هذا الشرط⁽⁴⁾، فأمر نستبعده كل البعد

(1) وفي هذا نرى أن الرشيد محق في غضبه على جعفر بن يحيى الذي أخطأ بتصرفه هذا وكان عليه أن يرجع إلى الخليفة في طلب الإفراج عن هذا العلوي. أما أن يتصرف هكذا فقد أعطى جعفر نفسه سلطة تفوق مكانته كقائد عسكري عليه أن يسمع ويطيع أوامر القائد الأعلى هارون الرشيد.

(2) الطبري: ج8 ص 305-306 بيروت، ابن الأثير: ج5 ص 116-118 بيروت.

(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج2 ص 170.

(4) يذكر الطبري: ج8 ص 294 عن أحمد بن زهير أن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسية بنت المهدي، وكان يحضرهما إذا جلس للشرب، وذلك بعد أن أعلم جعفرًا قلة صبره عنه وعنها وقال لجعفر: أزوجكم ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتهما مجلسي، تقدم إليهما ألا يمسهما ولا يكون منه شيء مما يكون للرجل وزوجه فزوجها منه على ذلك إلا أن

مع ما نعرفه من نسب العباسية وحسبها ودينها، فهي بنت الخليفة المهدي بن المنصور وهي كما يقول ابن خلدون⁽¹⁾: "قريبة العهد بيداوة العروبة وسداجة الدين، البعيدة عن عوائد الترف ومواقع الفحش، فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقد ما بيتهما؟ وكيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدس شرفها العربي بمولى من موالى العجم؟.. وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالى الأعاجم على بعد همته وعظم إياه؟ ولو نظر المتأمل في ذلك نظرة المنصف وقاس العباسية بآبنة ملك من ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها، وفي سلطان قومها واستنكره وبالع في تكذيبه، وأين قدر العباسية والرشيد من الناس؟".

ومما يؤيد بطلان هذا الرأي ما تعلمه من أنفة العباسيين عن مصاهرة الموالى وليست حكاية أبي مسلم الخراساني مع زوجة عبد الله بن علي العباسي، التي زادت من حق المنصور عليه، وساعدت على الفتك به بعيدة عن أذهاننا⁽²⁾.

ونحن نميل إلى القول بأن الرشيد نكب البرامكة لما كان من استبدادهم بالأمور ودونه، وفي ذلك يقول ابن خلدون⁽³⁾: "وإنما نكب بالبرامكة لما كان من استبدادهم على الدولة، واحتياجهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره، وشركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه، فعظمت آثارهم، وبعد صيتهم، وعمرؤا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء، من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عن سواهم، من وزارة، وكتابة، وقيادة، وحجاية، وسيف، وقلم، فتوجه الإيثار من السلطان إليهم، وعظمت الدولة منهم، وانبسط الجاه عندهم، وانصرفت نحوهم الوجوه، وخصعت لهم الرقاب، وقصرت عليهم الآمال، ومدحوا بما لم يمدح به حليفهم، وأسئوا لعفاتهم الجوائر والصلات، واستولوا على القرى والصياع من الضواحي والأمصار في سائر الممالك، حتى آسفوا البطانة، وأحققوا الخاصة، وأقصوا أهل الولاية، فكشف لهم وجوه المنافسة والحق، ودبت إلى مهادهم الوثيرة عقارب

جعفرًا لم يلتزم بذلك فحملت العباسية منه وولدت غلامًا فلما علم الرشيد قتل الصبي وتغير على جعفر، انظر أيضًا ابن الأثير ج 5 ص 114.

(1) المقدمة: ص 14.

(2) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج 2 ص 171.

(3) المقدمة: ص 14.

عاش البرامكة عيشة قوامها البذخ والإسراف وحب الظهور، وأغدقوا الأموال على الشعراء والعلماء، ولم يردوا قاصداً. قيل إن جعفر بن يحيى البرمكي أنفق على بناء داره عشرين ألف ألف درهم، وهو - كما يبدو - مبلغ ضخم لا يقل عن مليون وستمائة وستين ألف دينار، غير ما يحتاج إليه هذا البناء من أثاث ورياش وخدم وحشم، وما إلى ذلك من أسباب البذخ وألوان الترف التي تثير عوامل الغيرة في نفس أعدائهم وحسادهم، وتهمي لهم سبيل الإيقاع بهم عند الخليفة، بهذا تنبأ إبراهيم بن المهدي، ووجد أن نكبة البرامكة آتية لا ريب فيها، وهو يقص علينا هذه العبارة التي نقلها عن الطبري⁽¹⁾ قال: "أُتيت جعفر بن يحيى داره التي ابتناها فقال لي: أما تعجب من منصور بن زياد قلت: فيماذا؟ قال: سألته هل ترى في دارى عيباً؟ قال: نعم ليس فيها لبنه ولا صنوبرة قال إبراهيم: فقلت: الذي يعيبها عندي إنك أنفقت عليها نحواً من عشرين ألف ألف درهم وهو شيء لا آمنه عليك غدا بين يدي أمير المؤمنين، قال: وهو يعلم أنه قد وصلنى بأكثر من ذلك، وضعف ذلك سوى ما عرضني له، قلت: إنما العدو إنما يأتيه في هذا من جهة أن يقول: يا أمير المؤمنين إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف درهم، فأين نفقاته؟ وأين صلاته؟ وأين النوايب التي تنوبه؟ وما ظنك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك؟ وهذه جملة سريعة إلى القلب والموقف الحاصل منها صعب، قال: أن سمع مني أن قلت إن لأمر المؤمنين نعماً على قوم قد كفروها بالستر لها، وبظهار القليل من كثيرها، وأنا رجع نظرت إلى نعمته عندي فوضعتها في رأس جبل، ثم قلت للناس تعالوا وانظروا"⁽²⁾.

ويتهم البغدادي⁽³⁾ البرامكة فيرميهم بالزندقة والميل إلى مذهب المجوس فيقول عند كلامه على الباطنية "ولم يكنهم (الباطنية) إظهار عبادة النيران، واحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغي أن تجمر المساجد وأن تكون في كل مسجد مجمرة يوضع فيها الند (الطيب)، ولعود في كل حال، وكان البرامكة قد زينوا الرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة،

(1) الأُمم والملوك ج 8 ص 291 بيروت، ابن الأثير: ج 5 ص 214 بيروت.

(2) الطبري: ج 8 ص 291، ابن الأثير: ج 5 ص 214.

(3) الفرق بين الفرق ص 270.

وأن تصير الكعبة بيت نار، فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة وذكر ابن النديم⁽¹⁾ أن "البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد بن برمك كانت زنادقة".

كان من أثر خوف الرشيد على ملكه وعلى نفسه أن وصل إلى درجة الوسواس، حتى جعله ذلك أذناً يسمع كل وائش، ويصدق كل حسود، فسعى إلى القضاء على هذه الأسرة، وذلك أنه لما عاد من الحج سار من الخيرة إلى الأنبار في السفن، وركب جعفر بن يحيى إلى الصيد وجعل يشرب تارة ويلهو أخرى، وتحف الرشيد وهداياه تأتيه، وعنده بخيتشوع الطيب، وأبو زكار الأعشى يغنيه، فلما حل المساء دعا الرشيد مسروراً الخادم - وكان مبغضاً لجعفر - وقال: اذهب فجنّني برأس جعفر ولا تراجعني فوافاه مسرور بغير إذن وهجم عليه وأبو زكار يغنيه:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو ينادي

وكل ذخيرة لا يبد يوماً وأن كرمت تصير إلى نفاق

فلما دخل مسرور قال جعفر: لقد سررتني بمجيتك وسؤتني بدخولك على بغير إذن فقال: الذي جئت له أعظم، أجب أمير المؤمنين إلى ما يريدك فوقع على رجليه وقبلها وقال له: عاود أمير المؤمنين فإن الشراب قد حمله على ذلك وقال: دعني أدخل دارى فأوصى فقال: الدخول لا سبيل إليه، وأما الوصية فأوصى بها بذلك، ثم حمله إلى منزل الرشيد، وعدل به إلى قبة، وضرب عنقه وأتى برأسه على ترس الرشيد وبدنه في نطع، ووجه الرشيد فقبض على أبيه وأخوته وأهله وأصحابه بالرقعة واستأصل شأفتهم، وكان قتل جعفر البرمكي في أوائل صفر سنة 187هـ⁽²⁾.

لم تكن نكبة البرامكة فجائية كما يتصور البعض، بل كانت بعد تفكير طويل، فالرشيد لم يكن غافلاً عن حقيقة الحال في دولته، وعن أن السلطة الفعلية وإدارة الدولة أصبحت في يد البرامكة، وتذمر العرب واستيائهم من ازدياد النفوس الفارسي، ويروى عن السندی بن شاهك (صاحب الشرطة) أن الرشيد أسر إليه أنه يستعد للقبض على البرامكة، وحجز أموالهم قبل سنة من إيقاعه بهم، كما أن مواقف الرشيد منهم في

(1) الفهرست: ص 472.

(2) الطبری: ج 8 ص 294 - 296 بيروت، ابن الأثير: ج 5 ص 115 بيروت.

الدولة العباسية: دراسة فى سياستها الداخلية

السنوات السابقة لنكبتهم تدل على شعور بضرورة التخلص منهم، فصرف محمد بن خالد بن برمك عام 179هـ عن حجابته وقلدها الفضل بن الربيع⁽¹⁾، وولى فى السنة التالية 180هـ عيسى بن جعفر خراسان وعزل عنها جعفر بن يحيى الذى ولى الحرس، واستخلف على الحرس هرثمة بن أعين، كما عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويا والري⁽²⁾.

ولم يكن الرشيد بالخليفة الذى يتساهل فى حقوقه. بل هو رجل على شيء كبير من الدهاء، فأظهر فى بداية خلافته عدم اكتراثه باستئثار البرامكة بالنفوذ، وعول فى نفس الوقت على انتهاز الفرص لاستعادة ما أخذوه من سلطته، ثم جاهر باستيانه من استبدادهم بالأمر دونه حين بدأ يتغير عليهم. ومن الملاحظ أن البرامكة لم يتخلوا عن تراثهم ونزعتهم الفارسية أثناء توليهم مهام الدولة فى أيام الرشيد، فلا يستطيع أحد أن ينكر ميل خالد بن برمك لأهل خراسان فى أيام أبو العباس، كما أن يحيى بن خالد كان يؤثر الفرس على غيرهم، فشرح الفصل بن سهل لتولى أمور المأمون أيام الرشيد⁽³⁾.

وصفوة القول أن تخلص الرشيد من البرامكة كان نتيجة أحداث متتالية، أتاحت الفرصة للخليفة ليستعيد سلطته على الدولة، وقد استطاع الرشيد أن يلقى فى روع الجميع أنه على حق فى الإيقاع بالبرامكة دون أن يصرح بالسبب الذى دعاه إلى ذلك، فقد أسرة تعد زهرة دولته وغرة جبينها، فقد وزراء إن كتبوا أجادوا، وإن قادوا الجيوش سدوا الثغور، وإن ولوا عملاً أصلحوا.

الأمين⁽⁴⁾ (193 - 198هـ / 808 - 813م):

عهد الرشيد بالخلافة للأمين ثم المأمون ثم المظفر⁽⁵⁾، فلما تولى فى جمادى الآخرة سنة

(1) الطبرى: ج8 ص261، 266.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) حسن إبراهيم حسن: ج2 ص174.

(4) ولد أبو عبد الله محمد الأمين سنة 170هـ وهى السنة التى ولى فيها أبوه الرشيد الخلافة، وذلك بعد مولد أخيه المأمون بستة أشهر، وأمه أم جعفر زبيدة ابنة أبى جعفر بن المنصور، الطبرى: ج8 ص233،

ابن الأثير: ج5 ص167.

(5) الطبرى: ج8 ص275 - 276.

193هـ ولى الأمين الذى كان عهده مليئاً بالفتن والاضطرابات، ففى الوقت الذى قامت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون اشتعلت نار الثورة فى بلاد الشام على يد على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بالسفياني، الذى دعا إلى نفسه واحتل دمشق وما يليها، بعد أن طرد عامل الأمين، وكاد يتم له الاستقلال بهذه البلاد لولا قيام نزاع خطير بين اليمانيين والمضريين حال دون تحقيق أطماعه، ومع ذلك لم تتمكن القوات التى أرسلها الأمين بقيادة الحسين بن على بن عيسى، ثم عبد الله بن صالح بن على العباسى من القضاء على السفياني نظراً لاضطراب الأوضاع فى بغداد الأمر الذى جعل بلاد الشام مسرحاً للقوضى ستين أو أكثر⁽¹⁾.

لم يعمر الأمين طويلاً حيث قتل بعد أن جلس على عرش الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وكان فى الثامنة والعشرين من عمره. وقد ذهب الأمين ضحية الفتنة التى قامت بينه وبين أخيه المأمون، بسبب خلعه إياه وتولية ابنه موسى العهد من بعده⁽²⁾، ونكث العهد والميثاق الذى أخذه عليه أبوه الرشيد وعلقه فى الكعبة، وقد ساد عهده هذه الفتنة الهوجاء التى فرقت المسلمين وأضعفت قوتهم، ولما قتل الأمين أرسل عبد الله بن طاهر رأسه إلى المأمون، الذى صفا له الجو واستقرت له الأمور⁽³⁾.

(1) الطبرى: ج8 ص415، حوادث سنة 195هـ

(2) قامت تلك الفتنة فى بغداد حين عزم الأمين على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وشجعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع، لأنه كان يخاف المأمون لما فعله عند وفاة الرشيد من إحصاره جميع عسكره إلى الأمين، وكان الرشيد قد أوصى به للمأمون، كذلك حسن الفضل بن الربيع للأمين خلع أخيه والبيعة لابنه موسى، ووافق الفضل فى رأيه بعض الناس، فقال الأمين إلى أقوالهم على حين نهاء أصحابه وذوو الرأى فى بغداد عن ذلك، وحذروه عاقبة البغي ونكث العهود والمواثيق وقالو له: "لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا بيعتك وعهدك فلم يلتفت إليهم، ومال لرأى الفضل بن الربيع وولى عهده ابن موسى وسماه الناطق بالحق، فقام فى وجهه أهل الحجاز واشتعلت نيران الفتنة التى أودت بخلافته. السيوطى: تاريخ الخلفاء ص475 تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم.

(3) الطبرى: ج8 ص488 وما بعدها.

المأمون⁽¹⁾ (198-218هـ / 813-833م):

بويج المأمون بالخلافة وهو في الرى. وظل بخراسان حتى قدم بغداد منتصف شهر صفر سنة 204هـ، وقد ثار أهل بغداد وولوا إبراهيم بن المهدي الخلافة⁽²⁾ حين كان المأمون بمرو، فلما أحس الناس بقدوم المأمون خلعوا إبراهيم بن المهدي، الذي اختفى، فتم القبض عليه، وعفا عنه المأمون وقربه إليه، إلا أنه لم يلبث أن قبض عليه عقب اكتشاف مؤامرة بزعامة إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعروف بابن عائشة، ترمى إلى اغتيال المأمون وتولية إبراهيم بن المهدي الخلافة ثانية، ومع ذلك فقد سفا عنه المأمون وقتل ابن عائشة⁽³⁾.

أبقى المأمون الفضل بن سهل وزيراً له ولقبه ذا لرياستين لجمعه بين السيف والقلم⁽⁴⁾، وأسند إلى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق⁽⁵⁾، وبذلك أصبح المأمون في الواقع في محيط فارس، فأهل خراسان من الفرس وبنو سهل يديرون دفة دولته، وعادت الحال إلى ما كانت عليه في أوائل عهد الرشيد حتى استحوذ البرامكة على السلطة⁽⁶⁾.

وفي عهد المأمون شق نصر بن سيار بن شيب العقبلي عصا الطاعة، وثار في شمال حلب أواخر سنة 198هـ، وتغلب على ما جاوره من البلاد وكان عريباً يتعصب للأمين لأنه يمثل العنصر العربي، ويتقم على المأمون لاتخاذ الخراسانيين الفرس دون العرب أنصاراً له، ولما انتصر طاهر بن الحسين على الأمين واستولى على العراق ندبه المأمون لمحاربة نصر، ولكن طاهرًا لم يجد في حربه لحقده على المأمون ووزيره الفضل بن سهل وانتزاعه بلاد العراق منه، وانتصرت جيوش نصر على جيوش طاهر بن الحسين، وأراد بعض العلويين

(1) ولد المأمون سنة 170هـ وأمّه أم ولد فارسية تسمى مراجل، الطبري: ج5 ص193.

(2) ثار أهل بغداد وولوا إبراهيم بن المهدي الخلافة بعد أن جعل المأمون ولي عهده على بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب وسماه الرضى من آل محمد ٢، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق. انظر الطبري: ج5 ص554 - 555 حوادث سنة 201هـ وابن الأثير: ج5 ص183.

(3) الطبري: ج5 ص574، ص603-605 ابن الأثير ج5 ص208-210.

(4) الفخرى: ص169.

(5) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص305 مطبعة الحلبي 1980م.

(6) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية ص227.

أن يقيموا خليفة منهم، فأبى نصر ذلك وقال: إنما هواي في بني العباس وإنما حاربتهم محاربة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم⁽¹⁾.

ولما قدم المأمون بغداد استدعى طاهرًا وولى ابنه عبد الله خراسان وطلب إليه محاربة نصر⁽²⁾، فجدد في حربه وأرغمه على طلب الأمان، وسبق إلى بغداد في صفر سنة 210هـ⁽³⁾ بعد أن حارب جيوش المأمون نحوًا من خمس سنين⁽⁴⁾.

خطر الزط⁽⁵⁾:

عكر الزط صفو الخليفة المأمون، وامتد خطرهم حتى أيام المعتصم، ومن المستحسن أن نلقى الضوء عليهم من أيامهم⁽⁶⁾ المبكرة في الجزيرة العربية حتى ظهور خطرهم في عصر المأمون، وهم قوم هندود سود اللون، موطنهم الأصلي⁽⁷⁾ بلاد السند والبنجاب، وكانت هذه الجماعة تنتشر من أطراف المنصورة⁽⁸⁾ إلى مكران⁽⁹⁾ علاوة على باقي بلاد

(1) ابن الأثير: ج5 ص 176 بيروت.

(2) الطبري: ج8 ص 581 حوادث سنة 206هـ.

(3) ابن الأثير: ج5 ص 207 - 208.

(4) انظر الطبري: حوادث سنة 205 - 210هـ.

(5) الزط: معرب "جات" وقد كان قدومهم إلى العرب في أيام الجاهلية، وكان كثير منهم في جند المسلمين أيام عمر بن الخطاب. القاضي اظهر الماركيزي: العرب والهند في عهد الرسالة ص 47 ترجمة عبد العزيز عزت خليل، الهيئة المصرية للكتاب 1973م.

(6) انظر لسان العرب لابن منظور ج7 ص 1038.

(7) العرب والهند في عهد الرسالة ص 47.

(8) المنصورة: قال الحموي ج8 ص 177 - 178: منصورة بأرض اهند مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سوارية (مأدنة) ساج، ولهم خليج من نهر مهران (نهر السند) وقال المسعودي: سميت منصورة نسبة إلى منصور بن جمهور عامل بني أمية وقال هشام سميت المنصورة لأن منصور بن جمهور الكلبي بناها فسميت به، وقال الحسن بن أحمد المهلبى سميت المنصورة لأن عمر بن حفص الهزاز المهلبى بناها أيام المنصور العباسي فسميت به، وبين المنصورة والدليل ست مراحل وبين المثلثان اثنا عشر مرحلة. وظلت عامرة إلى سنة 643هـ أظهر الماركيزي: العرب والهند ص 49.

(9) ذكر ابن خرداذبة: أن المسافة من أول مكران إلى المنصورة 358 فرسخًا وأن الزط كانوا حفاظًا على الطريق. المسالك والممالك ص 56 طبع أوروبا.

السند⁽¹⁾، وكان منهم من كان يقطن بلوخرستان والبنجاب⁽²⁾.

وصل الزط من الهند إلى البلاد العربية بطرق مختلفة، ومنهم من كان يعمل في تربية الماشية والأغنام والإبل، بعد أن استوطنوا المنطقة الساحلية من الأيلة إلى عمان والبحرين، وكان أكثر الزط في هذه المنطقة قد انضم إلى الجيش الإيراني المقيم في البلاد العربية وفي بلاد فارس⁽³⁾.

وكان الزط يسكنون المدن الكبيرة، في الرقعة الممتدة من فارس إلى العراق، وكانت أكبر مدن الزط، تقع على مسافة ثمانية أميال من مفترق الطرق الذاهية إلى فارس من سوق الأهواز⁽⁴⁾، وكان في منطقة خوزستان مدينة عظيمة للزط، وكانت تنقسم إلى قسمين وتعرف كلتاها باسمين مختلفين: الأولى: "حومة الزط". والثانية: "خايران" وكلتاها كبيرتان والعمران بهما كبير⁽⁵⁾.

وعندما أسلم الزط⁽⁶⁾ نزح كثير منهم إلى أنطاكية وسواحل الشام وأصبح بذلك مركزهم الثاني بعد الأيلة والبحرين حيث وجد كثير منهم هناك قبل البعثة ولذلك عندما قامت فترة الردة سنة 11هـ / 932 - 633م فأنها شملت الزط الذين استشارهم حطم بن ضبيعة ضد الإسلام في كل من القطيف وهجر⁽⁷⁾.

وعندما عمرت البصرة سنة 14هـ / 635 - 636هـ في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب

(1) العرب والهند: ص 45.

(2) البنجاب: كلمة مركبة من "بنج" بمعنى خمسة و"آب" بمعنى نهر ويطلق هذا الاسم على المنطقة التي تضم الأنهار الخمسة، وأصبح جزء منها في الباسكتان يضم لاهور وغيرها والجزء الآخر في الهند. العرب والهند ص 45.

(3) المباركوري: العرب والهند ص 49 - 50.

(4) وقد بين ابن خردادبة ذلك فقال: من الأهواز إلى زم ستة فراسخ ومنها إلى عبادان خمسة فراسخ ثم إلى رام هرمز ستة فراسخ ثم إلى الزط ستة فراسخ. مسالك الممالك ص 35، العرب والهند: ص 50.

(5) انظر الاضطخري: مسالك الممالك ص 94.

(6) لا يوجد دليل واضح وصريح على إسلام الزط في عهد الرسالة، ولكن من المؤكد أن بعض الزط في حدود اليمن والبحرين قد أسلموا في عهد الرسالة. العرب والهند ص 56.

(7) لم تلبث أن حلت بالزط الهزيمة على يد الجيش الإسلامي فهزمت جماعة كبيرة منهم إلى دارين، وفر الباقيون إلى أوطانهم. العرب والرسالة ص 51 - 52.

خلفاء العصر العباسي الأول (132-232هـ / 750-850م)

كان هناك عدد قليل من الزط يقيمون مع بنى حنظلة، وعندما زاد عدد المسلمين الهنود، فإن قبلة بنى تميم اجتذبتهم نحوها، والتحم الزط والسيابجة ببني حنظلة⁽¹⁾.

وفي خلافة علي بن أبي طالب كان جماعة من الزط والسيابجة⁽²⁾ يحفظون بيت المال في البصرة، وحدث أن جاء عثمان بن حنيف الأنصاري مندوبًا من قبل الخليفة على ليتسلم ما في بيت المال من أموال، ولكن حراسه من المشرفين عليه من الزط والسيابجة انكروه ورفضوا تسليمه حتى محى على نفسه، وكان من نتيجة ذلك أنهم قتلوا جميعًا في ليلة واحدة وكان رئيسهم في ذلك الوقت أبو سالم الزطي⁽³⁾. كما حدث مثل ذلك أيضًا عندما نقل معاوية بن أبي سفيان جماعة كبيرة من الزط والسيابجة الهنود من البصرة إلى سواحل أنطاكية والشام⁽⁴⁾.

أسكن الحجاج بن يوسف الزط وبعض الجماعات الأخرى منطقة "كسكر" وهناك وجدوا مكانًا طيبًا لاجتماعهم، وموقفًا مناسبًا لجمع فلولهم وطاقتهم وكان الزط يسرقون السفن ومراكب التجارة في هذه الجهات⁽⁵⁾.

كانت الأبله والبصرة⁽⁶⁾ من أكبر الموانئ ومراكز التجارة الهندية والصينية وقد سميت تلك المنطقة بفرج السند والهند ويذكر الطبري⁽⁷⁾ أن "فرج الهند أعظم فروج فارس شأنًا وأشدّها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر".

انتهز الزط قيام الفتنة بين الأمين والمأمون فاستولوا على طريق البصرة وعاثوا فسادًا، فلما عاد المأمون إلى بغداد ندب عيسى بن يزيد الجلودى لمحاربتهم سنة 205هـ / 820 -

(1) المباركيوري: العرب والهند ص 56.

(2) يقال إنهم كانوا بين أربعين وأربعائة - والسيابجة مغرب من سبأ ومعناه الأسود - ويجه بمعنى الأطفال أى الأطفال السود ولا يوافق المباركيوري على ذلك ويذكر أن معناها القوم الذين يستأجرون للقتال في السفن. العرب والهند ص 61-63.

(3) العرب والهند: ص 66-70.

(4) تفصيل ذلك ما ذكره البلاذري في كلامه عن "أمر الأستاورة" والزط، فتوح البلدان ص 266 - ص 369.

(5) العرب والهند ص 56.

(6) أحمد أمين: فجر الإسلام ج 1 ص 13، المباركيوري: ص 84.

(7) الأهم والملوك: ج 4 ص 5، ابن الأثير: ج 2 ص 147 بيروت.

821م، وفي سنة 206هـ / 821 - 822م ولى المأمون داود بن ماسجور البصرة وكور ودجلة والبيامة والبحرين، وندبه لمحاربة الزط غير أن جهود المأمون لم تنجح في القضاء على فساد لزط الذين استمروا يقاتلون العباسيين إلى أيام المعتصم⁽¹⁾.

وفي عهد المأمون ثار المصريون في سنة 210هـ / 825 - 826م فبعث عبد الله بن طاهر لإخماد هذه الثورة، فاستولى على الفسطاط وأقر الأمن وتفرغ لإصلاح البلاد، غير أن ولايته لم تطل فعاد إلى العراق وعادت الثورات في مصر سيرتها الأولى، وانتفض القبط، وخرج عرب مصر الذين كانوا يناصرون الأميين، فندب المأمون قائده الأفسشين، ثم جاء بنفسه إلى هذه البلاد وأعاد الأمن إلى نصابه⁽²⁾.

على أن الحسن بن سهل، لم يتمكن من سياسة أهل العراق بالحزم، كما شاع في تلك البلاد بعد خروج طاهر بن الحسين منها، ذلك أن الفضل ابن سهل قد استبد بالأمور دون المأمون، وأنه أنزله قصرًا حجب فيه عن أهل بيته وقواده، مما أثار استياء بنى هاشم ووجوه الناس في بلاد العراق، وثارت الفلاقل في الأمصار، فقامت بضواحي الكوفة (سنة 199هـ / 814 - 815م) فتنة بزعامة أبي السرايا السري بن منصور الذي كان يدعو لأخذ العلويين، وأوقع الهزيمة بجيوش الحسن بن سهل، مما اضطر أخاه الفضل أن يرسل هرثمة ابن أعين على رأس جيش كبير لقمع حركة أبي السرايا الذي حلت به الهزيمة⁽³⁾.

ولما قضى هرثمة على ثورة أبي السرايا، ولاه الخليفة بلاد الشام والحجاز، لكنه اعتذر عن قبول هذا المنصب قبل أن يطلع المأمون بنفسه على حقيقة الحال في العراق وما يليه غربًا، ويوجه نظره إلى الخطر المحدق به، فلما بلغ هرثمة مرو حاضرة خراسان، خشي أن يخفى الفضل بن سهل خبر قدومه، ف ضرب الطبول، وما لبث أن مثل بين يديه، وأفضى إليه بحقيقة الحال في الدولة الإسلامية، فجازاه على عمله بحبسه، ولم يزل في سجنه حتى

(1) الطبري: ج8 ص580، ابن الأثير: ج5 ص197 - 204 بيروت.

(2) المقرئ: خطط ج2 ص492.

(3) هرب أبو السرايا من الكوفة إلى القادسية ومنها إلى السوس بخوزستان حيث قاتل الحسن بن علي المأموني الذي تمكن من هزيمته فتفرق عنه أصحابه، وتمكن جماعة من رجال الحسن بن سهل من لفض عليه وقتله وبعث برأسه إلى المأمون انظر ابن الأثير: ج5 ص174 - 176، ص177 بيروت.

قتل⁽¹⁾.

المعتصم (218 - 227هـ / 833 - 842م):

بويج المعتصم يوم وفاة أخيه المأمون في التاسع عشر من شهر رجب 218هـ (823/7/29م) ورفض الجند أن يدخلوا في طاعته في مبدأ الأمر، وأرادوا تولية العباس بن المأمون، ولكنه أسرع إلى مبايعة عمه بالخلافة احتراماً لوصية أبيه، فحذا الجنود حذوه⁽²⁾.

ومن المصاعب التي واجهه المعتصم في خلافته، وهددت مرافق دولته فتنة الهنود المعروفين بالزط والتي استمرت من خلافة المأمون حتى عهده فقد استولوا على طريق البصرة، وحالوا دون وصول المؤن والأقوات إلى بغداد⁽³⁾ واحتملوا الغلات من الببادر بكسر وما يليها من البصرة، فوجه المعتصم عجيف بن عنبسة لحرب الزط سنة 219هـ / 824 - 835م. فحاربهم تسعة أشهر حتى أرغمهم على طلب الأمان، وكان عددهم سبعة وعشرين ألفاً ما بين رجال ونساء وأطفال، ثم جعلهم في السفن، ودخل بهم بغداد سنة 220هـ / 835م، فدفع بهم إلى بشر بن السميدع، فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة، وظلوا هناك إلى أن أسرهم الروم سنة 241هـ / 855 - 856م⁽⁴⁾، ومن ثم وجدوا طريقاً إلى أوروبا، وعرفوا هناك باسم "جيس" أو النور، ويقمون عادة في خارج المدن⁽⁵⁾.

وهكذا فشلت جهود الرط في تكوين دولة مستقلة لهم بين بغداد والبصرة، بعد أن قاموا بثورة كبيرة في زمن الخلافة الأموية والعباسية فقد عملت الخلافة العباسية على استئصال شأفتهم⁽⁶⁾.

(1) ابن الأثير: ج5 ص179.

(2) ابن الأثير ج5 ص231 ويشير إلى الطريقة الساخرة لتي أسكت بها الجند حينما قال لهم: ما هذا الحب البارء؟ قد يابعت عمي، فسكتوا.

(3) المباركيوري: العرب والهند ص57، حيث يذكر أن أعمال الزط هذه واكبها حدوث قحط في الهند مما ترتب عليه انتفاهم إلى كرمان وفارس والأهواز.

(4) الطبري: ج9 ص8 - 10، ص201 بيروت.

(5) Muire: The Calihate, p. 514.

(6) المباركيوري: العرب والهند ص47.

ظهور عنصر الأتراك وأثرهم على الدولة العباسية:

اعتمد الأمويون على العنصر العربي، فأسندوا إليهم أهم مناصب الدولة، كما اعتمدوا عليهم في الشئون الحربية، ولم يساؤوا بينهم وبين العجم، وخاصة الموالى من الفرس الذين عملوا على التخلص من الأمويين وأخذوا ينضمون إلى الثائرين على بني أمية، وكانوا من أقوى العوامل في القضاء على الأمويين، ولما آل الأمر إلى العباسيين، اعتمدوا على هؤلاء الموالى الذين قامت على أكتافهم دولتهم، وأخذوا عنهم كثيراً من نظم الحكم التي كانت سائدة في العهد الساساني، وأهملوا العنصر العربي إهمالاً ظهر أثره في بعض الحركات التي كانت نتيجة سخط العنصر العربي على العنصر الفارسي، ومن أقوى الأمثلة على ذلك تأمر الفضل بن الربيع على البرامكة، ثم قيام الفتنة بين الأمين والمأمون، فكانت في الواقع انتصاراً للفرس على العرب، وذلك نتيجة للعداء الذي قام بين العرب والفرس.

وقد تواجد الأتراك⁽¹⁾ بعد تأسيس الدولة العباسية على شكل أفراد وجماعات في البلاد والإدارة، وكانت مصادر وجودهم متنوعة منها:

- 1- أسرى الحروب بين العرب وبلاد ما وراء النهر وأواسط آسيا وخوارزم.
- 2- ما كان يرسله الولاة من المالك⁽²⁾ إلى الخليفة كجزء من الضريبة السنوية المفروضة عليهم من قبل الحكومة العباسية⁽³⁾.
- 3- الشراء حيث كان الخلفاء يشترون الرقيق الأبيض من بخارى وسمرقند.
- 4- الهجرة حيث كان الأتراك يهاجرون غرباً نحو بلدان الخلافة الشرقية، فاستقر بعضهم داخل الدولة الإسلامية، واندمجوا في إطار المجتمع الإسلامي والثقافة العربية.

(1) عرف العرب الفاتحون الترك حين فتحوا خراسان في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وكان الأتراك نوعين: المستقرون المستوطنون الذين تأثروا بالثقافة الإيرانية أولاً، والبدو الأشداء المتنقلين الذين كانوا يهاجمون القرى والمدن على حدود خراسان وحتى المناطق المجاورة. اليعقوبي: البلدان ص56 طبعة ليدن، البلاذري: فتوح البلدان ج2 ص583 ليدن 1866.

H. Gibb: The Arab conquest, London, 1928.

(2) تشير روايات عديدة إلى وجود الأتراك في البلاط لعباسي منذ زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور حيث كان يرسل إليه عدد من الغلمان الأتراك من وإلى طبرستان كضريبة سنوية، ابن إسفنديار: تاريخ طبرستان الترجمة الإنجليزية ليدن 1905م.

(3) ومن هؤلاء طولون والد أحمد بن طولون الذي أرسله عامل بخارى إلى الخليفة المأمون.

5- التبشير والتجنيد، فقد كان المأمون يرسل الدعاة إلى بلاد الترك للتبشير بالإسلام، ويفرض العطاء لم يسلم منهم⁽¹⁾. ولما ولي المعتصم الخلافة وكانت أمة تركية⁽²⁾، أهمل العنصر العربي والفارسي واعتمد على الأتراك الذين اتخذهم حرساً وجنّداً له⁽³⁾، وأسند إليهم مناصب الدولة كما فعل أخوه المأمون مع الخراسانيين، وكان المعتصم بذلك أول خليفة استعان بالأتراك⁽⁴⁾ وأسند إليهم مناصب الدولة وقد عنى المعتصم باقتناء الترك، فبعث في شرائهم من سمرقند وفرغانة، وغيرها من النواحي، وبذل في سبيل ذلك الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب⁽⁵⁾.

وما لبث أن تفاقم نفوذ هؤلاء الأتراك وزاد عددهم حتى أربى على الخمسين ألفاً، وأخذ الأتراك الذين كانوا بعيدين عن الحضارة والعلم يندمجون في طبقات الأمراء المثقفين، فاعتنقوا الإسلام، وتأدبوا بأدابه، وتعلموا اللغة العربية، ووقفوا على أحكام القرآن، حتى إذا أصبح أحدهم ذا كفاية تؤهله للاضطلاع بشئون الدولة أو القيام بأعباء المناصب العالية في البلاط - تحرر من عبوديته، وتولى المنصب الذي يتناسب مع كفاءته ومواهبه، ومن ثم رشحوا للمناصب على اختلافها، ووصلوا إلى أعلى مراتبها من الاندماج في سلك البلاط إلى تقلد أكبر الولايات، وقد بلغ من نفوذ هؤلاء الأتراك أن أخذ الخلفاء يقطعونهم الولايات الإسلامية، على أن يؤدوا جزية معينة⁽⁶⁾.

ولم يلبث الأتراك أن أصبحوا آفة على أهل بغداد الذين عانوا من عنتهم وجورهم

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص 240 - 241.

(2) يقال لها: ماردة السعدية، الطبري: ج9 ص 123 بيروت.

(3) رغم أن هؤلاء الجنّدة كان يشار إليهم بصورة عامة بكونهم من الأتراك فلم يكن كلهم من أصل تركي: فكان بينهم المغاربة المستوردين من مصر والمغرب، فاروق عمر: العباسيون الأوائل ج1 ص 243.

(4) لم يكن مصطلح الترك اصطلاحاً عنصرياً في تلك الفترة المبكرة فقد ما هو مصطلح سياسي ولغوي، ولذلك فإن بعض المناطق التي سكنها الترك في خراسان بمرور الزمن أخذت تتكلم التركية وعلى هذا اعتبر سكانها أتركا.

Fry: Turks. J. A. O. S. pp. 144 - 145.

(5) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 223، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج2 ص 193.

(6) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج2 ص 193 - 194، ص 1959م.

شيئاً كثيراً، ويقول المسعودي⁽¹⁾: "إن الأتراك كانوا يؤذون العوام بمدينة السلام، بجريها بالخيول في الأسواق وإلحاق الأذى بالضعفاء والصبيان، فكان أهل بغداد يثرون على بعضهم فيقتلونهم إذا صدموا امرأة أو شيخاً كبيراً أو صبيّاً أو ضريحاً، وقد زاد الطبري⁽²⁾ هذه المسألة بياناً فقال: "إن غلمان الأتراك كانوا لا يزالون يجردون الواحد بعد الواحد منهم قتيلاً في أربابها، وذلك أنهم كانوا عجم جفاة، يركبون الدواب يتراكضون في طرق بغداد وشوارعها، فيصدمون الرجل والمرأة، ويطنون الصبي، فيأخذهم الأبناء⁽³⁾ فينكسونهم عن دوابهم، ويجرحون بعضهم قريباً هلك من الجراح بعضهم، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم وتأذت بهم العامة، فذكر أنه رأى المعتصم ركباً منصرفاً من المصل في يوم أضحى أو فطر، فلما صار في مربعة الحرشي نظر إلى شيخ قد قام إليه، فقال له: يا أبا إسحاق! فابتدره الجند ليضربوه، فأشار إليهم المعتصم فكفهم عنه فقال للشيخ: مالك؟ قال: لا جزاك إله من الجوار خيراً، وجئت بهؤلاء العلوج⁽⁴⁾ فاسكتتهم بين أظهرنا، فأيتمت الأطفال وأرملت بهم نسواننا وقتلت بهم رجالنا والمعتصم يسمع ذلك كله"⁽⁵⁾.

لم يلبث المعتصم أن نذب أحد رجاله لاختيار موضع كان السفاح قد شرع في بناء مدينة جديدة فيه، ثم بنى الرشيد بجوارها قصرًا وحفر عندها نهراً ساءه "القاطول" ثم بنى المعتصم في ذلك المكان قصرًا وهبه لمولاه آشناس التركي وقد فكر المعتصم في هذا المكان الذي فيه قصره، فبنى عنده مدينة "سامراء"⁽⁶⁾ وجعلها حاضر خلافته الجديدة⁽⁷⁾.

(1) مروج الذهب ج2 ص349 القاهرة 1946م.

(2) الطبري: ج9 ص18 بيروت.

(3) الأبناء: هم البقية الباقية من الفرس الذين طردوا الأحباش من اليمن.

(4) العلج: حمار الوحش الشديد ويقصد بذلك شدتهم ووحشيتهم.

(5) يقول الطبري بعد ذلك الحوار أن المعتصم سمع هذا الكلام ثم دخل داره فلم ير ركباً إلى السنة التالية في مثل ذلك اليوم خرج فصى بالناس العيد فلم يرجع إلى منزله ببغداد ولكنه صرف وجهه دابته إلى ناحية القاطول وخرج من بغداد ولم يرجع إليها. الأمم والملوك ج9 ص18.

(6) ذكر المسعودي: مروج الذهب ج2 ص250 في سبب تسمية سامراء بهذا الاسم أنها مدينة سم بن نوح، وذكر ياقوت أن سام بنى هذه المدينة فنسبت إليه وسميت (سام راه) بالفارسية، وذكر أن هذه المدينة لما عمرت أطلق عليه اسم (سرور من رأى) ثم اختصر الاسم ف قيل (سر من رأى). ولما خربت واستوحشت سميت (ساء من رأى) ثم اختصرت ف قيل (سامراء). انظر بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص53 ترجمة حمزة طاهر، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ج2 ص377-377.

(7) تقع سامراء شرق دجلة على مسيرة ثلاثة أيام من بغداد وتبعد عنها مئتين ميلاً من ناحية الشمال.

خلفاء العصر العباسي الأول (132-232هـ / 750-850م)

كان من أثر السياسة التي سار عليها المعتصم في الاستعانة بالأتراك وإجزاله الهبات والعطايا لهم دون غيرهم أن دب في نفوس العرب ديب الغيرة والحسد هؤلاء الأتراك، وقام عجيب بن عنبسة ذلك القائد العربي الذي أبلى بلاء حسنًا في محاربة الزط، بثورة على قواد الترك الذين أساءوا معاملة العرب، بل عزم على التخلص من المعتصم نفسه، فأغرى العباس بن المأمون بالخروج على عمه والمطالبة بعرشه، ودخل قواد العرب في حلية هذه المؤامرة وانفقوا على قتل المعتصم والأفشين وأشناس إذا تم توزيع الغنائم التي استولى عليها المسلمون من البيزنطيين في موقعة عمورية⁽¹⁾.

على أن خبر هذه المؤامرة قد تسرب إلى المعتصم الذي تمكن من القضاء عليها في مهدها، ولكنه لم يتخلص من أثرها، فقد أوقعته في أيدي قواد الأتراك، وأدت إلى إقصاء قواد العرب والفرس تدريجيًا وإسقاطهم من ديوان العطاء، إلا أن الأمر ساء بالنسبة للخلفاء، ذلك أن الأتراك لم يكونوا جادين في إخلاصهم للخليفة، فقد تغلب على نفوسهم عوامل الرغبة في انتزاع السلطة، وغدا الخلفاء أثناء وجود البلاط العباسي في سامراء لعبة في أيدي قواد الأتراك⁽²⁾.

وكان لاعتماد المعتصم على الأتراك أثره على العرب في الأمصار، فثاروا في بلاد الشام تحت زعامة أبي حرب المبرقع اليانعي الذي أشعل نار الفتنة في فلسطين قبل موت المعتصم بقليل بسبب دخول أحد الجنود داره وهو غائب، فلما عاد وعلم بالخبر قتل هذا الجندي، وخاف على نفسه فلبس برقعًا وهرب إلى بلاد الأردن حيث أخذ يحرص الناس على الخليفة المعتصم، إلا أن المعتصم تمكن بمعونة قائده رجاء بن أيوب الحضاري من هزيمة أبي حرب وأسر⁽³⁾.

الوائق⁽⁴⁾ (227 – 232هـ / 842 – 847م):

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي ج2 ص77.

(2) Muir: The Captiphate, p. 517.

(3) الطبري: ج9 ص116 – ص118 بيروت.

(4) ولد هارون الواثق بالله بن المعتصم في شهر شعبان 186هـ وأمه رومية يقال لها قراطيس. الطبري: ج9 ص121.

ولى المعتصم ابنه الواثق عهده فولى الخلافة فى شهر ربيع الأول سنة 227هـ / 16 ديسمبر 841 واقتمدى بأبيه فى الاعتماد على الأتراك الذين كثر عددهم وشغلوا المناصب العالية فى الدولة، فولى أثناس التركى السلطة وتوجه بتاج مرصع بالجواهر حتى أن السيوطى⁽¹⁾ علق على ذلك بقوله: وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطاناً فإن الترك إنما كثروا فى عهد أبيه".

حكم الواثق الدولة العباسية أقل من ست سنين، ولم يولّ عهده أحدًا وتوفى فى شهر ذى الحجة سنة 232هـ / يولية - أغسطس 847م وبموته انتهى العصر الذهبى للدولة العباسية، وذلك نتيجة طبيعية لهذه السياسة التى سار عليها أبوه المعتصم، الذى اعتمد على الأتراك، وأحلهم محل العرب، وما جره هؤلاء من إثارة خواطر الأهلىن بسبب تمسكهم بالبدع الدينية.

(1) تاريخ الخلفاء ص 226 القاهرة 1351هـ

الظاهريون والصفاريون
وعلاقتهم بالخلافة العباسية

الدولة الطاهرية

بداية ظهور الطاهريين:

قامت ببغداد في خلافة الأمين (193 - 198هـ) فتنة جامحة، حين عزم على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وشجعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع⁽¹⁾، لذلك حسن الفضل بن الربيع للأمين خلع أخيه والبيعة لابنه موسى، ووافق الفضل في رأيه بعض الناس، فقال الأمين إلى أقوالهم، على حين نهاء أصحابه وذوو الرأي في بغداد عن ذلك وحذروه عاقبة البغي ونكت اليهود والمواثيق وقالوا له: "لا تجرئ القواد على النكت للأيان وعلى الخلع فيخلعوك"⁽²⁾، فلم يلتفت الأمين إليهم وولى عهده ابنه موسى وسماه الناطق بالحق⁽³⁾، وبذلك نكت الأمين العهد والميثاق الذي أخذه على نفسه فأغضب الخراسانيين وغيرهم من أهالي الأمصار الإسلامية.

على أن الأمين لما شرع في خلع المأمون دعاه للحضور إلى بغداد ليقر على نفسه بالخلع، ولكن المأمون اعتذر عن عدم الحضور، وكثرت الكتب بينها، ورعى الأمين في مراسلاته حتى كاد ينخدع ويوافق على خلع نفسه من ولاية العهد ومبايعة موسى بن الأمين، إلا أن الفضل بن سهل⁽⁴⁾ وزير المأمون شجعه على الامتناع وضمن له الخلافة⁽⁵⁾.

(1) انظر نصيحة حزيمة بن خازم للأمين في كتب السيوطي: تاريخ الخلفاء ص 198، القاهرة 1351هـ ابن الأثير: جد ص 138 بيروت.

(2) يذكر ابن الأثير: الكامل جد ص 142 أن لقيه "القائم بالحق".

(3) استوزر المأمون الفضل بن سهل الذي سمى (ذا الرياستين) لجمعه بين السيف والقلم، كما يقال له (الوزير الأمير). ابن الأثير، جد ص 150.

(4) ابن الأثير: جد ص 139.

(5) ابن الأثير، الكامل جد ص 142، وكان قد أمر بإسقاط ما كان ضرب لأخيه المأمون من الدراهم والدينانير بخراسان سنة 194هـ لأنها لم يكن عليها اسم الأمين.

اشتهر المأمون في أثناء مقامه بخراسان بالورع والتقوى، فحسنت سيرته وتمدح الناس بذكره، على حين انصرف الأمين بعد اعتلائه عرش الخلافة إلى اللهو والمجون، فلما ظهرت بوادر الفتنة، استمال الفضل بن سهل الناس إلى المأمون وضبط الثغور، وقام بتفتيش الكتب الواردة إلى خراسان وقبض على أعوان الأمين، كما قطع الأمين خطبة المأمون من بغداد سنة 195هـ⁽¹⁾.

قامت الفتنة بين الأخوين وهى فى الواقع نزاع حزبي بين الفرس أنصار المأمون من ناحية، وبين العرب أنصار الأمين من ناحية أخرى. وقد قاد أمر هذا النزاع الفضل بن سهل وزير المأمون وكان فارسياً، والفضل بن الربيع وزير الأمين وكان عربياً، وسرعان ما تغلب طاهر بن الحسين⁽²⁾ قائد المأمون على جند على بن عيسى بن ماهان قائد الأمين وقتله بظاهر الرى⁽³⁾.

وقد وضع حصار بغداد وسقوطها على أيدي طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين وزهير بن المسيب، حدثاً لهذا النزاع الذى انتهى بقتل الأمين، فقد نزل زهير رقة كلوذى وحفر الخنادق ونصب المجانيق⁽⁴⁾ ورمى جند الأمين بالعرادات⁽⁵⁾. وأخذ عُشر أموال التجار، وجبى الضرائب على السفن⁽⁶⁾، ونزل هرثمة نهر "بين" وجعل عليه حائطاً وخندقاً، وأعد المجانيق، ونزل طاهر البستان القريب من باب الأنبار، وكان من أثر هذا الحصار أن ضاق الأمين ذرعاً ونفذت أمواله، واضطر لبيع كل ما فى الخزائن والأمتعة، وضرب ما فى قصوره من آنية الذهب والفضة دنائير ليقف منها على الجند⁽⁷⁾. ثم استولى طاهر على بعض أرباض بغداد ومدينة المنصور الشرقية وأسواق الكرخ، وعلى قصر الخلد⁽⁸⁾.

(1) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق، وكان والياً على مرو وهرات، كما كان من قبل كاتباً لسليمان بن كثير الخزازي، انظر ابن الأثير: ج 5 ص 176.

(2) الطبرى: ج 8 ص 445 بيروت.

(3) المجنق: آلة ترمى بها الحجارة.

(4) والعرادة: أصغر من المنجنيق.

(5) الطبرى: ج 8 ص 445 بيروت.

(6) المرجع السابق: ج 8 ص 446.

(7) المرجع السابق: ج 8 ص 447، 448 بيروت.

(8) الطبرى: ج 8 ص 463.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

انتصر جند الأمين على جند طاهر بن الحسين في موقعة "درب الحجارة"⁽¹⁾ وهزمه هزيمة في موقعة "باب الشامية"⁽²⁾، وإزاء ذلك لم يجد طاهر بن الحسين بداً من أن يأمر بإحراق مدينة بغداد وهدمها.

يقول الطبري⁽³⁾ «إن طاهر بن الحسين هدم دور من خالفه ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة إلى الصراة، وأرحاء أبي جعفر ورض حميد ونهر كرخايا والكناسة، وجعل يبايت أصحاب محمد (الأمين) ويد الجهم ويحوى كل يوم ناحية من بعد ناحية ويخندق عليها المراسد من المقاتلة».

ضعف أمر الأمين وتركه بعض قواده، وانحازوا مع بعض تجار الكرخ ووجهوها إلى طاهر بن الحسين، وطلب الجند أرزاقهم فأمر الأمين ببيع ما تبقى من التحف في خزائنه، وتخرج موقفه حتى إنه لم يعد يثق في المقرين إليه، وعبر عن سخطه وسوء حاله في هذه الكلمات: "وددت أن الله عز وجل قتل الفريقين جميعاً وأراح الناس منهم؛ فما منهم إلا عدو ممن معنا ومن علينا، أما هؤلاء فيريدون مالي، وأولئك فيريدون نفسي"⁽⁴⁾.

أشدت ليلاء على بغداد، وأيقن قواد الأمين أنه لا قبل لهم بمقاومة الحصار فخشوا سوء مصيرهم، وأشار عليه جماعة منهم بالهرب إلى الجزيرة والشام وطلب النجدة وصادف هذا الرأي قبولاً منه. ولكن طاهر بن الحسين كتب إلى سليمان بن جعفر وإلى محمد بن عيسى وإلى السندی بن شاهك "والله لأن لم تقروه وتردوه عن هذا الرأي لا تركت ضيعة إلا قبضتها، ولا تكون لي همة إلا أنفسمكم، فدخلوا على محمد (الأمين) فقالوا لقد بلغنا الذي عزمتم عليه، فنحن نذكرك الله في نفسك: أن هؤلاء صعاليك، وقد بلغ الأمر ما ترى من الحصار، وضاق عليهم المذهب، وهم يرون أن لا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيط وعند طاهر وهزيمة، لما انتشر عنهم من مباشرة الحرب والجد فيها ولنا نأمن إذا برزوا بك وحصلت في أيديهم أن يأخذوك أسيراً، فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم وضربوا له فيه الأمثال"⁽⁵⁾.

(1) الطبري: ج8 ص464 - 465.

(2) المرجع السابق: ج8 ص459 وانظر أيضاً ابن الأثير: ج5 ص159.

(3) المرجع السابق: ج8 ص470.

(4) الطبري: ج8 ص478 - 479 بيروت.

(5) السابق نفسه.

واختلف أصحاب الأمين في الرأي: فطلب من هرثمة أن يتوسط في إصلاح ذات البين بينه وبين أخيه المأمون على أن ينزل عن الخلافة⁽¹⁾ وقال أبو الحسن المدائني: "لما هم محمد بالخروج إلى هرثمة وأجابه إلى ما أراد اشتد ذلك على طاهر، وأبى أن يرفه عنه ويدعه يخرج وقال: هو في حيزي والجانب الذي أنا فيه، وأنا أخرجته بالحصار والحرب حتى صار إلى طلب الأمان، ولا أرضى أن يخرج إلى هرثمة دوني فيكون الفتح له⁽²⁾."

غير أن محمد (الأمين) حينها جن الليل لبس لباس اخلافة يريد هرثمة، فوثب به طاهر، وكان قد كمن له في قصر الخلد، فلما صار إلى الحراقة⁽³⁾. خرج طاهر وأصحابه فرموا الحراقة بالسهم والحجارة، فألقى الأمين بنفسه في الماء، وركض إلى الشاطئ فحمل عليه بعض رجال المأمون وقتلوه وأخذوا رأسه، فبعث طاهر برأس الأمين مع البردة والقضيب والسيف⁽⁴⁾ فأمر له بألف درهم⁽⁵⁾.

وذكر عن المدائني أن طاهراً كتب إلى المأمون بالفتح وبين له كيف أنه لم يمكن هرثمة بن أعين من إنقاذ الأمين، وأنه تتبع الأمين وهو في طريقه للقاء هرثمة وأغرق حراقة وقتله على يد قریش (الدندانى)⁽⁶⁾ بعد أن حاول الأمين إغراء قادة طاهر بالمال⁽⁷⁾، وكيف استطاع أن ينشر الأمن والسكينة في المدينة (بغداد) بعد أن تبينوا مقتل الأمين (المخلوع) وهو يرجو أن يهنا المأمون بنعمة النصر وحلاوته، ويتمتع المسلمون ببركة ولايته ويمن خلافته⁽⁸⁾.

ومما يذكر أن طاهر بن الحسين لما فتح بغداد كتب إلى أبي إسحاق المعتصم⁽⁹⁾: أما بعد

(1) الطبرى: ج8 ص481.

(2) السابق: ج8 ص481.

(3) الحراقة: نوع من السفن فيها مرامي تيران يرمى بها.

(4) الطبرى: ج8 ص481 ص488 بيروت وكان مقتل الأمين ليلة الأحد 25 محرم سنة 198هـ.

(5) الطبرى: ج8 ص488 ويذكر أن رأس محمد الأمين أدخل على ترس إلى المأمون فلما رآه مسجد.

(6) الطبرى: ج8 ص488.

(7) فقد عرض مائة حبة قيمة كل حبة ألف درهم.

(8) انظر نص الكتاب عند الطبرى: ج8 ص489 - 492 بيروت.

(9) ذكر البعض أنه إنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدي الطبرى: ج8 ص495 ويؤيد ابن عبد ربه أن

الخطاب إلى إبراهيم بن المهدي. العقد الفريد: ج4 ص241.

فإنه عزيز على أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير، ولكنه بلغنى أنك تميل بالرأى وتصغى باهوى، إلى الناكث المخلوع، وإن كان كذلك فكثير ما كتبت به إليك وإن كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته.

وكتب في أسفل الكتاب هذه الآيات:

ركوبك الأمر ما لم تبَلْ فرصته جهل ورأيك بالتغريس تغريس⁽¹⁾

ولما قتل الأمين ووصل خبره إلى المأمون من طاهر يوم الثلاثاء لأنتى عشر ليلة خلت من صفر سنة 198هـ أظهر المأمون الخبر، وأرسل إليه وإلى هرثمة بخلع القاسم بن هارون⁽²⁾.

وفي سنة 198هـ أمر الخليفة طاهر بن الحسين بالنوجه إلى الرقة لحرب نصر بن شبيب وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب⁽³⁾.

وفي سنة 205هـ ولى المأمون خراسان طاهر بن الحسين⁽⁴⁾. وكذلك ولاء الجبال من

(1) الطبرى: ج8 ص495.

وفي العقد الفريد ج4 ص242.

ركوبك المول ما لم تلفَ فرصته
أهون بدنيا يضرب المخطئون بها
فأزعر صواباً وخذ بالحزم حيلته
فإن ظفرت مصيباً أو هلكت به
وإن ظفرت على جهل قفزت به
جهل رمى بك بالأقحام تغريس
حظ المصيين والمغرور معرور
فلن يذم لأهل الحزم تدبير
فأنت عند ذوى الألباب معذور
قالوا جهول أعانته للمقادير

(2) الطبرى: ج8 ص499.

وذكر أن طاهر قال حين قتل الأمين

قتلت الخليفة فى داره وأنبت بالسف أسواله

وقال أيضاً:

ملكك الناس قسراً واقتدار
ووجهت الخلافة نحو مرو
وقتل الجبابرة الكبار
إلى المأمون تبشتر ابتداراً.

(3) الطبرى: ج8 ص527 وذلك بعد أن أمره أن يسلم كل ما اقتتحه من كور الجبال وفارس والأهوار والبصرة والكوفة والحجاز واليمن للحسن بن سهل.

(4) مما يرويه الطبرى: ج8 ص578 - ص579 أن طاهر دخل على المأمون فلما رآه بكى فلما سأله رفض أن يسوح له سر مكانه فتناحل طاهر أن يعرف سبب مكانه عن طريق ساقى المأمون فعرف أنه ذكر أخاه محمد الأمين وما ناله من الذلة فخنقته العبرة فاستراح إلى الإفاضة (البكاء) وذكر أنه لم يفوت طاهراً منه ما يكره.

حلوان إلى خراسان. وحمل إليه عشرة آلاف ألف وذكر أنه قبل خروجه إلى خراسان وولايته لها، نادى الحسن بن سهل للخروج إلى محاربة نصر بن شبيب فقال: حاربت خليفة، وسقت الخلافة إلى خليفة وأؤمر بمثل هذا! وإنما كان ينبغي أن توجه لهذا قائدًا من قوادى⁽¹⁾.

سياسة طاهر بن الحسين في الحكم:

- وفي سنة 206هـ ولى المأمون عبد الله بن طاهر⁽²⁾ الرقة لحرب نصر بن شبيب ومضر⁽³⁾. فكتب إليه أبوه يبين له سياسته في الحكم.
- 1- أمره بتقوى الله وخشيته ومراقبته والبعد عما يوجب سخطه، وليكن أول ما يلزم به نفسه المواظبة على ما افترض الله من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس في مواقيتها على سننها والخشوع وصدق النية، والحض عليها جماعة.
 - 2- الأخذ بسنة رسول الله، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - 3- أن يحفظ رعيته، ويحسن إليهم ويرأف بهم، وأن يقيم العدل بينهم وأن يحقن دمائهم، ويؤمن سيبلهم، وأن يدخل الراحة عليهم في معاشهم. وأن يفرغ لذلك فكره وعقله وبصره ولا يشغلنه عنه شاغل.
 - 4- أن يرعى العلماء والفقهاء، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه.
 - 5- عليه أيضًا الاقتصاد في الأمور كلها، فالقصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب، "ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة".
 - 6- إحسان الظن بالله عز وجل فيه تستقيم له رعيته.

(1) الطبرى: ج8 ص579 - 580 ويذكر أن ذلك كان سببًا في المصادمة بين الحسين وطاهر، ابن الأثير: ج5 ص197.

(2) مما يذكره ابن عبد ربه: العقد الفريد ج2 ص130.

(3) أن المأمون طلب من طاهر بن الحسين أن يصف له ابنه فقال: يا أمير المؤمنين إن مدحته عته، وإن ذمته اغتبته ولكنه قدح في كف مثقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين.

- 7- اختيار أهل الثقة في القيام بأمر من أمور الولاية، "واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنهم سوء الظن بهم ورفضه عنهم يعنيك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم".
- 8- أمره بمراجعة أعماله وتقويم نفسه، وإقامة حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فإن التفريط في ذلك يفسد "عليك حسن ظنك".
- 9- تجنب البدع والشبهات.
- 10- الوفاء بالعهد، وقبول الحسنة والدفع بها، وأغمض العين عن عيب كل ذي عيب من الرعية، واجتناب الكذب والزور وأهله، واستئالة أهل الصدق والصلاح، وإعانة الأشراف بالحق. وأن يصل الضعفاء وذوى الأرحام، مبتغياً في ذلك ثواب الله والدار الآخرة واجتناب سوء الأهواء والجور.
- 11- حذره عاقبة التسلط أو أن يشيع بين الناس أنه مسلط يفعل ما يشاء، فإن ذلك سريع إلى نقص الرأى في صاحبه وقلة اليقين.
- 12- دعاه إلى القناعة وأن يدع شره النفس، ولتكن ذخائره وكنوزه التى يدخرها البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم، وتفقد أمورهم والحفظ لدهائهم والإعانة للمهوفهم.
- 13- أن يقضى بالحق فيما حل من النعم، والبس من العافية والكرامة، ولا تحقرن ذنباً، ولا تمايلن حاسداً، ولا ترحمن فاجراً ولا تصلين كفوراً، ولا تداهن عدواً، ولا تصدقن نماماً، ولا تأمنن غداراً، ولا توالين فاسقاً، ولا تبعن غاوباً، ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن إنساناً ولا تردن سائلاً فقيراً ولا تحيب باطلاً، ولا تأتين بذخاً، ولا تمشين مراحاً، ولا تركبن سفهاً ولا تفرطن في طلب الآخرة، ولا تغمضن عن الظلم رهبة أو مخافة ولا تطلبن ثواب الدنيا بالآخرة، وأكثر مشاورة الفقهاء، واستعمل نفسك بالعلم. وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة.
- 14- أن يكون جواداً كريماً وأن يتجنب الشح.
- 15- أن يتفقد الجند ويدر عليهم الأرزاق ويوسع عليهم معاشهم.
- 16- أن يكون لديه قضاء عادل، فتصلح الرعية وتأمين السبل ويتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم.

- 17- والعدل في جمع الخراج فإنه مال الأمة.
- 18- بث العيون في كور الولاية حتى تحس الرعية أنه معهم يعلم أخبارهم.
- 19- الحزم في الأمور ولا يؤجل عمل اليوم إلى الغد.
- 20- أن ينظر أمور عماله وأن يتفقد أعمالهم متبعًا في ذلك أسلوب الثواب والعقاب فمن أحسن أثابه ومن أساء عاقبه.
- 21- ألا يمتن على رعيته بمعروف يأتيه إليهم، ولا يقبل من أحد إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين.
- 22- أن يرجع إلى ولايته ويكثر النظر فيها مع الاستعانة بالله على جميع الأمور، وأن يأتي من الأعمال ما يرضى الله فإن فيه عزه وعز أهله⁽¹⁾.

خلفاء طاهر بن الحسين:

لم يلبث طاهر بن الحسين أن توفي سنة 207هـ⁽²⁾ فكتب المأمون بتولية طلحة بن طاهر على خراسان، وأقام طلحة واليًا على خراسان في أيام المأمون من سبع سنين بعد موت طاهر، ثم توفي، وولى خراسان عبد الله - وكان يتولى حرب بابك - فأقام بالدينور، ووجه الجيوش⁽³⁾.

وقد ذكر في أمر ولاية طلحة خراسان بعد أبيه طاهر غير هذا القول ذلك أن طاهرًا لما مات - وكان موته في جمادى الأولى - وثب الجند فانتهبوا بعض خزائنه، فقام بأمرهم

(1) الطبري: ج8 ص582 - ص591 وذكر أن طاهرًا لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المأمون وقرئ عليه فقال: ما بقى أبو الطيب شيئًا من أمر الدين والدنيا والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال، انظر أيضًا ابن الأثير: ج5 ص198 - ص203.

(2) وكانت وفاته من حمى وحرارة أصابته وأنه وجد في فراشه ميتًا.

الطبري: ج8 ص593، ابن الأثير: ج5 ص204.

لما ورد موت طاهر على المأمون قال: الحمد لله الذى قدمه وأخرنا. وكان طاهر أعور وفيه يقول بعضهم:

يا ذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة.

(3) الطبري: ج8 ص595.

سلام الأبرشى الحصى، فأمر بإعطاء الجند رزق ستة أشهر. فصر المأمون عمله إلى طلحة خليفة لعبد الله بن طاهر، ذلك أن المأمون ولى عبد الله في قول هؤلاء بعد موت طاهر عمل طاهر كله. وكان مقيمًا بالرقعة على حرب نصر بن شيبث. وجمع له مع ذلك الشام، وبعث إليه بعهد على خراسان وعمل أبيه: فوجه عبد الله أخاه طلحة بخراسان، وكاتب المأمون طلحة باسمه فوجه المأمون أحمد بن أبي خالد إلى خراسان للقيام بأمر طلحة فشقخص أحمد إلى ما وراء النهر، فافتتح أشروسنه (من بلاد ما وراء النهر) وأسر كاوس بن خاراخره وابنه الفضل، وبعث بهما إلى المأمون، ووهب طلحة لابن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضًا بألفي ألف، ووهب لإبراهيم بن إلياس كاتب أحمد بن أبي خالد خمسمائة ألف درهم⁽¹⁾.

وفي سنة 209هـ جد عبد الله بن طاهر في قتال نصر بن شيبث وحصره واضطره إلى طلب الأمان، وتحول من معسكره إلى الرقة، وصار إلى عبد الله بن طاهر؛ وكان المأمون قد كتب قبل ذلك بعد أن هزم عبد الله بن طاهر جيوشه كتابًا يدعو إلى طاعته ومفارقة معصيته فلم يقبل⁽²⁾.

ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن طاهر حارب نصر بن شيبث مدة خمس سنوات حتى طلب الأمان، فكتب عبد الله إلى المأمون يعلمه أنه حصره وضيق عليه وقتل رؤساء من معه، وأنه قد عاذا بالأمان وطلبه فأمره أن يكتب له كتاب أمان فكتب إليه⁽³⁾. وفي سنة 210هـ وصل نصر بن شيبث ببغداد بعد بن وجه به عبد الله بن طاهر إلى المأمون⁽⁴⁾.

ومما يرويه ابن عبد ربه تبيين لنا أن طاهر بن الحسين بقي على الطاقة مخلصًا للخليفة المأمون بعد ولايته خراسان، ويبدو أن المأمون لم ينسَ قتل طاهر لأخيه الأمين، فحاول المأمون إرسال من يسمه، فأدرك طاهر غاية المأمون فدعا رسول المأمون وصيف فدخل

(1) الطبري: ج8 ص595، ابن الأثير ج5 ص205.

(2) إذ كان من شروط نصر بن شيبث ألا يعطى بساط المأمون. الطبري: ج8 ص598.

(3) فظهر نسخة هذا الأمان: الطبري: ج8 ص600.

(4) فكان دخوله إليها يوم الاثنين السابع من صفر فأمره مدينة أبي جعفر ووكل به من يحفظه.

الطبري: ج8 ص602، ابن الأثير: ج5 ص207 - 208.

عليه وقد جلس طاهر على لبد أبيض، حلق الرأس، وبين يديه مصحف منشور، وسيف مسلول؛ وأمر طاهر رسول المأمون بالانصراف إلى الخليفة على أن يبلغه بالحوال التي رآه عليها. فلم يفهم أحد من الحاضرين وصف رسول المأمون؛ إلا أن المأمون أدرك ما يريدته وقال للحاضرين: أما تقرعوه رأسه (أى حلقها) وجلسه على اللبد الأبيض فهو يجبرنا أنه عبد ذليل؛ وأما المصحف المنشور، فإنه يذكرنا بالعهد التي له علينا، وأما السيف المسلول فإنه يقول: إن نكثت تلك العهود فهذا يحكم بيني وبينك؛ أغلقوا عنا باب ذكره ولا تبيحوه في شيء مما هو فيه، فلم يتعرض له المأمون حتى مات طاهر بن الحسين، وقام بعده ابنه عبد الله بن طاهر، فكان أخف الناس على المأمون⁽¹⁾.

عبد الله بن طاهر في مصر:

لما فرغ عبد الله بن طاهر من نصر بن شيبث العقيلي ووجهه إلى المأمون كتب المأمون يأمره بالمسير إلى مصر، وكان بها يومئذ ابن السرى، فلما قرب عبد الله من مصر قدم قنّداً من قواده ليرتاد لمعسكره موضعاً يعسكر فيه، وقد خندق ابن السرى عليها خندقاً، فاتصل الخبر بابن السرى عن مسير القائد إلى ما قرب منها، فالتقى جيش ابن السرى وقائد عبد الله بن طاهر وأصحابه وهم في قلعة، فجال القائد وأصحابه جولة وأرسل إلى عبد الله يخبره الأمر فأسرع إليه وحملوا على ابن السرى وأصحابه وتساقط أصحاب ابن السرى في الخندق، فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض في الخندق كان أكثر ممن قتله الجنّد بالسيف وانهمز ابن السرى فدخل الفسقاط وأغلق على نفسه وأصحابه ومن فيها الباب، وحاصره عبد الله بن طاهر، فلم يعاوده ابن السرى بالحرب بعد ذلك حتى خرج إليه في الأمان⁽²⁾.

على أنه مما يذكر أن عبد الله بن طاهر بعد وصوله إلى مصر تمكن من تخليصها من جماعة

(1) العقد الفريد: ج2 ص204-205.

(2) الطبرى: ج4 ص610 حوادث سنة 210هـ. ويذكر عن ابن ذى القلمين أن ابن السرى بعث إلى عبد الله بن طاهر لما ورد مصر وماتته من دخولها بألف وصيف ووصيفة، ومع كل وصيف ألف دينار في كيس تحرير وبعث بهم ليلاً فرد ذلك عليه عبد الله وكتب إليه: لو قبلت هديتك نازلاً لقيتها ليلاً. وذكر قوله تعالى: [بل أنتم بهديتكم ترحون. ارجع إليهم فنتأينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون]. فحينئذ طلب الأمان منه وخرج إليه.

الأندلسيين الذين قدموا إليها مستغلين فتنة الجورى وابن السرى، فلما تخلص عبد الله بن طاهر من ثورة ابن السرى وإعطائه الأمان، توجه إلى جماعة الأندلسيين يندوهم بالحرب إن هم لم يجلوا عن البلاد فأجابوه⁽¹⁾.

عبد الله بن طاهر في خراسان:

وفي سنة 213هـ توفي طلحة بن طاهر بخراسان، فخرج عبد الله بن طاهر إلى الدينور سنة 214هـ فبعث المأمون إليه إسحاق بن إبراهيم ويحيى ابن أكتم يخيرانه بين خراسان والجلال وأرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك، فاختار خراسان وذهب إليها⁽²⁾، واستمر بها بعد وفاة المأمون سنة 318هـ حيث أوصى المأمون أخاه أبا إسحاق المعتصم بأن يقر عبد الله بن طاهر⁽³⁾.

عبد الله بن طاهر والمازيار بن قارن:

وفي سنة 224هـ أظهر مازيار بن قارن بن وندا هرمز بطبرستان الخلاف على المعتصم ومحاربه أهل السفح والأمصار منها؛ وكان سبب ذلك أن مازيار بن قارن كل منافراً لآل طاهر، لا يحمل إليهم الخراج؛ وكان المعتصم يكتب إليه يأمره بحمله إلى عبد الله بن طاهر، فيقول: لا أحمله إليه؛ ولكني أحمله إلى أمير المؤمنين؛ فكان المعتصم إذا حمل المازيار إليه الخراج، يأمر: إذا بلغ المال همدان رجلاً من قبله أن يستوفيه ويسلمه إلى صاحب عبد الله طاهر ليرده إلى خراسان؛ فكانت هذه إحالة في السنين كلها ونافر آل طاهر حتى تفاقم الأمر بينهم⁽⁴⁾.

وكان الأفشين يسمع من المعتصم أحياناً كلاماً يدل على أنه يريد عزل آل طاهر عن خراسان؛ فلما ظفر الأفشين ببابك، ونزل من المعتصم المردة التي لم يتقدمه فيها أحد طمع في ولاية خراسان، وبلغته منافرة مازيار لآل طاهر، فرجا أن يكون ذلك سبباً لعزل عبد الله بن طاهر، ففسد الأفشين الكتب إلى المازيار يستميله، ويعلمه ما هو عليه من المودة له

(1) الطبرى: ج8 ص613 حوادث سنة 210هـ، الأثير: ج5 ص212.

(2) الطبرى: ج8 ص620 ص622، ابن الأثير: ج5 ص218.

(3) الطبرى: ج8 ص649 حوادث سنة 218هـ.

(4) الطبرى: ج9 ص80 بيروت.

وأنه قد وعد ولاية خراسان، فدعا ذلك المازيار إلى ترك حمل خراجه إلى عبد الله ابن طاهر، وأرسل عبد الله بن طاهر الكتب بشأنه إلى المعتصم، حتى أوحش المعتصم منه وأغضبه عليه، وحمل ذلك المازيار إلى أن أعلن العصيان، ومنع الخراج، وضبط جبال طبرستان وأطرافه.

وسر الأفشين بذلك وطمع في الولاية؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة مازيار، وكتب الأفشين إلى المازير يأمره بمحاربة عبد الله بن طاهر، ويعلمه أنه يقوم له عند المعتصم بما يحب، وكاتبه المازيار أيضًا؛ فلا يشك أن المازيار سيصمد في وجه عبد الله بن طاهر ويقاومه، حتى يضطر المعتصم إلى أن يوجهه إليه.

على أن المازيار لما عزم على الخلاف، دعا الناس إلى مبايعته، فبايعوه كرهًا، وأخذ منهم الرهائن، فحبسهم في برج، وأمر أكرة (أجراء) الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم، وكان المازيار يكتب بابك، ويحرضه ويعرض عليه النصر، فلما فرغ المعتصم من أمر بابك، أشاع الناس أن أمير المؤمنين يريد المسير إلى قرمايسين، ويوجه الأفشين إلى الرى لمحاربة مازيار، فلما سمع المازيار بذلك أمر بمسح البلد⁽¹⁾ وأرسل كتابًا إلى عامله على الخراج شاذان بن الفضل يأمره بجمع الخراج⁽²⁾.

فلما وصل كتاب المازيار إلى شاذان بن الفضل أخذ الناس بالخراج، فجبى جميع الخراج في شهرين، وكان يجبى في اثني عشر شهرًا في كل أربعة أشهر الثلث⁽³⁾.

لما تمكن المازيار وقوى أمره جمع أصحابه وأمر تخريب سور مدينة أمل ومدينة سارية، ثم وجه أخاه قوهيار إلى مدينة طميس⁽⁴⁾ فخرّب سورها ومدينتها وأباح أهلها، ثم لحق بأخيه المازيار، فأقام سرخاستان⁽⁵⁾ سورًا من طميس إلى البحر⁽⁶⁾، وجعل حولها خندقًا ذا

(1) الطبري: ج9 ص80-81.

(2) انظر هذا الكتاب عند الطبري: ج9 ص81-82.

(3) الطبري: ج9 ص83.

(4) وهي على حدود جرجان من جهة طبرستان، الطبري: ج9 ص84.

(5) أبو صالح سرخاستان (سرخاسيان) وكان خليفة المازيار على مدينة سارية الطبري: ج9 ص83.

(6) ومده في البحر ثلاثة أميال، وكانت الأكاسرة بته ليحميها من إغارات كفار الترك على طبرستان الكبرى: ج9 ص85.

الظاهرين والصفايون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

أبراج للحراسة وجعل له باباً واحداً؛ ففزع أهل جرجان وخافوا على أموالهم ومدينتهم فهرب بعضهم إلى نيسابور، وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر وإلى المعتصم فوجه إليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب وضم إليه جيشاً كثيفاً لحفظ جرجان، وأمره أن يعسكر على الخندق⁽¹⁾.

كذلك وجه عبد الله بن طاهر حيان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر⁽²⁾ في أربعة آلاف إلى قومس معسكراً على حد جبال شروين، ووجه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم بن مصعب في جمع كثيف وضم إليه الحسن بن قارن الطبري ومن كان باباه من الطبرية، ووجه منصور بن الحسن هار صاحب دناوند إلى مدينة الري ليدخل طبرستان من ناحية الري، ووجه أبا الساج إلى اللارز ودناوند؛ فلما أحدثت الخيل بالمازيار من كل جانب أرسل إلى محتسبيه يطلب منهم جمع خراج ستين، فلم يتمكن من جمع شيء مما أراد⁽³⁾.

لم يلبث أصحاب الحسن بن الحسين بن مصعب أن تمكنوا من الدخول إلى عسكر سرخاستان؛ وهرب سرخاستان، واستولى أصحاب الحسن على جميع ما في العسكر؛ وقبضوا على أخى سرخاستان وهو شهریار وساروا به إلى الحسن بن الحسين حيث ضرب عنقه، ولم يلبث أن قبض على أبى صالح سرخاستان وسبق إلى الحسن بن الحسين حيث أمر بضرب عنقه⁽⁴⁾.

لما قوى أمر المازيار بن قارن⁽⁵⁾، بعث إلى أخيه القوهيار، فألزمه باباه وولى الجبل والياً من قبله يقال له درى، فلما احتاج المازيار إلى الرجال لمحاربة عبد الله بن طاهر دعا أخيه القوهيار وقال له: أنت أعرف بجبلك من غيرك، وأظهره على أمر الأفشين ومكاتباته له وقال له: صر في ناحية الجبل، واحفظه على⁽⁶⁾.

(1) نزل الحسن بن الحسين معسكراً على الخندق الذى عمله سرخاستان وصار بين العسكرين عرض الخندق. الطبرى: ج9 ص85.

(2) الطبرى: ج9 ص98.

(3) الطبرى: ج9 ص85-87.

(4) الطبرى: ج9 ص88-89.

(5) يذكر الطبرى هذه الرواية في بيان فساد أمر المازيار وهلاكه. ج9 ص97-100.

(6) الطبرى: ج9 ص97-98.

وكتب المازيار إلى الدردي يأمره بالقدوم، فقدم عليه، فضم إليه العساكر، ووجهه إلى عبد الله بن طاهر، وظن أنه قد توثق من الجبل بأخيه القوهيار، فضلاً عن مناعته، وتوثق من المواضع التي يتخوف منها بالدردي وأصحابه، وضم إليه المقاتل وأهل عسكره. فوجه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف من خراسان إلى المازيار، ووجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب، ووجه معه صاحب خبر يقال له يعقوب بن إبراهيم البوشنجي مولى الهادي ويعرف بقوصرة، فتقابل الجيشان وزحفوا نحو المازيار وهو آمن⁽¹⁾، في قلة من أصحابه.

كان من أثر حقد ابن عم المازيار⁽²⁾ على المازيار⁽³⁾، أن كاتب الحسن بن الحسين، وأعلمه جميع ما في عساكره، وأن الأفشين كاتب المازيار، فأنفذ الحسن كتاب ابن عم المازيار إلى عبد الله بن طاهر، فوجه به عبد الله برجل إلى المعتصم. وكاتب عبد الله والحسن بن الحسين ابن عم المازيار - وقيل القوهيار - وضمنا له جميع ما يريد، وكان ابن عم المازيار أخبر عبد الله بن طاهر أن الجبل الذي هو عليه كان له ولأبيه ولأبائه من قبل المازيار. وأن المازيار عند تولية الفضل بن سهل إياه طبرستان انتزع الجبل من يديه وألزمه بابه واستخف به، فشرط له عبد الله بن طاهر إن هو وثب بالمازيار وتمكن من أن يعيد إليه الجبل ولا ينازعه فيه، فرضى بذلك ابن عم المازيار، فكتب له عبد الله بن طاهر بذلك كتاباً؛ فوعد ابن عم المازيار الحسن بن الحسين ورجلهم أن يدخلهم الجبل، وأمر عبد الله بن طاهر الحسن بن الحسين أن يزحف للقاء الدردي، ووجه عسكرًا ضخماً عليه قائد من قواده، فوافوا ابن عم المازيار في الجبل وسلمه إليهم، وحاربوا الدردي، ولم يشعر المازيار وهو في قصره إلا بالرجال والخيل على بابه؛ فحصروا المازيار. وأنزلوه على حكم أمير المؤمنين المعتصم⁽⁴⁾.

توجه الحسن بن الحسين بالمازيار⁽⁵⁾، والدردي يقاتل العسكر بإزائه، ولم يعلم بأسر

(1) الطبري: ج9 ص98.

(2) يذكره الطبري ابن عمه أو أخيه القوهيار.

(3) ذكر الطبري ج9 ص97-98 أن جبال طبرستان كلها كانت في يد ابن عمه وكان في يد المازيار السهل، فلما نوى أمر المازيار بعث إلى ابن عمه (وقيل أخوه) فألزمه بابه وولى الجبل واليًّا من قبله.

(4) الطبري: ج9 ص98-99.

(5) يذكر الطبري عن عمرو بن سعيد الطبري: أن المازيار كان يتصيد ففاجأته الخيل في الصيد فخذ أسيراً بعد أن نهب قصره: ج9 ص99.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

المازيار، فلم يشعر إلا وعسكر عبد الله بن طاهر محدقة به فأسقط في أيديهم وهزموا⁽¹⁾.

ومضى الدرى منهزماً إلى بلاد الديلم، فقتل أصحابه، وكر عليه جند عبد الله بن طاهر فتصدى لهم بجارهم حتى قتل وأخذ رأسه، فبعثوا به إلى عبد الله بن طاهر. والمازيار بين يديه، فوعده عبد الله بن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل أمير المؤمنين الصفح عنه، وأعلمه عبد الله أنه قد علم أن الكتب عنده، فأمر المازيار بذلك وأعطاها لعبد الله بن طاهر فوجه بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم، وأمره ألا يخرج الكتب من يده ولا المازيار إلا في يد أمير المؤمنين، فأوصلها إلى المعتصم فسأل المعتصم المازيار عن الكتب، فلم يقر بها؛ فأمر بضرب المازيار حتى مات⁽²⁾.

على أن أسباب الوحشة بين عبد الله بن طاهر والأفشين لم تكن رغبة الأفشين في الاستيلاء على خراسان، بل لأن عبد الله بن طاهر أطلع على بعض أسرار الأفشين المالية⁽³⁾. ذلك أن الأفشين كان أيام حربه لبابك ومقامه بأرض الخرمية لا يأتيه هدية من أهل أرمينية إلا وجه بها إلى أشروسنة (من بلاد ما وراء النهر) فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر فيكتب إلى المعتصم يطلب إخباره بجميع ما وجه به الأفشين من الهدايا إلى أشروسنة؛ وكان الأفشين كلما تهيأ عنده مال حمله أوساط أصحابه من الدنانير، فكان الرجل يحمل فوق الألف دينار في وسطه، وفي يوم نزل جماعة من هؤلاء الرجال نيسابور، فأمر عبد الله بن طاهر بتفتيشهم فأخبروه بأن هذه أموال الأفشين وهدايا فكذبهم وقال لهم: لو أراد أخي الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب إلى يعلمني ذلك لأمر بحراسته وبذرقة⁽⁴⁾؛ لأن هذا مال عظيم وأنتم لصوص. فأخذ عبد الله المال وأعطاه لجنده، وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم وأنكر عليه أن يكون قد وجه مثل هذا المال إلى أشروسنة. دون أن يرسل إليه ليقوم بحراسته وخفارته وقال له: فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيته الجند مكان المال الذي يوجهه إلى أمير المؤمنين في كل سنة، وإن

(1) الطبري: ج9 ص99 ص100.

(2) الطبري: ج9 ص99 ص100.

(3) الطبري: ج9 ص105.

(4) البذرة: الحفارة.

كان المال لك - كما زعم القوم - فإذا جاء المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك؛ وإن يكن غير ذلك فأمر المؤمنين أحق بهذا المال؛ وإنما دفعته إلى الجند لأنني أريد أن أوجههم إلى بلاد الترك؛ فكتب إليه الأفشين يعلمه أن ماله ومال أمير المؤمنين واحد ويسأله إطلاق القوم⁽¹⁾.

لما تحقق المعتصم من كتب الأفشين إلى المازيار تغير عليه، وأحس الأفشين بذلك، ولم يدر ماذا يصنع وقد أعد خطتين إحداهما لسم الخليفة وقواده والأخرى للهرب إلى أشروسنة، فبلغت هذه المؤامرة المعتصم فأمر بالقبض على الأفشين وكتب إلى عبد الله بن طاهر بالقبض على الحسن بن الأفشين؛ وكان الحسن بن الأفشين قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر في نوح بن أسد (الساماني) يعلمه تحامله على ضياعه وناحيته، فكتب عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد يعلمه ما كتب أمير المؤمنين في أمر الحسن بن الأفشين، ويأمره بجمع أصحابه والتأهب له؛ فإذا قدم عليه الحسن بن الأفشين بكتاب ولايته استوثق منه وحمله إليه؛ فكتب عبد الله بن طاهر إلى الحسن بن الأفشين يعلمه أنه عزل نوح بن أسد، وأنه قد ولاه الناحية ووجه إليه بكتاب عزل نوح بن أسد⁽²⁾.

خرج الحسن بن الأفشين في قلة من أصحابه وسلاحه، فقبض عليه نوح بن أسد وأرسله إلى عبد الله بن طاهر الذي وجه به إلى المعتصم⁽³⁾.

وتمكن عبد الله بن طاهر من ضبط خراسان، ودانت له البلاد جميعاً بالطاعة واستقامت له الأمور، وبقي على أعمال المشرق طوال عهد المأمون والمعتصم⁽⁴⁾.

(1) الطبري: ج9 ص104 - ص105.

(2) الطبري: ج9 ص105.

(3) يذكر الطبري ج9 ص107 - ص114 محاكمة الأفشين وحبه حتى مات سنة 226هـ.

(4) كانت العلاقة بين عبد الله بن طاهر والمعتصم وطيدة حتى إنه لما مرض عبد الله بن طاهر أرسل إليه المعتصم يقول:

أعزز على بأن أراك عيلاً
أو أن يكون بك السقام نزيلاً
فوددت أني مالك لسلامتي
فأعيرها لك بكرة وأصيلاً
فتكون تبقى سالماً بسلامتي
وأكون عما قد عراك بديلاً
هذا أخ لك يشتكى ما تشكي
وكذا الخليل إذا أحب خليلاً

ابن عبد ربه: العقد الفريد ج2 ص449.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

وصدر أيام الواثق إلى أن مات بنيسابور يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة 230هـ⁽¹⁾.

ومما يذكر لعبد الله بن طاهر أنه كان مهتمًا بأحوال رعاياه في خراسان، وقضاء حوائجهم⁽²⁾ ودخل عليه يومًا سوار القاضي فقال: أصلح الله الأمير:

لنا حاجة والعذر فيها مقدم خفيف معناها مضاعفة الأجر
فإن تقضها فالحمد لله وحده وإن عاق مقدر ففى أوسع العذر

فسأله عبد الله بن طاهر عن حاجته قال: كتاب لى أن رأى الأمير - أكرمه الله - أن ينفذه في خاصته، كتبه إلى موسى بن عبد الملك في تعجيل أرزاقى. قال: أو غير ذلك أبا عبد الله نجعلها لك من مالنا. وإذا وددت (كنت) بخيرًا بين أن تأخذ أو ترد، فأنشد سوار يقول:

فبابك أيمن أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكفك حين ترى المجتدي من أندى من الليلة الماطرة
وكلك أنس بالمعتفين من الأم بابتها الزائرة⁽³⁾

طاهر بن عبد الله:

مات عبد الله بن طاهر وإليه الحرب والشرطة والسواد وخراسان وأعماله والرى وطبرستان، وما يتصل بها وكرمان، فولى الواثق أعمال عبد الله بن طاهر كلها إلى ابنه طاهر⁽⁴⁾، وقد استقامت له الأمور فيها ثمان عشرة سنة⁽⁵⁾. إلى أن مات في خلافة المنتصر في رجب سنة 248هـ فولى المستعين ابنه محمد على خراسان وولى محمد بن عبد الله بن طاهر على العراق وجعل إليه الحرمين. والشرطة ومعاون السواد⁽⁶⁾.

(1) الطبرى: ج9 ص131، حمزة الأصفهاني: تاريخ سنى ملوك الأرض ص146، محمد على حيدر الدويلات الإسلامية في المشرق ص47.

(2) ابن الأثير: ج5 ص271.

(3) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج1 ص243.

(4) الطبرى: الطبرى ج9 ص131.

(5) اليعقوبى: البلدان ص308 ويذكر أن الواثق أراد أن يعين إسحق بن إبراهيم المصعبى خلفًا لعبد الله بن طاهر، إلا أن عبد الله بن طاهر كان قد سبقه إلى نيسابور. محمد على حيدر: الدويلات الإسلامية في المشرق ص47.

(6) ابن الأثير ج5 ص311 - 312.

أقول نجم الطاهريين:

كان محمد بن طاهر (248 - 259هـ) آخر حكام الطاهريين حيث قدر لهذه الأسرة أن تزول على أيدي الصفاريين ففي سنة 257هـ تقدم يعقوب بن الليث الصفار إلى بوشنج، واستولى عليها، وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين عامل محمد بن طاهر عليها، فأرسل إليه محمد بن طاهر يسأله إطلاق سراحه فلم يجبه، وأبقاه في الأسر⁽¹⁾.

لما تحقق يعقوب بن الليث من ضعف محمد بن طاهر أمير خراسان سار إلى نيسابور (حاضرة الطاهريين) وكتب إلى محمد بن طاهر يعلمه أنه قد عزم على قصد طبرستان ليمضي ما أمره الخليفة في الحسن بن زيد المتغلب عليها، وأنه لن يعرض لشيء من عمله، وكان بعض خاصة محمد بن طاهر وبعض أهله لما رأوا إدبار أمره، مالوا إلى يعقوب بن الليث فكاتبوه واستدعوه، وهونوا على محمد أمر يعقوب، وأعلموه أنه لا خوف عليه منه، وثبطوه عن التحرز منه، فركن محمد إلى قوطم حتى قرب يعقوب من نيسابور فوجه إليه قائداً من قواده يهدئ من روعه ويطلب منه عدم مغادرة نيسابور، ثم وصل يعقوب إلى نيسابور رابع شوال سنة 259هـ وأرسل أخاه عمرو بن الليث إلى محمد بن طاهر فقبض عليه وقيده، وعنفه على إهماله وعجزه، ثم قبض على جميع أهل بيته⁽²⁾ وحملهم إلى سجستان واستولى على خراسان ورتب في الأعمال نوابه. وبذلك زالت الدولة الطاهرية.

ظل الطاهريون بصفة عامة أوفياء للخلافة العباسية، إذا كانوا يعتبرون أنفسهم بمثابة شركاء في توجيه سياسة الدولة العباسية وإدارة شئونها إذ كانت أهم المناطق في المشرق تحت نفوذهم، وتمتعوا بنفوذ داخلي كبير فيما يتعلق بشئون الإدارة المحلية.

ومع أن الطاهريين تمتعوا بما يشبه الاستقلال التام في إدارة شئون دولتهم إلا أنهم حرصوا على وجود علاقات وطيدة بالخلافة العباسية وبخاصة في عهد عبد الله بن طاهر⁽³⁾ الذي كان حكيماً باعتياده على الخلافة العباسية حتى يجني أطيب الثمرات في ظل

(1) ابن الأثير: جد 363.

(2) وكنوا نحو: من مائة وستين رجلاً، ابن الأثير: جد 369.

(3) انظر ما أرسله المعتصم من شعر يتمنى فيه لعبد الله بن طاهر البرء من مرضه. ابن عبد ربه: العقد

الفريد جد 2 ص 449.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

العلاقات الطيبة معها، وفي حدود ما تحول له سلطته ولهذا لم يفكر عبد الله في الانشقاق على الخلافة أمام جمهور المسلمين ولم يفكر في الانفصال نهائياً عن بغداد⁽¹⁾.

وأدت ثقة الخلفاء بالطاهريين أن صارت الإمارة وراثية في أسرهم وتمتعوا بحكم خراسان، وعملوا على نشر الأمن، ويسروا سبل الحج، وحكموا بالعدل وأشاد الناس بذكرهم⁽²⁾.

وكان الطاهريون يدفعون جزية سنوية لدار الخلافة، وظلوا أنصاراً مخلصين للعباسيين، فأبقوا شرطة بغداد في أيديهم حتى سنة 301هـ⁽³⁾.

(1) محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية في المشرق ص 50.

(2) انظر ما ذكره ابن عبد ربه: العقد الفريد ج 1 ص 243.

(3) عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص 110-111، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق ص 79.

الدولة الصفارية

(254 — 290هـ / 867 — 903م)

يعقوب بن الليث الصفار:

يرجع ظهور يعقوب بن الليث على مسرح السياسة إلى خلافة المتوكل سنة 237هـ حينما كان يلي خراسان طاهر بن عبد الله، وسجستان كملحقات لها، ولما تولى خراسان محمد بن طاهر⁽¹⁾ لم يعبا يشنون دولته، في الوقت الذي وقعت فيه السلطة المركزية ببغداد تحت نفوذ الأتراك، واختلافهم مما أضرب بمركز الخلافة في الأطراف الشرقية بخراسان، ومهد الطريق أمام يعقوب بن الليث.

وكان يعقوب في أول أمره أحد قادة صالح بن النضر الكناني؛ الذي اشتهر بالتطوع في قتال الخوارج، وقد تغلب على سجستان سنة 237هـ وكان يعقوب من المخلصين في خدمته، حتى جعله صالح في مقام النائب عنه، وقد استعاد طاهر بن عبد الله أمير خراسان سجستان من صالح بن النضر، وأعادها إلى طاعته⁽²⁾.

وسرعان ما تغلب على هذه المدينة درهم بن الحسين زعيم المطوعة الذي ظهر عجزه، فولى جنده قائده يعقوب بن الليث، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على

(1) ابن الأثير: ج5 ص291.

(2) ابن الأثير: ج5 ص291، ص237، ص238 النويري: نهاية الأرب ج23 ورقة 193 مخطوط بدار الكتب رقم 699.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

يعقوب بن الليث، وملكوه أمرهم لما رأوا فيه من السياسة وحسن التدبير فتولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج والشرأة وهزمهم هزيمة منكرة، ولم يلبث أن اشتدت شوكته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها⁽¹⁾.

لم تقف أطماع يعقوب عند حد الاستيلاء على هرة وبوشنج، بل تطلع إلى كرمان وفارس من قبل الخليفة العباسي، وطلب منه أن يولييه كرمان، وكان على بن الحسين قد تباطأ بحمل خراج فارس، فكتب إليه الخليفة المعز بولاية كرمان وكتب إلى يعقوب بن الليث بولايتها، وكان هدف المعز من ذلك إغراء كل واحد منها بصاحبه حتى إذا هزم أحدهما الآخر سقطت مؤنة الهالك منها، وانفرد بالآخر⁽²⁾.

وزحف يعقوب بن الليث بجيشه نحو كرمان، ولكن على بن الحسين كان قد وجه أحد قواده، وهو "طوق بن المغلس" فسبقه إلى كرمان، فلجأ يعقوب إلى خداع طوق بأن موة عليه، فانصرف عنه مرحلتين، فوضع طوق آلة الحرب وأقبل على الشرب والملاهي فباغته يعقوب وأحاط به وبأصحابه وتمكن من أسره، ودخل كرمان وملكها⁽³⁾. ثم سار بعد ذلك إلى شيراز عاصمة فارس واستولى عليها بعد أن هزم على بن الحسين، وأخذ ما في بيوت الأموال وجبى الخراج ورجع إلى سجستان، ولما فارق يعقوب بلاد فارس أرسل الخليفة عماله إليها⁽⁴⁾.

وفي سنة 257هـ / 870 - 871م سار يعقوب بن الليث إلى فارس، فأرسل إليه المعتمد ينكر ذلك عليه، فكتب إليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان والسند، فقبل يعقوب ذلك وعاد إلى بلخ، ثم سار من بلخ إلى كابل واستولى عليها وأرسل رسولا إلى الخليفة ومعه هدايا من كابل، ثم سار إلى بست فأقام بها سنة ثم رجع إلى هرة، وحاصر مدينة كروخ،

(1) ابن الأثير: الكامل ج5 ص 291، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج2 ص 312، الويرى: نهاية الأرب (مخطوط) ج23 ورقة 193.

(2) ابن الأثير: ج 5 ص 430، الويرى: نهاية الأرب ج23 ورقة 193 ويذكر ابن الأثير أن كلاً من يعقوب بن الليث وعلى بن الحسين يظهران طاعة غير حقيقية وكان المعز يعلم ذلك عنها.

(3) ابن الأثير: ج5 ص 340 حوادث سنة 255هـ.

(4) ابن الأثير: ج5 ص 340 - ص 341 ويذكر أن يعقوب بعد انتصاره كتب إلى الخليفة بطاعته وأرسل إليه الهدايا والطرف.

واستولى عليها، ثم سار إلى بوشنج وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين، وأرسل محمد بن طاهر بن عبد الله يسأله إطلاق عم أبيه الحسين بن طاهر فلم يفعل⁽¹⁾.

بلغ من ضعف الطاهريين بخراسان أن رأى يعقوب بن الليث أن يسقط دولتهم. ويستبدل بهم دولة قوية تستند إلى قوة الجيش الذي يرأسه، وخاصة عندما تمكن من هزيمة الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان، الذي كان قد قصد جرجان، واستولى عليها من محمد بن طاهر سنة 257هـ، فتوطدت بذلك أقدام يعقوب بن الليث في سجستان وهرات وما حولها⁽²⁾.

لم يبقَ للطاهريين في خراسان سوى نيسابور التي تحصنوا بها بعد أن انفصلت عنهم معظم الولايات الشرقية التي غلب عليها يعقوب بن الليث والحسن بن زيد العلوي، فضلاً عن عبث الخوارج والشرأة⁽³⁾. فرغب يعقوب أن يقتحم آخر معاقلهم فتوجه بجنده صوب نيسابور سنة 259هـ / 872م، واستولى عليها في عهد الخليفة المعتمد، وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته، وبذلك سقطت دولتهم⁽⁴⁾.

وبعد انتصار يعقوب بن الليث الذي رأى أنه القوة الوحيدة المسيطرة على تلك النواحي من المشرق الإسلامي، رغب في أن يولييه الخليفة العباسي أمر المشرق حتى يستمد من تلك التولية نفوذاً روحياً يضمه إلى ما حصل عليه من نفوذ مادي وعسكري، فبعث إلى الخليفة يصف إليه الحال في خراسان، وكيف تمكن من القبض على محمد بن

(1) ابن الأثير: جد 3 ص 363، النويري: نهاية الأرب (مخطوط) ج 23 ورقة 196.

(2) ابن الأثير: جد 3 ص 363.

يذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن ج 3 ص 65 أن يعقوب بن الليث لم يكن يرمى إلى القضاء على الدولة الطاهرية بل عمل على أن يمد نفوذه على بلاد فارس وخراسان. لذلك نراه يحارب الترك على تقوم سجستان فرهبته الملوك وأذن له ملك المولتان وملئ الخرج وملك الطيسين، وملك زابلستان وملك السند ومكران وغيرها. الطبري: ج 11 ص 233 ص 243

(3) ابن الأثير: جد 3 ص 363.

(4) ابن الأثير: جد 3 ص 368 - 369 ويذكر ابن الأثير أن يعقوب لم يقبض على محمد بن طاهر وبخه على تفريطه. وأرسل إلى الخليفة يذكر تفريط محمد بن طاهر في عمله وأن أهل خراسان سألوه المسير إليهم.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

طاهر لعجزه وضعفه، وأن أهل خراسان سألوه المسير إليهم، ويذكر غلبة العلويين على طبرستان⁽¹⁾.

على أن هذا الموقف الذى اتخذه يعقوب بن الليث من الطاهريين، يعتبر تحدياً سافراً لسلطان الخلافة وحرمانها من نصير موال - رغم ما وصلت إليه دولة الطاهريين من ضعف - اعتمدت عليه الخلافة العباسية، وإن كان يعقوب نفسه قد وعد الخلافة بالتأييد والطاعة، كما تعهد بأن يقدم إلى بيت المال ما يحتاجه، وضمن خراج الأقاليم التى تخضع له⁽²⁾.

على أن الخلافة العباسية التى كانت تحرص على سيادتها فى المقام الأول لم ترض عن هذه الثورات، وقد أصرت الخلافة فى عهد المعتمد وجهود الموفق على أن تشعر ولاية الأقاليم بأنهم يخضعون لها خضوعاً مباشراً فى كل تصرفاتهم، ولذا فلم تلق مطالب يعقوب بن الليث بشأن خراسان قبولاً حسناً⁽³⁾، وردت رسل يعقوب ومعها خطاب جاء فيه: "أن أمير المؤمنين لا يقر يعقوب على ما فعل وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذى ولاه إياه، وأنه لم يكن ليعقوب أن يفعل ما فعل بغير أمره، فليرجع فإنه إن فعل كان من الأولياء وإلا لم يكن له إلا ما للمخالفين"⁽⁴⁾.

وفى سنة 261 هـ / 874 - 875 م بدأت أطماع يعقوب ابن الليث الواسعة تظهر ظهوراً بيناً، وأدرك الخليفة العباسى المعتمد مدى الخطورة التى تستهدف له دولته من جراء ازدياد نفوذه، فأضمر له العدا، وجمع ببغداد حجاج خراسان والرى وطبرستان وجرجان، وقرئ عليهم كتاب الخليفة بلعن يعقوب، وأرسلت عشرات النسخ من هذا الكتاب إلى الأمصار لتذاع بين الناس⁽⁵⁾.

أثار الخليفة العباسى بعمله هذا حنق يعقوب بن الليث، فأعد عدته لقصد العراق، ثم

(1) ابن الأثير: ج5 ص 368 - 369.

(2) محمد على حيدر: الدويلات الإسلامية فى المشرق ص 61.

(3) ابن الأثير: ج5 ص 368 - 369 الذى يذكر أن الخليفة العباسى أنكر عليه ما فعله، وأمره بالانصراف على ما أسند إليه، وأن لا يسلك مسلك المخالفين.

(4) النويرى: نهاية الأرب (مخطوط) ج23 ورق 196.

(5) الطبرى: ج9 ص 512، ابن الأثير: ج6 ص 7.

سار إلى الأهواز: "وكتب الخليفة وسأله ولاية خراسان وبلاد فارس، وما كان مضمومًا إلى طاهر بن الحسين من الكور، وشرطى بغداد وسر من رأى، وأن يعقد له على كرمان وسجستان والسند، وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التي نسخت في دار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ويقرأ عليهم خلاف ما قرئ عليهم أولاً... ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب. ففعل ذلك الموفق أخو الخليفة المعتمد على الله، وأجابه إلى ما طلب وجمع الناس وقرأ عليهم ما أحبه الصغار، وأجيب إلى الولاية التي طلبها"⁽¹⁾.

وكانت الحكمة السياسية هي التي دفعت الموفق مدير أمر المعتمد إلى اتخاذ مثل هذه الخطوة، ذلك أن الظروف التي كانت تمر بها الخلافة لا تسمح بالحرب في جبهتين في وقت واحد، جبهة الزنج الذين ثاروا منذ سنة 255هـ وثورة يعقوب بن الليث ومع ذلك فإن أطماع يعقوب بن الليث لم تقف عند حد، ولم يقنع بما وصل إليه، بل عمل على قصد بغداد نفسها وحمل الخليفة على الإذعان لمطالبه، وربما كان ذلك لاعتقاده على جيش قوى. فقد ذكر ابن خلكان⁽²⁾، أن مساحة عسكره كانت ميلاً في ميل، وأن دوابه في غاية الرفاهية.

وفي سنة 262هـ أعاد يعقوب الرسل إلى الخليفة بكتاب ذكر فيه أنه لا يرضيه ذلك، دون أن يصير إلى باب السلطان وارتحل يعقوب من عسكر مكرم بعد أن سار إليه أبو الساج، فلما علم المعتمد بذلك رأى أنه لا بد من الحرب فخرج من سارما أوائل جمادى الآخرة سنة 262هـ وسار إلى بغداد ثم إلى الزعفرانية، فأقام بها وأحضر الموفق لمحاربة يعقوب⁽³⁾.

وسار يعقوب بجيشه من عسكر مكرم إلى واسط، إلى دير العاقول لمحاربة الموفق⁽⁴⁾، فجعل الموفق على اليمن الجيش موسى بن بغا، وعلى يساره مسرور البلخي وتولى هو قيادة القلب. وقد أحرز يعقوب نصراً مبدئياً في المعركة التي دارت رحاها إذ حملت مسيرة يعقوب على ميمنة الموفق، فألحقت بها الهزيمة، وقتل كثير من قواد جيش الخلافة، ولكن لم يلبث أن تحول هذا النصر إلى هزيمة ساحقة عندما حمل الموفق ومعه سائر جيشه حملة

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ص 316.

(2) وفيات الأعيان ج 2 ص 317.

(3) الطبري: ج 9 ص 516-517، ابن الأثير: ج 6 ص 7-8.

(4) الطبري: ج 9 ص 517 وذكر أن المعتمد سار من الزعفرانية إلى سيب بن كوما.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

موقعة على جيش يعقوب، الذى ثبت فى أول الأمر، ولم تزل الحرب قائمة إلى أن انهزم جيش يعقوب⁽¹⁾، وثبت هو فى خاصة أصحابه إلى أن فارقوا مكان المعركة، وتبعهم أصحاب الموفق، وغنموا ما فى معسكره، وخلصوا محمد بن طاهر من الأسر⁽²⁾، فخلع عليه الموفق وولاه الشرطة فى بغداد⁽³⁾.

عاد يعقوب منهزماً إلى خوزستان ونزل جنديسابور، وأراد صاحب الزنج أن ينتهز ذلك الموقف ويعقد محالفة مع يعقوب ضد الخلافة، وراسله لكى يحثه على الرجوع إلى بغداد ويعدده بالمساعدة، غير أن يعقوب رفض ذلك العرض وقال لكتابه إليه: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) وبعث بالكتاب إليه⁽⁴⁾.

وتبين لنا إسلام يعقوب بن الليث على المذهب السنى (مذهب الخلافة)؛ حينما رفض التحالف مع العلوى صاحب الزنج.

وأراد المعتمد أن يكيد ليعقوب بن الليث، فكتب إلى ابن واصل بتولية قارس وكان قد سار إليها وجمع جماعة فغلب عليها فسير يعقوب إليه جيشاً يقوده ابن عزيز السرى، فاستولى على فارس، ورجع المعتمد إلى سامراء وأما أبو أحمد الموفق فإنه سار إلى واسط ليتبع الصفار، وأمر أصحابه بالتجهز لذلك، غير أنه اضطر للعودة إلى بغداد بسبب مرضه⁽⁵⁾.

على الرغم من الهزيمة التى منى بها يعقوب بن الليث على يد الموفق وجيشه، إلا أن الخلافة أدركت قوته، فبعثت إليه تستميله وتجدد ولايته على فارس، ولكنه لم يقنع بذلك فنزل جنديسابور سنة 363هـ / 876 - 877م بعد أن أجلى من كان بها من جند الخليفة ووجه يعقوب إلى الأهواز جيشاً يقود الخضر بن العنبر، فلما قاربها خرج منها على بن أبان ومن معه ودخل الخضر الأهواز، وقامت اعتداءات متكررة بين جيش الصفار وصاحب

(1) يذكر الطبرى ج9 ص518 أن كثيراً ممن كان مع يعقوب أظهر كراهيته للحرب معه إذ رأوا السلطان (الموفق) قد حضر قتاله.

(2) الطبرى: ج9 ص518، ابن الأثير: ج6 ص7-8.

(3) الطبرى: ج9 ص518-519، التويرى: نهاية الأرب (مخطوط) ج23 ص199.

(4) ابن الأثير: ج6 ص8.

(5) ابن الأثير: ج6 ص8.

الزنج؛ انتهت في بادئ الأمر بأن أوقع الزنج بجيش الصفار. فأنفذ يعقوب المدد إلى قائده وأمر بالكف عن قتال الزنج والإقامة في الأهواز، فكف بعضهم عن بعض⁽¹⁾.

أراد الخليفة المعتمد أن يستميل إليه يعقوب بن الليث؛ ليأمن جانبه فيقول ابن خلكان⁽²⁾ إن الخليفة: أرسل إليه رسولا يترضاه ويستميله ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول ويعقوب مريض، فجلس له، وجعل عنده سيفاً ورغيفاً ومعه بصل، فأحضر الرسول فأدى الرسالة وقال له: "قل للخليفة إنني عليل فإن مت فقد استرحت منك واسترحت مني، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا السيف هذا، حتى آخذ بثأري أو تكسرني وتفقرني فأعود إلى الخبز والبصل. وعاد الرسول فدم يلبث يعقوب أن مات (في جنديسابور) في شوال سنة 265 هـ / يونية 879م⁽³⁾.

اشتهر يعقوب بن الليث باليقظة وحسن التدبير، فكان يحسن اختيار رجاله، كما يحسن تنظيم جيوشه وأعدادها بالعدة والسلاح وظل في حياته الخاصة جندياً يرتدى الملابس القطنية، ولم يحاول تبرير أعماله بوسائل غير شرعية، ووجه كل اهتمامه إلى تكوين جيش مطيع له⁽⁴⁾، ويقول المسعودي⁽⁵⁾: "وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف، وحسن انقيادهم لأمره. واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من إحسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيئته.. وكان من سنته للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب في الدخول من باب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم، فيمرون مع أطناب الشقاق إلى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو وضعها، لكنه يرى مداخلهم إليها ومخرجهم منها، فمن احتاج إليه منهم واحتاج إلى كلامه أو أمره أو نبيه دعاه فأمره".

(1) الطبري: ج9 ص 351، 432، ابن الأثير: ج6 ص 14، النوري: نهاية الأرب ج23 ص 199 (مخطوط).

(2) وفیات الأعيان: ج2 ص 21.

(3) ابن الأثير: ج6 ص 21.

(4) الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص 116.

(5) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج4 ص 141، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص 80-81.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أهمية حركة يعقوب بن الليث الصفار فلقد كان من حسن حظ الخلافة أن جاءت حركته في فترة كانت فيها الخلافة في عهد المعتمد وأخيه الموفق من القوة بحيث أمكنها جمع طمعه، ومع ذلك فقد ساهم يعقوب بن الليث في تحقيق بعض أهداف الدولة العباسية، بعدائه للخوارج المنشقين على الدولة والعلويين.

كذلك لم تكن حركة الصفار ذات صبغة دينية أو سياسية تحتم على يعقوب وأخيه عمرو عدم القيام بعمل عسكري ضد الخليفة، لأن طبيعتهم المتعطشة للحكم لم تجعلهم راضين بما كسبوا، ولكنهم بذلوا جهدهم للحصول على المزيد من الأراضي والمناطق. وساروا على إيجابار الخلافة على الاعتراف بسياسة الأمر الواقع، وفي الوقت الذي كانت قوة الطاهريين في أفول، ازدهرت قوة الصفاريين، بحيث لم تجد الخلافة، وقد أعيتها محاولات إنشاءهم عن الاستيلاء على المزيد من المناطق، إلا أن تعترف بنفوذهم، ومن الجانب الآخر أراد الصفاريون إرضاء الخلافة بالإذعان والطاعة لها. فدعوا للخليفة على المنابر، وصكوا العملة باسمه في ولاياتهم⁽¹⁾.

ويقول براون⁽²⁾ إن استقلال بلاد الفرس يمكن أن يقال إنه بُعث عن طريق هذه الأعمال الباهرة التي قام بها يعقوب بن الليث الصفار فإنه على الرغم من أنه لم يكن من بيت عريق، نجح في تأسيس دولة استطاعت مع قصر عهدها أن تنشر نفوذها، ليس في سجستان وحدها، حيث قامت دولتها في أول الأمر، بل في معظم أرجاء فارس وإلى أسوار بغداد تقريباً.

عمرو بن الليث الصفار (265 - 287هـ):

لما توفي يعقوب بن الليث سنة 265هـ بايع الجند أخاه عمراً، وأقر أبو أحمد الموفق أخو الخليفة العباسي المعتمد تعيينه والياً على خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان، والشرطة ببغداد وسامراء، وأرسل إليه الخلع⁽³⁾.

(1) محمد علي: الدويلات الإسلامية في المشرق ص 67.

(2) Lit, Hist. of Persia. Vol, I. pp. 346-7.

(3) الطبري: ج 9 ص 544 - 545، ابن الأثير: ج 6 ص 22.

تحسنت العلاقة بين عمرو بن الليث والخلافة، وأتاب عمرو عنه عبيد الله بن عبد الله في شرطة بغداد وسامراء، وبعث إلى الموفق بعمود من الذهب⁽¹⁾.

ويبدو طموح عمرو بن الليث في محاولة الاستقلال بدولته عن الخلافة، وإذا كان يعقوب ذكر اسمه بجانب اسم الخليفة، فإن عمرو لم يلبث أن صك العملة الذهبية باسمه، كما أنه ليس هناك دليل على أن الصفاريين كانوا يدفعون حراجاً سنوياً إلى دار الخلافة بالرغم من أن يعقوب كان قد وافق من حيث المبدأ على أن يدفع ثلثي الضرائب التي يجيها حكام الولايات التي يحكمونها باسمهم⁽²⁾.

لم تلبث العلاقات أن ساءت بين الدولة الصفارية والخلافة العباسية، فقد عزل الخليفة المعتمد عمرو بن الليث عن البلاد التي ولاه إياها، وأعلن هذا الخلع على ملا من حجاج خراسان، ولعله بحضرتهم، وأخبرهم أنه قلده محمد بن طاهر وأمر بلعن عمرو على المنابر، بيد أن محمد بن طاهر أثار البقاء بحاضرة الخلافة وأتاب رافع بن هرثمة في إدارة ولاية خراسان⁽³⁾.

وفي سنة 274هـ سار الموفق إلى فارس لحرب عمرو بن الليث الصفار، فلما بلغ الخبر عمرو سير إليه العباس بن إسحق في جمع كبير إلى سیراف. وأنفذ ابنه محمد بن عمرو إلى أرجان، وسير أبا طلحة شركب صاحب جيشه على مقدمته، فاستأمن أبو طلحة إلى الموفق، غير أنه لم يلبث أن عزم على العودة إلى عمرو فقبض عليه الموفق، وسار يطلب عمراً فعاد عمرو إلى كرمان ومنها إلى سجستان، ولم يقدر الموفق على أخذ كرمان، وسجستان وعاد أدراجه⁽⁴⁾.

ولما ولي المعتمد الخلافة سنة 279هـ / 893م عزل رافع بن هرثمة عن خراسان وسبب ذلك أن المعتمد كتب إلى رافع بتخيلة قرى السلطان بالرى، فلما رفض رافع كتب المعتمد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بمحاربة رافع وإخراجه عن الرى، وكتب إلى عمرو بن الليث بتولية خراسان، ثم إن أحمد بن عبد العزيز لقي رافعاً فقاتله

(1) الطبري: ج9 ص549 وذلك لكي يزيل أى أثر للشك من ناحيته تجاه الخلافة.

(2) Siddiqi: Caliphate and Kingship, p. 35.

(3) ابن الأثير: ج6 ص58 حوادث سنة 271هـ.

(4) ابن الأثير: ج6 ص62.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

فانهزم رافع عن الرى وسار إلى جرجان غير أن أحمد ابن عبد العزيز لم يلبث أن توفي (280هـ) فعاد رافع إلى الرى فلاقاه عمرو وبكر ابنا عبد العزيز فانهزما إلى أصبهان، وأقام رافع بالرى باقى سنة 280هـ⁽¹⁾.

ولم يلبث عمرو بن الليث أن وافى نيسابور سنة 280هـ / 893 - 894م واستولى عليها وعلى خراسان فرأى رافع أن يصالح محمد بن زيد على أن يعيد إليه طبرستان⁽²⁾ وكذلك ابن عبد العزيز، وبلغ خبر تلك المصالحة عمرو بن الليث فأرسل إلى محمد بن زيد يهدده بالانتقام فتراجع عن إنجاد رافع بعسكره⁽³⁾، وفى سنة 283هـ سار رافع إلى خراسان فورد نيسابور فى ربيع الآخرة (283هـ مايو - يونيو 896م) وجرى بينه وبين عمرو حرب شديدة انهزم فيها رافع إلى أيبورد وأراد المسير إلى هراة، ومرو فقطع عليه عمرو الطرق وحصره عند سرخس فتلاقياً، واستأمن بعض قواد رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه، وسير أخاه محمد بن هرثمة إلى محمد بن يزيد يستمده فلم يمهده، وتفرق عن رافع أصحابه وغلماناه، وخرج رافع منهزماً إلى خوارزم فى رمضان (283هـ)، فلما بلغ رباط خيوة وجه إليه خوارزمشاه أبا سعيد الدرغانى ليقيم له الأنزال ويخدمه إلى خوارزم، فرماه أبو سعيد فى قلة من رجاله وغدر به وقتله فى شوال (283هـ) وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث وهو بنيسابور⁽⁴⁾. وأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد فوصل إليه سنة 284هـ⁽⁵⁾.

فرح الخليفة العباسى بمقتل رافع بن الليث وأرسل إليه بالثلع ولواء ولايته على الرى⁽⁶⁾، ولكن عمراً اعتذر عن قبول الثلح وأصر على طلب ولاية ما وراء النهر وكانت بيد إسماعيل بن أحمد السامانى. ولم يجد الخليفة بدءاً من إجابة عمرو الذى لم تقف أطعامه عند حد وكتب إليه إسماعيل: إنك قد وليت دنيا عريضة، وأنا فى يدى ما وراء النهر، وأنا

(1) ابن الأثير: ج6 ص74.

(2) ردها فى شعبان سنة 281هـ على أن يمهده بأربعة آلاف من شجعان الديلم وخطب لمحمد بطبرستان وجرجان فى ربيع الآخر سنة 282هـ ابن الأثير ج6 ص74.

(3) لما قوى أمر عمرو أبقاه بطبرستان.

(4) أرسل عمرو بن الليث إلى الخليفة العباسى يخبره بمقتل رافع بن الليث فأمر الخليفة بإعلان مقتل رافع فى ذى القعدة سنة 283ق. الطبرى: ج10 ص50.

(5) ابن الأثير: ج6 ص74-75.

(6) الطبرى: ج10 ص63 حرر سنة 284هـ.

في ثغر فاقنح بها في يدك، واتركني مقبلاً بهذا الثغر، فأبى إيجابته إلى ذلك وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال عمرو: لو شئت أن أسكره بيد الأموال وأعبره لفعلت⁽¹⁾. فسار إسماعيل نحوه وعبر النهر إلى الجانب الغربي، ونزل عمرو فنزل بلخ، إلا أن جموع إسماعيل لم تلبث أن حاصرت عمرو، ثم دار القتال بين الطرفين، فهزم عمرو، وأخذ أسيراً فسيره إسماعيل إلى سمرقند⁽²⁾.

لما وصل الخبر إلى الخليفة المعتضد ذم عمراً ومدح إسماعيل، وخير إسماعيل عمراً بين البقاء عنده أو إنفاذه إلى المعتضد، فاخترار المقام عند المعتضد فأرسله إلى بغداد حيث وصلها سنة 288 هـ وبقي محبوباً بها حتى قتل سنة 289 هـ⁽³⁾.

كان عمرو بن الليث يتميز بكفائته في إدارة دولته، فمنع أصحابه وقواده أن لا يضرب أحدهم غلاماً إلا بأمره .. وكان يشتري المالك الصغار ويهبهم قواده. ويجرى عليهم الجرايات الحسنة سرّاً ليطالعه بأحوال قواده ولا ينكتهم عنه شيء من أخبارهم، ولم يكونوا يعلموا من ينقل إليه عنهم، فكانوا لذلك يحذرونه⁽⁴⁾.

وكانت سلطة عمرو تستند إلى القوة الحربية، ولذلك اهتم بالعمل على زيادة موارد دولته، وكانت شراسته للمال لا حد لها، حكى عنه أنه ألزم عملاً له بفارس اسمه أبو حصين على بيع أملاكه وتأدية ثمنها إليه ففعل، ثم طلب منه مائة ألف درهم، كذلك سخط يوماً على أكبر حجاجه محمد بن بشير ولم يرضت عنه إلا بعد أن أدى إلى خزانة عمرو وخمسين بكرة من الذهب⁽⁵⁾.

آل حكم الدولة الصفارية بعد وفاة عمرو بن الليث إلى حفيده طاهر بن محمد بن

(1) كتب إسماعيل بن أحمد ذلك لعمرو بعد أن وجه عمرو حاجبه وخليفته محمد بن بشير لمحاربة إسماعيل بن أحمد الذي تمكن من قتل محمد بن بشير، وستة آلاف من رجاله، فلما بلغ المهزومون عمراً عزم على المسير إلى بلخ، فكتب إليه إسماعيل ذلك الخطاب. انظر ابن الأثير: ج6 ص95، حوادث سنة 287 هـ.

(2) ابن الأثير: ج6 ص95 - ص96.

(3) ابن الأثير: ج6 ص96، ويذكر قتله ضمن حوادث سنة 288 هـ ص101.

(4) ابن الأثير: ج6 ص96 بيروت.

(5) ابن الأثير: ج6 ص96 بيروت.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

عمرو بن الليث، إلا أنه لم يكن له من الأمر شيء، لاستبداد سبك السبكرى غلام عمرو بن الليث بالسلطة، حيث قبض عليه وعلى أخيه يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث في سنة 296هـ / 908 - 909م ويعث بهما إلى بغداد، وتغلب على بلاد فارس إلى أن طرده منها الليث بن علي بن الليث الصفار، فاستنجد السبكرى بالخليفة المقتدر، فأمدّه بجيش بقيادة مؤنس الخادم (297هـ / 909 - 910م) وحلت الهزيمة بالليث الصفارى، وأمره ولكن الجلو لم يصفُ للخلافة بسبب عصيان السبكرى، وامتناعه عن إرسال الأموال إلى بيت المال⁽¹⁾.

حاولت الخلافة العباسية القضاء على السبكرى الذى انهزم من شيراز إلى بم وتحصن بها وتبعه محمد بن جعفر القرابى - أحد قواد مؤنس الخادم - وحصره بها فخرج إليه السبكرى وحاربه مرة ثانية فهزمه محمد ونهب ماله ودخل السبكرى مفازة خراسان، وتمكن السامانيون من القبض على السبكرى وأسرّه، وكتب الأمير أحمد بن إسماعيل السامانى إلى الخليفة المقتدر بذلك النصر، فكتب إليه يشكره على ذلك، ويأمره بإرسال السبكرى ومحمد بن علي بن الليث إلى بغداد، فسيرهما إليه⁽²⁾. في شوال سنة 298هـ / يونيو 911م.

وبذلك زالت الدولة الصفارية، لى لم يقتصر خطرهما على انتزاع ذلك الجزء الكبير من أراضي الدولة العباسية في المشرق، بل حاول يعقوب فتح بغداد، واقتفى أخوه عمرو أثره ولكنها لم يبالا إلى بغيتها. وكان من الممكن لهذه الدولة أن تعيش لو أن مؤسسيها قنعوا بها في أيديهم، إلا أن أطماعهم جلبت عليهم عداوة الدولة العباسية، فعمل خلفاؤها على القضاء على الصفاريين بكل ما أوتوا من قوة. واستعانوا بالقوة الجديدة التى ظهرت في تلك المنطقة، وهم السامانيون الذين جدوا في القضاء على هذه الأسرة وعملائها.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج2 ص324، ابن الأثير: ج6 ص136.

(2) ابن الأثير: ج6 ص136، ص138 حوادث سنة 298هـ.

حركة الزنج

وموقف الخلافة العباسية تجاهها

حركة الزنج:

تعتبر حركة الزنج من الثورات التي مهدت الخلافة العباسية وهزت كيانها، وهم طائفة من عبيد إفريقية⁽¹⁾ الذين جيء بهم في الغالب من ساحل إفريقيا الشرقي⁽²⁾، وهو أرض الزنج⁽³⁾، التي تدعى زنجبار أو زنجبار وتشمل هذه البلاد مساحات واسعة من إفريقية بما في ذلك المناطق الداخلية وجزءاً من المنطقة الواقعة قرب البحر الأحمر.

وكان لهذا الشعب فروع وعشائر مختلفة؛ حيث كانوا يمثلون تجارة الرقيق الأسود الرائجة في تلك العصور، فقد كان يبارسها العرب ويقتت مستمرة حتى وقت قريب في المناطق الإفريقية الممتدة ما بين خطي عرض 5 - 15 جنوباً، وكانت هذه المناطق قديماً، وحتى وقت قريب مقصد تجار الرقيق الأسود⁽⁴⁾.

وقد استخدم العبيد على نطاق واسع في الأراضي الواقعة شرقي البصرة؛ حيث تكثر

(1) حركة الزنج هي ثورة العبيد Ethiopians.

Muir: The caliphate, p. 545.

(2) Massignon: Encyclopedia of islam, vol. IV, p.1213.

(3) يطلق لفظ الزنج أو الزنوج أحياناً على جميع العبيد.

(4) من نهر الزمبيزي جنوباً إلى بلاد مانيوبا شمالاً.

Encyclopedia Britznica, Vol. 23, pp. 934 - 35

الظاهرية والصفاوية وعلاقتهم بالخلافة العباسية

المستنقعات في القسم الأدنى من دجلة والفرات⁽¹⁾، وكانت مهمة هؤلاء العبيد "كسح السبخ" أى إزالة الطبقة الملحية التى تغطى هذه الأراضى وإظهار التربة الخصبة الصالحة للزراعة، ونقل السبخ وجعله أكواماً أو تلالاً ليستفاد منه فى الوقت نفسه⁽²⁾.

سكن الزوج العراق منذ مدة طويلة، وظهروا بفرات البصرة فى آخر أيام مصعب بن الزبير، وكانوا قليل العدد آنذاك، لكنهم أفسدوا الزروع واستولوا على الثمار كرهاً. ولما ولى خالد بن عبد الله القسرى البصرة كانوا قد كثروا فشك إليهم الناس أذاهم ففرقهم وقتل جماعة منهم وفنك بهم⁽³⁾. وفى عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى ثار هؤلاء الزوج سنة 75هـ / 694م واجتمع منهم جمع كبير واتخذوا من بينهم زعيماً يدعى رباح ولقبوه "شير زنجي" أى أسد الزوج⁽⁴⁾. فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو صاحب شرطة البصرة أن يحاربهم، فجهز لهم جيشاً بقيادة ابنه حفص فهزموا الجيش وقتلوا قائده⁽⁵⁾. ولكن الهزيمة لم تلبث أن لحقت به فى السنة نفسها (75هـ / 694م).

ولما ولى يحيى بن محمد أخو السفاح الموصل سنة 133هـ / 750م كانت معه جماعة من الزوج "فلما فعل ما فعل فى الإسراف فى قتل الرجال والنساء والأولاد فأباح الزوج فى اغتصاب النساء، فاعترضت يحيى امرأته وعيرته بتسليم المسلمات لرعاى الزوج فأثر فيه كلامها وجمعهم للعطاء، فلما اجتمعوا أمر بهم فقتلهم عن آخرهم، ولم يكن للزوج شوكة فى ذلك العهد، وإنما كان ابتداء شوكة وازدياد قوته فى منتصف القرن الثالث الهجرى⁽⁶⁾.

كان العمل الذى استخدم فيه هؤلاء الزوج شاقاً إلى أبعد الحدود، وفضلاً على ما يلاقونه من الإرهاق والعنت، فقد تعرضوا لرقابة صارمة وإهانات مستمرة⁽⁷⁾، من قبل

(1) Walker: A Rare coin of the Zanj, p. 653 (The journal of the Royal Asiatic society 1).

(2) Encyclopedia of islam, vol IV, p. 1213.

(3) ابن الأثير: ج 4 ص 40 بيروت.

(4) ابن الأثير: المرجع نفسه.

(5) ابن الأثير: ج 4 ص 40 بيروت.

(6) دائرة معارف البستاني ج 9 ص 259.

(7) Noldeke: Sketches from Eastern History, p. 144.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

وكلاء أسيادهم يسوقونهم بالسوط على أداء واجباتهم الثقيلة، لذلك فقد كان الشعور بالمرارة ضد الأسياذ هو الشعور السائد بين هؤلاء العبيد⁽¹⁾.

لقد كثرت أعداد هؤلاء العبيد وتزايدت حتى بلغ عدد أحد الجماعات التي تشغل على نهر دجيل الأهواز⁽²⁾ خمسة عشر ألف غلام⁽³⁾. وكانت حالة الزنج سيئة إلى أقصى حدود السوء، فقد كان أكثرهم عبيدًا لدهقين البصرة وبناتهم، ولم يكونوا ذوى زوجات وأولاد⁽⁴⁾. وكان أسيادهم من أصحاب رؤوس الأموال قساة عليهم يكلفونهم من العمل أكثر مما يطيقون⁽⁵⁾، كما أنهم لم يتناولوا أجورًا معقولة حتى أنه لم يزد عن قليل من الغذاء الزهيد مكون من شيء من الطحين والتمر والسويق⁽⁶⁾.

حالة الخلافة العباسية:

كان الخليفة المتوكل⁽⁷⁾ أول خلفاء العصر العباسي الثاني، وقد دبر ابنه المتنصر مؤامرة لقتله، وإن الأتراك بابعوه بالخلافة من بعده، ولكنه لم يتمتع بالخلافة غير ستة أشهر وقتل

(1) Ibid., 144.

(2) نهر بالأهواز حفر أرشير بن بابك أحد ملوك الفرس مخرجه من أصبهان ومعه في فارس قرب عبادان، ياقوت: معجم البلدان ج4 ص42.

(3) الطبري: ج9 ص414 بيروت.

وما يدل على ضخامة أعداد الزنج ما يرويه الطبري ج9 ص414، من أن صاحب الزنج أخذ من مكان واحد خمسمائة غلام ومن مكان آخر مائة وخمسين غلامًا ومن موضع ثالث خمسين ورابع ثمانين وكل هؤلاء في يوم واحد.

(4) كانوا على هيئة الشطار عزابا. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ج8 ص565 مصر 1281هـ.

(5) وأية ذلك أن علي بن محمد لم يكذبهم حتى استجابوا له مسرعين وحتى تكاثروا من حوله.

طه حسين: ثورثان ص565 الكاتب المصري مجلد 3 عدد 8.

(6) الأمر الذي جعل صاحب الزنج يهتم بهذه الناحية ويستغل سوء حاله المعيشية.

ابن الأثير: ج5 ص348 بيروت.

(7) ولد جعفر بن المعتصم في سنة 206هـ بقم الصلح وهي البلدة على نهر دجلة على مقربة من مدينة واسط ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شجاع. البغدادي، تاريخ بغداد ج7 ص166. القاهرة 1349هـ / 1931م.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

على أيدي الأتراك الذين استولوا منذ قتل المتوكل على الدولة العباسية، واستضعفوا الخلفاء حتى كان الخليفة لعبة في يدهم أن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه أو قتلوه.

وقد جلس على سرير الخلافة بعد المنتصر أحمد بن محمد بن المعتصم ولقب المستعين بالله، فكانت أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب، ولم يلبث أن عزل وقتل على يد هؤلاء الأتراك الذين تغلغلوا في أمور الدولة العباسية وتسلطوا على حياة الخلفاء وبايعوا المعتز. ولم تطل خلافته فقد قتله الأتراك وبايعوا المهتدي ابن الواثق بالخلافة سنة 255هـ / 868 - 869م وكان من أحسن الخلفاء سيرة وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة.

وسرعان ما اجتمعت كلمة الأتراك على قتل الخليفة المهتدي في شهر رجب سنة 256هـ / يونية 870م، وبايعوا المعتمد بن المتوكل بالخلافة، وكان إذا ذاك محبوباً بالجوسق. ويقول صاحب الفخري⁽¹⁾ "وقد غلب أخوه الموفق حتى لم يبق له من الخلافة إلا اسمها".

كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع، كان هو وأخوه طلحة كالشركيين في الخلافة: للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بإمرة المؤمنين، ولأخيه طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومراقبة الثغور وترتيب الوزراء والأمرء وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك ببلذاته⁽²⁾، ويقول السيوطي⁽³⁾: "وانهمك المعتمد في اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة".

نسب صاحب الزنج:

صاحب الزنج هو اللقب الذي أطلق على الرجل الذي ظهر في فرات البصرة⁽⁴⁾ سنة 255هـ / 868م فقاد الزنج في تلك الثورة الخطيرة التي دامت أكثر من أربعة عشرة سنة وفي الكلام على نسب هذا الرجل المسمى على بن محمد نلاقي صعوبات جمة، فهناك من

(1) ابن طباطبا: في الآداب السلطانية ص 226 القاهرة 1923م.

(2) ابن طباطبا: ص 226.

(3) تاريخ الخلفاء ص 242، بالقاهرة، 1351هـ

(4) فرات البصرة: كورة بهمن بن أردشير، وهي كورة واسعة بين واسط والبصرة، معجم البلدان ج 1

ص 36.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

يقول إنه فارسي، بل يؤكد فارسيته، وهناك من يرد نسبته إلى قبيلة عربية في حين نجد بعض المراجع تسكت عن نسبه، فلا تثبت هذا أو ذلك. أما الرجل نفسه فقد "زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب"⁽¹⁾.

ويجد الباحث أن نسب هذا الرجل يتغير من حين إلى حين فينسب إلى يحيى بن زيد بن علي بعد أخراب البصرة ويترك نسبته إلى أحمد بن عيسى⁽²⁾. ويقول ابن أبي الحديد⁽³⁾ أن صاحبنا غير نسبه تبعاً للظروف فانتقل من أحمد بن زيد إلى أحمد بن محمد بن زيد ثم إلى يحيى بن زيد بن علي، وحين شخص إلى البحرين سنة 249هـ / 863م ادعى أنه على بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب⁽⁴⁾. فهل نسبه العلوي صحيح؟

إن الإجابة على هذا السؤال بالنفي لأن المراجع الرئيسية تجمع على أنه لا يتسبب إلى العلويين حقاً، بل هو دُعي في انتسابه إليهم⁽⁵⁾. فيقول أبو الفدا عن نسبة على بن محمد نفسه إلى العلويين "وهو في ذلك كاذب لأن الإجماع في يحيى أنه لم يعقب إلا بتناً ماتت وهي ترضع"⁽⁶⁾ ويقول صاحب الفخري⁽⁷⁾ "أما نسبه فليس عند النسابين بصحيح وهم يعدونه من الأدعياء"، ويقول⁽⁸⁾ ابن أبي الحديد: "وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيين وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس" ويقول المسعودي: "وأكثر الناس يقول أنه ادعى آل أبي طالب"⁽⁹⁾.

ومع أن المراجع العربية الرئيسية تجرد صاحب الزنج من النسب العلوي إلا أن نولده

(1) الطبري: ج9 ص410 بيروت، المسعودي: مروج الذهب ج2 ص439، تاريخ ابن الوردي ج1 ص233.

(2) ابن الأثير: ج5 ص346 بيروت.

(3) شرح نهج البلاغة ج8 ص318.

(4) الطبري: ج9 ص410 بيروت.

(5) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج3 ص21.

(6) أبو الفدا: البداية والنهاية ج11 ص29 مكتبة المعارف - بيروت 1977م.

(7) ص183، النجوم الزاهرة ج3 ص311.

(8) شرح نهج البلاغة ج8 ص311.

(9) مروج الذهب ج4 ص135.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

لا يعلق كبير أهمية على كونه من العلويين لأنهم - على حد قوله - لم يكونوا كلهم شخصيات متميزة "ذلك أن نسل على آنذاك كانوا يعدون بالآلاف ولم تكن لهم كلهم أهمية تاريخية"⁽¹⁾.

على أننا نرجح أن يكون صاحب الزنج غير علوي وأنه إنما ادعى النسب العلوي لتصطبغ حركته بصبغة دينية، وتلقى صدى عظيمًا واستجابة ملحوظة في قلوب العامة. ذلك أن العلويين تمتعوا بسمعة طيبة، واشتهر عنهم دائم نعمتهم على السلطة الحاكمة بدليل ثوراتهم المتعددة في شتى العهود الإسلامية، والاستناد إلى النسب العلوي يضيء على حركة صاحب الزنج طابعًا خاصًا تعجب به الجماهير لها وهو الطابع الديني الذي اعتمدت عليه أغلب الحركات من هذا النوع، وهي في جميعها حركات اجتماعية محضة. وإذا كنا قد نفينا عن صاحب الزنج نسبه العلوي، فعليتنا أن نعرف نسبه ذلك أن المراجع اختلفت في ذلك.

ولد على بن محمد في قرية كبيرة تدعى ورزنين في قرى الري (بخراسان) وبها كانت نشأته⁽²⁾. وكان اسمه فيما يذكر على بن محمد بن عبد الرحيم، ونسبه في قبيلة عبد القيس وأمه قرّة ابنة علي بن رحيب بن محمد بن حكيم وهي أسدية من أسد بن خزيمه⁽³⁾. وقد ذكر عنه أنه كان يقول: "جدي محمد بن حكيم من أهل الكوفة"⁽⁴⁾. واستنادًا إلى بعض المصادر نجد أن عائلته ترجع إلى البحرين، وكانت فرعًا من قبيلة عبد القيس التي كانت تستقر هناك⁽⁵⁾.

(1) Sketches, pp. 146 - 147.

(2) الطبري: ج9 ص410 بيروت، ابن الأثير: ج5 ص346 بيروت وهي لا تبعد عن طهران عاصمة إيران الحديثة.

Noldeka: Sketches. P. 146.

(3) ابن أبي الحديد ج8 ص311.

(4) أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين، فلما قتل زيد هرب فلحق بالري فلتجأ إلى ورزنين فأقام بها وإن أبا أبيه عبد الرحيم رحل من عبد القيس كان مولده باطلقان وأنه قدم العراق فأقام بها واشترى جارية سندية فأولدها محمدًا أباه.

الطبري: ج9 ص410.

(5) عبد القيس من قبيلة ربيعة.

ونخرج من ذلك بأن صاحبنا عربي، ولكن هناك مراجع أخرى تقول إن صاحب الزنج فارسي فيقول ابن الجوزي⁽¹⁾ والسيوطي⁽²⁾ إن صاحب الزنج هو "يهودا"⁽³⁾ وأصله من ورزنين فهو من أصل فارسي، كما يبدو من الاسم والمولد⁽⁴⁾. غير أننا نميل إلى إعطاء صاحبنا نسباً عربياً للأسباب الآتية:

أولاً: أنه عربي النسب بإجماع المراجع الرئيسية تقريباً.

ثانياً: أن ابن الجوزي والسيوطي وإن سمياه "يهودا" فإنهما لم يجزما بفارسيته.

ثالثاً: أن الطبري وهو أقدم وأهم وأدق المراجع التي كتبت في هذا الموضوع يطلق اسم يهودا بن عبد الوهاب على شخص آخر "وقد كان أكثر أصحاب الفاسق - أى صاحب الزنج - غارات وأشدهم تعرضاً لقطع السبيل وأخذ الأموال"⁽⁵⁾، ونحن نزيد الطبري بصفته مؤرخاً عاصر الأحداث وعاشها.

رابعاً: كانت لغة صاحب الزنج العربية وبها كان ينظم الشعر العربي البليغ، وإن خطبه تدل على أسلوب عربي متين، وإن لم يدل هذا على عروبة أصله، فإنه يدل على عروبة ثقافته ونشأته.

خامساً: لو كان نسب على بن محمد فارسياً لأكد المؤرخون هذه الناحية للطعن فيه ككثير على الدولة، ولما سكتوا هذا السكوت عن أصله.

(1) المنتظم ج5 ص96.

(2) تاريخ الخلفاء ص242.

(3) وقيل إن اسمه يهود. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج3 ص48.

(4) يرر بعض المؤرخين المحدثين كونه فارسياً بأن أكثر الحركات السرية أو الهدامة في الإسلام قامت بها العناصر الأجنبية عامة والفارسية على وجه الخصوص انتقاماً من العرب.

(5) الطبري: ج9 ص610 بيروت. ويقول أبو الفدا: إن يهودا أكبر أمراء صاحب الزنج. البداية والنهاية ج11 ص42، بيروت 1977.

بداية ظهور صاحب الزنج في البصرة:

كانت البصرة مدينة زراعية عظيمة وتتوقف معيشة سكانها على الزراعة بالدرجة الأولى⁽¹⁾، وعلى التجارة بالدرجة الثانية فقد قال عنها الجاحظ⁽²⁾ "أنها باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا". لذا لا يساورنا العجب إذا اختار على بن محمد هذه المدينة كمركز لدعوته، على اعتبار أنه يستطيع أن يجد فيها كثيرًا من الأعوان، فيما إذا استغل الظروف السائدة جيدًا.

وقد اهتمدى صاحب الزنج بثاقب فكره إلى حقيقة هامة، وهي أن يستغل الفوضى السياسية والاجتماعية الضاربة أطنابها في هذه المدينة المزدهرة بالسكان، خاصة أن البصرة كانت تزخر تذاك بجموع العبيد الذين كانوا يشتغلون على الأراضي، فرأى أن يحرب حظه في هذ المدينة متخذًا من جموع الزنج الساخطين على حياتهم ووضعهم مادة يعتمد عليها ويستعين بها في دعوته.

ولا ننسى حقيقة هامة وهي أن البصرة كانت تقاسى يومئذ نزعًا مستمرًا بين حزبين كبيرين هما البلالية والسعدية. وكان هذا النزاع الحاد قد بدأ منذ سنة 252هـ / 866م في خلافة المعتز⁽³⁾. ويبدو أن هذين الحزبين كانا يسكنان حينئذ في مختلفين في المدينة⁽⁴⁾. وكانت تفرق بينهما عصبية شديدة. ويقول جورجى زيدان⁽⁵⁾: "إن البلالية والسعدية كانتا فرقتين من فرق الأثرالك" ولا ندرى مبلغ هذا القول من الصحة، فإن المراجع التى بين أيدينا لا تؤكد ذلك.

قدم صاحب الزنج البصرة سنة 254هـ / 868م وكان عامل السلطان بها محمد بن رجاء بن أيوب الحضارى ووافق ذلك فترة البلالية والسعدية، فقطع أن يميل إليه أحد

(1) تعد البصرة من أهم مناطق زراعة التمر في العراق وقد ذكر المقدسى أن أنواع التمر في البصرة وحدها بلغ أربعين نوعًا. أحسن التقاسيم ص 297، ص 298 بينما يقول ابن الفقيه أن هذه المدينة تنتج ثلاثة أنواع من التمور. مختصر كتاب البلدان ص 258.

(2) التصير بالتجارة ص 3.

(3) المسعودى: مروج الذهب ج 2 ص 403.

(4) Noldeka: Sketches, p. 147.

(5) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ج 1 ص 146.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

الفريقين⁽¹⁾. وتفصيل الأمر أن أحوال البصرة كانت قد فسدت في إمارة محمد بن رجاء، وانقسم أهلها على بعضهم وتطور العداء إلى صدام دموى داخل المدينة بين الفريقين المذكورتين أدى إلى طرد الوالى وفتح السجون ونهب بيت المال ودور بعض الأغنياء، وبقيت البصرة تقاسى الأمرين من هذه الفتنة، فتولى إمارته عدة ولاة دون جدوى. حتى هدأت الفتنة قليلاً قبيل مجيء صاحب الزنج⁽²⁾.

حاول على بن محمد أن يبدأ دعوته في مسجد هذه المدينة لكن أحدًا لم يلتفت إليه وطارده وصحبه الجند فلاذوا بالفرار، ولم ينبثق صاحب الزنج نفسه إلا بالخروج إلى بغداد، وقبض الوالى على من تبعه، كما قبض على زوجته وابنه وابنته وجارية له. لكن الذى أفاده على بن محمد من هذه المغامرة أنه مهد الجو لخططه ويذر بذور حركته واطلع على أحوال البصرة تمام الاطلاع، كما حصل أعوانًا مخلصين مثل على بن أبان المهلبى ولد المهلب بن أبى صفرة وأخوه محمد الخليل⁽³⁾.

وكن على بن محمد وهو في بغداد ينتظر الفرض المواتية ويرقب الأحوال، وأخذ يدعو لنفسه ويجمع حوله أعوانًا جددًا، فاستمال جماعة أصبحوا بعدئذ من أخلص تابعيه، ولم ينس أن يحيط نفسه وهو ببغداد بهالة من الغموض ويغلف أفكاره وتصرفاته بثوب دينى للسيطرة على تابعيه⁽⁴⁾.

ما إن انتهى العام الذى قضاه في بغداد حتى وردت الأخبار تنبئ عن عزل محمد بن رجاء وقيام ثورة بين البلالية والسعدية وفتحت السجون وخرج أهله وأعوانه فعاد إلى البصرة في رمضان سنة 255هـ / أغسطس سبتمبر 869م ولا ندرى إن كان لصاحب الزنج ضلع في هذه الفتنة التى عصفت بالبصرة أم أن الظروف وحدها خدمته، فأتاحت له أن يعود لنشر دعوته على نطاق واسع.

(1) أبو الفدا: البداية والنهاية ج11 ص19. بيروت 1977م.

(2) الأعظمى: مختصر تاريخ البصرة ص72.

(3) ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ج8 ص312.

(4) ادعى أنه يعلم حقيقة ما فى ضمائرهم وما يفعله كل منهم وأنه سأل ربه آية فرأى كتابًا يكتب له وهو ينظر إليه على حائط ولا يرى كاتبه. أبو الفدا: البداية والنهاية ج11 ص19.

على كل حال فقد عرف على بن محمد كيف يستغل الفوضى السائدة في البصرة وأقام في برنخل⁽¹⁾. في قصر يعرف بقصر القرشي على نهر عمرو بن المنجم، وتظاهر على بن محمد أنه وكيل لعائلة من الأمراء في بيع ما يملكون من السباخ⁽²⁾ وأمر أصحابه أن يتظاهروا بذلك أيضًا، ويتضح من ذلك أنه كان يهدف إلى الاتصال بالزنج المشتغلين بكسح السباخ ويقوى علاقته بهم ويدرس أحوالهم عن قرب⁽³⁾. كما أخذ يتحرى أخبار البصرة وأنباء النزاع بين البلالية والسعدية، وابتداء من هذا التاريخ أخذ يروج لدعوته ويعد الزنوج بنحسين أحوالهم، ولم يمض غير قليل حتى اجتمع إليه كثرة من الزنج، ويعتبر يوم الاثنين 6 سبتمبر 869م / 26 رمضان سنة 255 يوم قيامه بالثورة⁽⁴⁾.

طبيعة حركة الزنج:

إن بحث طبيعة حركة الزنج ومحاولة الوصول إلى آراء قاطعة أو معقولة في مجال مبادئها والمعتقدات التي اعتنقها زعيمها على جانب كبير من الأهمية لأن آراء المؤرخين تتضارب تضاربًا شديدًا في الكلام على حقيقة معتقدات صاحب الزنج، ونجد أن هذه الآراء غير ناضجة تمامًا، بل هي إشارات خاطفة في أكثر الأحيان تشرهن وهناك في بطون المراجع التاريخية. وقد أفاض المؤرخون كل الإفاضة في بحث حركة الزنج من وجهتها العسكرية الحربية وبحوثها في أدق التفاصيل وأنفوها في الكلام على المعارك التي دارت بين الزنج والعباسيين فإذا حاول الباحث أن يتفهم جيدًا هذه الحركة ويقف على حقيقة المبادئ العقلية والاجتماعية التي ارتكزت عليها وجد أن الطريق شائك لقلة المعلومات.

إن هناك طائفة من الأسئلة تتبادر إلى الذهن، وهي إذا كان صاحب الزنج علويًا - أو على الأقل قد ادعى النسب العلوي - فلم لم ييسر بمذهب الشيعة ويحتضنه كما فعل العلويون من قبل ومن بعده، وما هي طبيعة حركة الزنج؟ هل هي ذات برنامج اجتماعي تهدف إلى إصلاح شامل لنظام المجتمع؟ أم كانت مجرد حركة ضيقة تهدف إلى تحسين حال

(1) يقول المسعودي: أنه برغيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة. مروج الذهب: ج2 ص439.

(2) Noldeka: p. 149.

(3) ابن أبي الحديد: ج8 ص312.

(4) البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص332 ليسك 1878م.

طبقة معينة من المجتمع؟ ولماذا لم يتعاون الزنج مع القرامطة؟ والذين ظهروا حوالى تلك الفترة وقدر لهم أن يملأوا العالم الإسلامى بالرعب والفرع.

إن حركة الزنج تعبّر يطلاق على تلك الثورة التى قام بها العبيد الإفريقيون Ethiopians⁽¹⁾ فى المستنقعات الممتدة بين واسط والبصرة أو ما يسمى بمنطقة البطيحة ضد أسيادهم بزعامة على بن محمد واستمرت أكثر من أربعة عشرة سنة (255 - 270 هـ / 869 - 883 م).

إن هذه الثورة على جانب كبير من الأهمية من حيث طابعها ودوافعها كما أنها هامة من حيث آثارها فى الدولة العباسية - خاصة إذا ما أخذنا فى الاعتبار أن هذه الفترة - النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى - شهدت أحداثاً اجتماعية وسياسية وفكرية هائلة، وإن الدولة العباسية كانت وهى فى حالة ضعفها - تكافح ما تمخض عنه العصر من أحداث كفاح الياثس المستميت - أدركنا أن حركة الزنج كانت حلقة فى هذه السلسلة المتصلة الأحداث التى عبرت عن السخط العام من ناحية وعن تفكك الدولة العباسية من ناحية ثانية، وعن دخول المجتمع الإسلامى فى مرحلة جديدة من التطور الفكرى والاجتماعى من ناحية ثالثة.

كانت حركة الزنج حرباً اجتماعية ذات طابع طبقي أى أنها ثورة طبقة اجتماعية معينة ضد الطبقات الأخرى فى المجتمع⁽²⁾، كانت تشعر أنها مضطهدة سلبية الحقوق، فقامت تطالب بحقوقها بمجرد أن وجدت لها زعيماً يقودها فقاد على بن محمد جموع هؤلاء الزنج الساخطين.

ولكن هل كانت حركة الزنج حرباً بين الأجناس؟ بين السود والبيض؟ كما يقول بعضهم، وفى رأينا أن حركة الزنج لم تكن حرباً بين جنس وآخر بالمعنى الدقيق للكلمة بل كانت حرباً بين طبقات، ذلك أن جماعات كثيرة من غير السود انضوت تحت لواء هذه الحركة كالأعراب الناقمين على الدولة، وأهل القرى والفلاحين البيض الناقمين على أوضاعهم وغيرهم من أصحاب الحرف⁽³⁾.

(1) Beowne: A literary History of Persia Vol. I, p. 349.

(2) Masionon: Vol. Iv, p. 1213.

(3) Encyclopedia of islam, vol. IV, p. 1213.

برنامج حركة الزنج:

هل كانت حركة الزنج حركة منظمة ذات برنامج اجتماعي شامل؟ وبمعنى آخر هل كانت هذه الحركة تهدف إلى إلغاء الرق إلغاءً نهائياً من المجتمع الإسلامي؟ الواقع أن من أكبر وأعظم أسباب إخفاق هذه الحركة أنها كانت تنطوي على برنامج اجتماعي شامل، أسوة بالحركات الاجتماعية الأخرى كحركة القرامطة مثلاً، التي قننت وشرعت وأقامت نظاماً اجتماعياً دقيقاً وخاصة في البحرين حيث أنشئ "نظام الألفة"⁽¹⁾ وهل يصح أن نصف حركة الزنج بأنها هدفت إلى تحرير العبيد واسترقاق الأحرار؟ هذا السؤال تتوقف على إجابته مصير حركة الزنج، فإذا صح ذلك أصبحت حركة الزنج مجرد ثورة انتقامية حاولت إزالة شر من شُرور المجتمع لتبدل به بشراً آخر أى إلغاء عبودية وإحلال عبودية أخرى محلها.

وقد شرح على بن محمد صاحب الزنج برنامجه في خطبة ألفاها على العبيد يوم عيد الفطر سنة 255هـ / سبتمبر 869م موضحاً أهدافه بقوله "أنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد، والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الآمال"⁽²⁾. ونفهم من هذه الخطبة أن صاحب الزنج لم يقصد إلى هدم العبودية، بل إلى إدخال بعض التعديلات على الأوضاع الاجتماعية السائدة⁽³⁾. ومن مراجعة حوادث الحركة وقائعها نجد أن على بن محمد حرر العبيد الذين انضموا إليه بالجملة، وكلما سنحت الفرصة، وكان يبادر إلى عتق الأرقاء كلما دخل مدينة أو قرية، لكنه من ناحية أخرى استرق من أسر من المسلمين وعاملهم معاملة العبيد سواء بسواء.

ونجد في المراجع أمثلة كثيرة لاسترقاق على بن محمد للمسلمين الأحرار رجالهم ونسائهم. فيروى المسعودي⁽⁴⁾ "أن عسكر صاحب الزنج كان ينادى فيه على المرأة من

الطبرى: ج9 ص482 483.

ابن الجوزي: المنتظم ج5 ص56.

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج3 ص326 مكتبة النهضة المصرية.

(2) الطبرى: ج9 ص414.

(3) عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص78 بغداد 1946م.

(4) مروج الذهب ج2 ص447 القاهرة 1346هـ.

ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ... لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون بطلوهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم لوصائف". وإذا علمنا أن عدد الزنج كان ضخماً جداً - كما أسلفنا - استطعنا أن نتصور عدد النساء المسترقات إذا صدق المسعودى في هذه الأرقام، ويزيد هذه الصورة وضوحاً ما يرويه المسعودى⁽¹⁾ أيضاً من أن امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت لدى أحد رجال الزنج فسألت علي بن محمد صاحب الزنج أن ينقلها إلى غيره أو يعتقها لأنها كانت تقاسى الأمرين من معاملته فعنفها قائلاً: "هو مولاك وأولى بك من غيره". وهذا يدل على أن لرق بكل خصائصه وصفاته عرف في "دولة الزنج" وأن علياً لم يقدم دليلاً على أنه كان يريد أن يزيل الرق نهائياً. بل إن الموفق طلحة وجد آلاف الأسرى الأبرياء في سجون "المختارة حاضرة الزنج حين استطاع احتلالها"⁽²⁾. ومن هنا تكون حركة الزنج قد قامت لفائدة طبقة العبيد فقط، وهذا أحد الأسباب الرئيسية في عدم رواج هذه الدعوة بين أهالى البصرة الأحرار الذين لم تكن لهم أى مصلحة من تحرير العبيد.

ولعل الباحث يستطيع أن يجد بعض العذر لصاحب الزنج وحركته ويخفف من وطأة الاتهام السالف إذا تذكر أن علي بن محمد في حالة حرب مع المجتمع كله وأنه أبى التفات وجد أعداء لحركته، فلم يجد بداً من أسر أعدائه واسترقاقهم ليأمن شرهم ويضعف هممتهم ويظهر أمامهم بمظهر القوة والرهبة. ومن ناحية أخرى نجد أن صاحب الزنج يعتقد مذهب الخوارج الأزارقة⁽³⁾.

على أى حال يجب أن نعترف بأن حركة الزنج كانت محدودة غير ذات برنامج شامل، وأنها لم تهدف إلى إلغاء العبودية كلية، وأن كل ما نستطيع أن نقوله عن حركة الزنج أنها

(1) مروج الذهب ج2 ص447.

(2) الطبرى: ج9 ص601 بيروت.

(3) الأزارقة: هم أصحاب أبى راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز، فغلبوا على هذه المدينة وكورها وما ورائها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير. وقد كفروا علياً وعثمان وعائشة وعبد الله بن العباس، وكفروا القعدة وأباحوا قتل أطفال المخالفين والنساء منهم وغير ذلك من المبادئ كعدم جواز التقية وتكفير مرتكب الكبيرة. الشهرستاني: الملل والنحل

ج1 ص161 - ص164 مصر 1317هـ.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

كانت تهدف إلى تحرير العبيد والانتقام من سادتهم وجعل العبيد سادة يمتلكون الأراضي المنازل، ولم يكن هذا حلاً منطقيًا.

إن حركة الزنج كانت في بدايتها حركة ضد ملاك الأراضي وملاك العبيد باعتبار أنها دعت إلى تحرير العبيد ولذلك وقف هؤلاء الملاك في وجهها وقوموها أشد المقاومة، ثم تطورت هذه الحركة فصارت حركة ضد الدولة على اعتبار أن الخلفاء والولاة ظالمون متتهكون حرمة الله والدين وأنهم هم الذين شجعوا ملاك الأراضي على أن يأتوا هذه الأعمال المنكرة ضد العبيد الذين هم بشر مثلهم ومسلمون كذلك يتساوون مع غيرهم في نظر الشريعة الإسلامية التي هدست الفروق اللونية والجنسية، وسنجد أن صاحب الزنج يعتقد مذهب الخوارج لأن هذا المذهب يتفق مع طبيعة الدعوة التي تبناها ويؤكد ما ذهبنا إليه من أن حركة الزنج بدأت ضد ملاك الأراضي. ونجد أن الدولة لم تتدخل لقمعها بادئ الأمر، فبقى الزنج يعيشون فسادًا في البصرة، والمناطق الجنوبية دون أن تحرك الحكومة ساكنًا بل لقد تركت أهل البصرة المنطوعين أنفسهم يصدون تيار الزنج العنيف⁽¹⁾. حتى قوى أمر صاحب الزنج وقرع منه أهل البصرة، وأمسكوا عن حربه، فكتبوا إلى الخليفة يطلبون منه التدخل، وعندها فقط أرسل قائدًا من قواد الدولة سنة 256هـ / 869م هو جعلان التركي⁽²⁾. وهنا خرجت حركة الزنج عن كونها حركة محلية ضد ملاك الأراضي إلى حركة تقوم على العصيان ضد الدولة والخلافة معًا.

حركة الزنج في طورها الأول (255 - 261هـ / 868 - 874م):

يمكن تقسيم حركة الزنج إلى فترتين تنتهي الأولى سنة 261هـ وهي فترة انتصارات متوالية للزنج، وتبدأ الثانية بعد هذا التاريخ بعد تعيين أبي أحمد الموفق للمرة الثانية للقيادة العامة.

وفي الكلام على هذه الحرب الطويلة التي استمرت أكثر من أربعة عشر عامًا، نلاحظ أن طبيعة الأرض الجغرافية أضفت على هذه الحرب طابع حرب العصابات، ذلك أن

(1) دائرة معارف البستاني ج9 ص260.

(2) الطبري: ج9 ص470، ابن الأثير: ج5 ص358 بيروت.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

امتلاء هذه المنطقة بالمستنقعات والقنوات والبردى جعل الحرب حرب عصابات وكمان مما ساعد على إطالتها وجعل قمعها أمراً عسيراً على الدولة.

إن حوادث الزنج وقعت أكثرها في البصرة المظلة على شط العرب وهو ما كان يسمى آنذاك بدجلة العوراء. ويتكون هذا النهر من التقاء دجلة والفرات عند القرنة، وتلتقى بها أيضاً قناة الخويزة⁽¹⁾، فيسمى النهر حينئذ شط العرب⁽²⁾، وتتفرع من شط العرب هنا "قناتان كبيرتان بين منبعهما مسافة فرسخ وقد شقا صوب القبلة مسافة أربعة فراسخ يلتقيان ويكونان قناة واحدة تسير فرسخ واحد ناحية الجنوب، ومنها شقت ترع كثيرة مدت في كل الأطراف. أما القناة العليا وهي الشمالية الشرقية فتسمى نهر معقل⁽³⁾ وأما الثانية وهي الغربية الجنوبية فتسمى نهر الأبله⁽⁴⁾، وتشتهر البصرة بكثرة أنهارها حتى لقد بلغت مائة وعشرين ألف نهر⁽⁵⁾. وكانت في حدود البصرة أجام كثيرة وبطائح تسير فيها القوارب الصغيرة. ويبدو أنها كانت أرضاً في القديم ثم تراجعت عنها المياه بعد ما بنيت البصرة وشقت الأنهار فغلب الماء على المناطق المنخفضة فأصبحت أشبه بالمستنقعات⁽⁶⁾.

وتتكون البطيحة من عدة أهوار⁽⁷⁾ تتصل بعضها ببعض حتى تصب جميعها في نهر دجلة العوراء. ومن أهم الأنهار التي يرد ذكرها والتي تتفرع من شط العرب نهر المرأة والدير، وبشق شيرين، معقل، الأبله، اليهودى أبى الخطيب، الأمير، القاطول، وهذه كلها تقع على الجانب الغربي أما في الجانب الشرقي فنجد نهر المبارك، الريان وديبان⁽⁸⁾.

(1) الخويزة: بين واسط والبصرة وخوزستان بين البطائح. ياقوت: معجم لبلدان ج3 ص373 القاهرة 1907م.

(2) ناصر خسرو: سفرنامه ص95.

(3) نهر معقل: نسبة لآين يسار بن عبد الله وهو نهر معروف في البصرة فمه عند نهر الأجانة.

(4) الأبله: بلدة على شاطئ دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، ونهر الأبله الضارب إلى البصرة حفره زياد.

معجم البلدان ج1 ص89 - ص90.

(5) الأصطخرى: المسالك والممالك ص79 ليدن 1870 - 1892م.

(6) الأصطخرى: المسالك والممالك ص81 - 82.

(7) الهور: هو الماء الكثير.

(8) سهراب: عجائب الأقاليم السبعة ونهاية العمارة ص135 - 136 ليسك.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

ساعد هذا الوضع الجغرافي على جعل حرب الزنج حرب عصابات لأن الجيوش الكبيرة المنظمة ذات التجهيزات الثقيلة كان يصعب عليها الانتقال في تلك المناطق التي تكتنفها المسطحات المائية وتخترقها عشرات الآلاف من القنوات وكان من الطبيعي أن يصعب على الخلافة القضاء على هذا العصيان بسرعة لأن مثل هذه الحرب تكون طويلة عادة، ويستغرق تطهير منطقة من المناطق وقتاً طويلاً، خاصة وهذه المناطق تصلح لاحتجاز كائنات تباعدت منها العصابات جيوش العباسيين التي تجهل جغرافية هذه المنطقة وتجعل إقامة وسائل الدفاع أمراً سهلاً وإزالتها أمراً صعباً⁽¹⁾.

ومن ستعرصنا لجغرافية المنطقة نجد أن الطبيعة نقف إلى جانب الزنج، فهم يحاربون على تربة ملائمة اعتادوها جيداً وخبروها بحكم اشتغالهم فيها، وقد عرف الزنج كيف يديرون دفة الحرب، بينما كان عدوهم مجهزاً بأسلحة لا تصلح إلا للقتال على أرض يابسة صلبة أي الحروب المنظمة⁽²⁾. ومن هنا قاسى العباسيون متاعب جمّة، حتى أبى أحمد الموفق نفسه الذى تعب كثيراً من "ضييق المواضع التى كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الحنادق والأنهار بها"⁽³⁾.

ومن أمثلة الصعوبات التى كان يلاقيها العباسيون في هذه الحرب ما يرويه الطبري⁽⁴⁾ عن استغلال الزنج لهذه الطبيعة المعقدة وكيف كانوا يجرون الماء على السباغ التى يسلكها أصحاب الموفق لئلا يجذوا إلى سلوكها سبيلاً، وكيف يحفرون خنادق في مواضع عدة يحولون بها دون تقدم جيوش الموفق. وكان الموفق يضطر إلى إضاعة كثير من وقته وجهده لطم وردم الخنادق والأنهار والمواضع الضيقة "كى تصلح فيها مسلك الخيل والرجالة".

وساعدت كثافة النجيل في المنطقة الجنوبية من العراق وخاصة منطقة شط العرب، الزنج على أن ينظموا أنفسهم في جماعات صغيرة العدد خفيفة السلاح وتكمن بين الأشجار ترتبص بقوات العباسيين الدوائر فتأخذها غيلة وعلى حين غرة، وأسلوب الزنج المتميز في القتال أنهم كانوا يختبئون في القنوات المغطاة بالخشائش وينقضون فجأة على

(1) الدورى: دراسات ص 80.

(2) Naldecke, p. 154.

(3) الطبري: ج 9 ص 655 بيروت.

(4) الطبري: ج 9 ص 589 - 590 بيروت.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

مؤخرات قوات العدو. كما استعان الزنج بالكشافة والجواسيس والطلائع في رصد حركات عدوهم وتنقلاته⁽¹⁾.

وبرع الزنج أيضًا في حرب الماء، وقد ساعدتهم الطبيعة على ذلك، فكانت الرياح تهب وتعصف في بعض الأيام في دجلة (شط العرب) فيتعذر على العباسيين الحرب ويتنهز الزنج فرصة شلل حركات عدوهم فيستولون على سفن العباسيين التي تركبها الرياح، وإذا ما ألقى ركاب السفن أنفسهم في الماء تبعهم الزنج وفتكوا بهم قتلاً وأسرًا وإغراقًا⁽²⁾.
بداية حركة الزنج:

بدأت حركة الزنج في أواخر سنة 255 هـ / سبتمبر 869 م في عهد الخليفة المهتدي بالله (255 - 256 هـ / 868 - 869 م) حين خرج علي بن محمد من القصر الذي كان يسكن فيه، فلقى عبيدًا لرجل يدعى العطار متجهين إلى عملهم في كسح السباح يبلغون الخمسين فأمرهم كتفهم وكبلمهم، واتجه إلى موضع آخر فأخذ منه خمسمائة غلام، وهكذا أخذ على بن محمد يتجول في المنطقة المجاورة طول يومه يتصيد العبيد "حتى اجتمع إليه كثير من غلمان الشورجيين"⁽³⁾ وكان بينهم جماعة من وجهاء الزنج الذين أصبحوا بعد ذلك قوادًا رئيسيين في جيش الثورة منهم طريف وصبيح الأعسر وراشد المغربي وراشد القرماطي⁽⁴⁾، وعمل على بن محمد على كسب هؤلاء العبيد، فألقى فيهم خطبة أوضح لهم فيها أغراضه ومقاصده وبذل لهم الوعود المغرية بالحرية وتمليكهم الأموال والضياع والعبيد وزيادة في تأكيد نواياه الحسنة دعا وكلاءهم وخاطبهم بشدة قائلاً لهم: "لقد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون هؤلاء الغلمان بتحميلهم ما لا يطيقون فكلمني أصحابي فيكم فأريت إطلاقكم"⁽⁵⁾.

وحاول هؤلاء الوكلاء أن يصلحوا بينهم وبين علي بالمال ليطلق سراح عبيدهم، فرفض، وأمر ببطح هؤلاء الوكلاء ودعا غلمانهم إلى ضربهم بالعصا ومن ذلك اليوم بدأ

(1) Naldeeke, p. 155.

(2) الطبري: ج9 ص479 بيروت.

(3) الطبري: ج9 ص414 بيروت.

(4) ابن أبي الحديد ج8 ص313.

(5) الطبري: ج9 ص414 بيروت.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

العداء على أشده بين الملاك وعلى بن محمد وأعلنت الحرب بلا هوادة، واستمر على تصيد الزنج، فانضموا إليه بالآلاف منساقين إلى وعوده المغرية هرباً من وضعهم السيئ. وألقى فيهم يوم عيد الفطر خطبته الثانية مؤكداً وعوده ونواياه وترجعت خطبته إلى الذين لا يفهمون العربية منهم "تطليب بذلك أنفسهم"⁽¹⁾.

وبعد أن تضخم عدد أتباع على بن محمد أخذ في تنظيمهم، إلا أنه برزت أمامهم مشكلة السلاح إذ كان معسكره في ذلك الوقت لا يحوى غير ثلاثة أسياف⁽²⁾ وكذلك الحاجة إلى المال ليصرف منه على شئون الحرب والتموين، وكانت الوسيلة الوحيدة للحصول على المال هي الهجوم على القرى المجاورة، فهاجم على بن محمد قرية الجعفرية حيث عثر على مائتين وخمسين ديناراً وألف درهم، فكان هذا أول ما صار إليه. كما حصل على ثلاثة براذين منحها لقواده أما هو فكان قد أهدى فرساً وفى هذه القرية نفسها نهب الزنج كثيراً من الأسلحة فصارت لديهم كمية كبيرة من السيوف والآلات والتراس⁽³⁾.

استمر على بن محمد وأعوانه يغيرون على القرى ويقتلون وينهبون وكان أصحابه قد تضخم عددهم إلى درجة أنه زج بستة آلاف زنجي في معركة واحدة⁽⁴⁾.

وكان على بن محمد هادئ الأعصاب بعيد النظر، كثير التروى يحسب لكل خطوة حساباً فكان يضع خططاً محكمة تأتى بالنتائج الطيبة واستعمل الجواسيس والكشافة لاستطلاع وارتياح المناطق المجاورة ودراسة حال أعدائه⁽⁵⁾.

واتخذ قائد الزنج حرب الأعصاب وسيلة لبث الرعب في قلوب أعدائه، فكان كلما انتهب قرية قتل الأسرى وحمل رؤوسهم على البغال، وقد كان مذهب الأراقة، يدعو إلى قتل الأسرى باعتبارهم كفاراً، أما النساء والأطفال فقد احتفظ بهم كغنائم⁽⁶⁾. ولم يكن

(1) ابن أبي الحديد ج8 ص313.

(2) أبو الفدا: البداية والنهاية ج11 ص19.

(3) الطبرى: ج9 ص417 بيروت.

(4) ابن أبي الحديد: ج8 ص314.

(5) Naldecka, p. 155.

(6) الشهرستاني: الملل والنحل ج1 ص164.

على بن محمد يهاجم القرى عبثاً، بل كان يتحقق من كون أهلها أعداء له ثبت عداؤهم⁽¹⁾. فقد رفض بإباء مهاجمة قرية القادسية لأن هذه القرية لم تتعمد إيذاءه⁽²⁾.

اشتد ساعد الزنج وقوى نفوذهم بما اجتمع لديهم من مال وأسرى واستطاعوا هزيمة جيش عظيم من أربعة آلاف محارب كان يقوده رجل تركى يدعى أبا هلال وقتل من هذا الجيش ألفاً وخمسة⁽³⁾. ولم يمضِ غير قليل حتى هزم أصحاب السلطان للمرة الثالثة، وهكذا برهن الزنج على قوة غير عادية.

لكن نشوة النصر حلت بعض الزنج على التعجل رغم أن قائدهم ألح عليهم بالتروى فمنا هزيمة شنعاء في منتصف ذي القعدة سنة 255 هـ / أواخر أكتوبر 869م، ولم ينجُ على نفسه من الموت إلا بأعجوبة بفضل شجاعته⁽⁴⁾.

ومع أن جيش المواطنين من أهل البصرة قد حمى المدينة بشجاعته، إلا أنه لم يستفد من نصره وظروفه الحسنة، لأنه لم يكن تحت قيادة قائد يوازي صاحب الزنج الذى سرعان ما جمع شمل أصحابه وأعاد تنظيمهم بحيث استطاعوا أن ينقضوا على مؤخرة جيش البصريين، مستفيدين من الكمائن التى اختبأوا فيها على جانبي النهر، وأسر الزنج بعض السفن، واستماتوا في القتال حتى اشتركت نساؤهم بقذف الحجارة، أما القسم الثانى من الجيش البصرى الذى تقدم سالكاً البر فقد كانت هزيمته أشد وأنكى، فقد قتل وغرق عدد كبير منهم، وهلك كثير من أفراد العائلة الحاكمة⁽⁵⁾. الأمر الذى أثر على معنويات البصريين، وأوقع على بن محمد الهيبة والفزع والرعبة في قلوب الناس "بكثرة القتل وقلة العفو"⁽⁶⁾.

تمس الزنج لفتح البصرة، وطلبوا من قائدهم أن ينقض عليها حالاً، إلا أنه أقنعهم

(1) أبو الفدا: البداية والنهاية ج11 ص19 ويقول أن صاحب الزنج لا يتعرض لأموال الناس ولا يؤذى أحداً، وإنما يريد أخذ أموال السلطان.

(2) الطبرى: ج9 ص416 بيروت.

(3) الطبرى: ج9 ص424 بيروت.

(4) Naldecka, p. 155.

(5) Ibid., p. 155.

(6) ابن أبى الحديد: ج8 ص314.

بضرورة الاستجرام والراحة بعد هذه الوقائع، كما كان يدرك ببعد نظره أن ليس باستطاعته فتح هذه المدينة بسهولة، خاصة وأنه ليس له فيها أنصار⁽¹⁾.

بناء المختارة:

كان من الضروري لصاحب الزنج أن يتخذ له مركزاً حصيناً، ولأتباعه السود فانسحب إلى بقعة جافة في آخر أنهار البصرة وهي سبخة⁽²⁾.

فأقام هناك وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ فيها من سعف النخيل والطين⁽³⁾، وفي السنة التالية 256هـ أبدل بها عاصمة أخرى تقع على ضفة نهر أبي الخصب الغربية⁽⁴⁾، وقد جعل هذه المدينة حصينة ذات أسوار وتحيطها خنادق وقد بنى أتباعه أكواخاً من سعف النخيل والطين⁽⁵⁾. ويحتمل أن قصور صاحب الزنج وقواده الكبار وسجون ومحابس الأسرى والمساجد والمؤسسات العامة التي أضيفت بالتدريج كانت أنيقة نسبياً ويظهر أنها كانت من الحجارة وجعلها كالقلاع⁽⁶⁾.

وقد سميت هذه المدينة بـ"المختارة" ولا ندري سر هذه التسمية لكن الأرجح أن بانيتها أطلق عليها هذه التسمية ازدهاء منه بحسن موقعها وتكتنفها أراضي مزروعة وبساتين النخيل والأدغال والقنوات وكانت تقع تحت البصرة بقليل ويحترقها نهر أبي الخصب⁽⁷⁾.

اعتنى صاحب الزنج بتموين مدينته الجديدة، وقد راعى هذه الناحية في اختيار موقعها، فكانت الأراضي حولها حصينة متتحة، وكانت قرية من البحر (الخليج الفارسي) والبادية ليضمن الحصول على الميرة من الجانبين ذلك أن حرب الزنج الطويلة كانت تتطلب ضمان مسألة التموين.

وكان سكان هذه العاصمة التي لم تعمر طويلاً - والتي لم يبقَ كدليل على بنائها سوى

(1) الدوري: دراسات ص 85.

(2) السبخة الأرض الملحة، موضع بالبصرة. ياقوت: معجم البلدان ج 5 ص 27.

(3) الطبري: ج 9 ص 437 بيروت.

(4) الطبري: ج 9 ص 470 - ص 471 بيروت، ابن الأثير: ج 5 ص 358 بيروت.

(5) Naldecka, p. 156.

(6) الدوري: دراسات ص 85.

(7) Naldecka, p. 156.

القطعة النقدية المحفوظة في المتحف البريطاني⁽¹⁾ - يستمدون حاجياتهم من جيرانهم فضلاً عن استعانتهم بمحصولات هذه المنطقة، وحين ضرب عليها الحصار أخيراً واستطاع الموفق أن يقطع عنها سبل المواصلات، قاسى الزنج نقصاً كبيراً في الميرة، وكان التجار والبدو يجلبون إلى هذه المدينة الميرة ولو كانوا على مرأى من جيش العباسيين⁽²⁾.

استنجاد أهل البصرة بالخلافة:

لم يلبث أهل البصرة أن استنجدوا بالخلافة بعد أن استبد بهم الفرع والخوف فأرسلت لنجدتهم القائد التركي جعلان، إلا أنه يبدو من جهل هذا القائد بطبيعة منطقة القتال⁽³⁾ أن بقى ستة أشهر عند قباله صاحب الزنج وعلى بعد فرسخ واحدة دون أن يفعل شيئاً، ولكن على بن محمد لم يقف مكتوف اليدين فضيق المسالك وبيت لأصحابه وأوقع بين جنود جعلان وقتل منهم عدداً ليس بالقليل، مما حدا بجعلان أن يتقهقر إلى البصرة يلاحقه الفشل⁽⁴⁾.

عزل الخليفة القائد الفاشل جعلان لعجزه في حرب الزنج بعد تنكيلهم بالجيش العباسي، ونقل الزنج عاصمتهم إلى ضفة أبي الخصيب الغربية وبلغ من جراتهم أيضاً أن استولوا على أسطول مكون من أربعة وعشرين سفينة مرسل إلى البصرة وغنم الزنج من الأموال والسبايا ما لا يحصر له⁽⁵⁾.

احتلال الزنج الأبله وعبادان والأهواز:

لم يلبث الزنج بعد أن اشتد ساعدتهم أن هاجموا الأبله⁽⁶⁾ وهى الميناء التجارى العظيم

(1) Walker: A Rare coin, p. 653.

(2) Naldeeeka, p. 156.

(3) فقد كان أكثر أصحابه من الفرسان. الطبرى: ج9 ص470، ابن الأثير: ج5 ص358 بيروت.

(4) الطبرى: ج9 ص470 بيروت.

(5) وكان هذا الفوز غنيمة باردة كما قال صاحب الزنج الذى أقنع أصحابه بمهاجمة السفن مدعياً أن صوّماً من النساء خاطبه أن: "قد أظلت فتح عظيم". الطبرى: ج9 ص470 - 471 بيروت.

(6) تعد الأبله ميناء البصرة الذى يربطها بالخليج الفارسى. المقدسى: أحسن التقاسيم ص117.

الذى يقع على شاطئ دجلة البصرة في زاوية الخليج الفارسي⁽¹⁾ على بعد أربع ساعات من البصرة، وذلك في 25 رجب سنة 256هـ / 29 يونيو 870م، وقاتل الزنج في معركة عنيفة قصيرة جرت في البر والبحر دخلوا على أثرها إلى المدينة. وكان دخولها مصوباً بمجزرة هائلة حيث قتل وأغرق من أهلها خلق كثير. وذهبت بيوت المدينة المبنية من خشب الساج⁽²⁾ طعمة للنيران. وغنم صاحب الزنج كميات هائلة من السلاح والعبيد. كما استولى على حصن المدينة.

ووصلت رسالة العرب من الأبله إلى عبادان⁽³⁾، ففتح أهلها أبوابها مستسلمين دون قيد أو شرط فدخلها على بن محمد وحرر من كان بها من العبيد وألحفهم بحيشه واستولى على ما فيها من السلاح ووزعه على أصحابه⁽⁴⁾.

أدى استسلام عبادان إلى طمع صاحب الزنج في الأهواز التي انهارت بسرعة بعد مهاجمة جيبى⁽⁵⁾، وانسحب إليها سعيد بن تكسين بجنده؛ مما ضمن للمدينة معاملة رقيقة رحيمة، أما إبراهيم بن المدبر صاحب الخراج والضياغ فقد فضل المقاومة، لكنه أُمِر وصودرت أمواله وعبيده وسقطت الأهواز⁽⁶⁾.

وهكذا استطاع قائد الزنج في أقل من سنة واحدة أن يحتل مدناً كبيرة الأهمية ويستولى على مقاطعات شاسعة، وتأثرت بذلك بغداد التي اختلت مواصلاتها وألحق الزنج بتجارها أضراراً بالغة⁽⁷⁾.

وفي الوقت الذى كانت الأبله تعاني من ضربات الزنج كان الأتراك يتآمرون على مصير الخليفة المهتدى في سامراء بعد حكم لم يبلغ السنة الواحدة.

(1) ياقوت: معجم البلدان ج1 ص89.

(2) ابن الأثير: ج7 ص94، تاريخ ابن الوردي ج1 ص234.

(3) ابن الأثير: ج5 ص359 بيروت. وعبادان بلدة صغيرة على جزيرة في مصب نهر دجلة العوراء قرب البحر. ياقوت: معجم البلدان ج6 ص104-105.

(4) الطبري: ج9 ص472 بيروت.

(5) جيبى: بلدة من أعمال خوزستان، معجم البلدان: ج2 ص41.

(6) وكان ذلك يوم الاثنين 12 رمضان 256هـ / 14 أغسطس 870م. تاريخ ابن الوردي ج1 ص234.

(7) Naldecka, p. 158.

لكن الأمور بدأت تتحسن حين يبيع المعتمد في منتصف رجب سنة 256هـ / يونية 870م وبالرغم من أن المعتمد لم يكن بالخليفة الذي تتطلبه هذه الظروف فإن أخاه أبا أحمد الموفق كان الحاكم الحقيقي الذي قبض على الأمور بقوة تاركًا للخليفة ألقابه ومظاهره⁽¹⁾. وكان الموفق ذكيًا وماهرًا إلى حد بعيد، فقد استطاع أن يعيد للخلافة قوتها وهبتها⁽²⁾، لكن انشغال الموفق منعه من أن ينصرف للزنج في بادئ الأمر، إلا أنه أرسل إليهم في رجب سنة 257هـ / يونية 871م جيشًا بقيادة غلامه سعيد بن صالح المعروف بالحاجب⁽³⁾.

وستطاع الحاجب أن يكبد الزنج خسائر فادحة في أول الأمر، وحقق انتصارات كثيرة بفضل مساعدة سكان الفرات⁽⁴⁾، غير أن الحاجب لم يستفد من انتصاراته كثيرًا فقد هزمه الزنج بغتة في هجوم ليل شر هزيمة وأحرقوا معسكره وقتلوا منه مقتله عظيمة، مما دعا المعتمد إلى استدعائه وتسليم القيادة إلى منصور بن جعفر الحياط⁽⁵⁾.

لم يكن منصور الحياط بأحسن حالًا من الحاجب إذ تمكن الزنج من هزيمته بعد أن فشل حصاره لهم⁽⁶⁾، وفي الأهواز استطاع القائد الزنجي علي بن أبان المهلبى أن يتصر على قوات الخلافة؛ حيث قتل شاهين بن بسطام⁽⁷⁾، وسار بعد ذلك إلى البصرة بأمر من صاحب الزنج فقطع مواصلاتها بدجلة⁽⁸⁾، مما أدى إلى نقص المؤن والأقوات بالبصرة، ولما تأكد صاحب الزنج من ضعف أهل البصرة وإضرار الحصار بهم صمم على مهاجمة هذه المدينة في شوال 257هـ / سبتمبر 871م.

وستطاع صاحب الزنج أن يستغل الأعراب⁽⁹⁾، فانضم عدد ضخم منهم إليه،

(1) ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية ص 183، القاهرة 1923م.

(2) Noldeka, p. 158.

(3) ابن أبي الحديد: ج 8 ص 315.

(4) المصدر نفسه: ج 8 ص 316.

(5) ابن الأثير: ج 5 ص 261 بيروت.

(6) الطبري: ج 9 ص 478 - ص 479 بيروت.

(7) وهو من أكابر أعوان الخليفة. ابن أبي الحديد: ج 8 ص 316.

(8) Noldeka, p. 159.

(9) ابن الأثير: ج 5 ص 362 بيروت.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

تدفعهم الرغبة في نهب هذه المدينة الغنية رغم احتقار العربى للزنجى. وكانوا فرقة من الفرسان⁽¹⁾ وتقرر يوم الجمعة 17 شوال 257هـ. 7 سبتمبر 871م موعداً لمهاجمة البصرة فدخلتها قواته من ثلاث جهات على رأسها القائد العام على بن أبان "فأقام يقتل ويمرق يوم الجمعة ليلة السبت ويوم السبت"⁽²⁾ وفي يوم لاثنين أعاد الزنج الكرة فاحتلوا المدينة العتيقة وانتقموا من أهلها شر انتقام بعد أن وعدهم صاحب الزنج بالأمان، وأحرق على بن أبان المسجد الجامع وأعمل العبيد سيوفهم في جمع أهل البصرة التى احتشدت بباب إبراهيم بن يحيى بعد منحها الأمان" فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة. وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والإحراق، وقتلوا كل من رأوا بها من أهل اليسار وأخذوا ماله، ومن كان فقيراً قتلوه لوقتة"⁽³⁾ وأحدثت النار بالمدينة من كل جانب فالتهمت كل شيء مرت به "من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع"⁽⁴⁾ ويذكر المسعودي⁽⁵⁾ أنه قد هلك في هذه الواقعة من أهل البصرة 300 ألف، وهذا أقل تقدير لعدد القتلى في هذه المجزرة الرهيبة⁽⁶⁾ واسترق الزنج النساء والأطفال، وبيعت النساء الحاشميات من علويات وعباسيات بأبخس ثمن، ونال الزنج عددًا وفيرًا من العبيد يبلغ العشرة لكل فرد. وهكذا غدا العبيد في غمضة عين أحرارًا وتحول الأحرار إلى عبيد مما ينفى عن حركة الزنج أى صبغة تحريرية عامة.

على أن الخلافة لم تلبث أن أرسلت جيشًا بقيادة محمد المولد فى ذى القعدة سنة 257هـ / أكتوبر 870م استطاع أن يسترجع البصرة بسهولة وكذلك الأبله⁽⁷⁾، ولكن يحيى بن محمد القائد الزنجى الجديد لم يلبث أن هزم المولد هزيمة نكراء واضطره إلى التقهقر إلى تخوم المدينة⁽⁸⁾. أما فى الأهواز فكانت الحرب فى صالح الزنج حيث

(1) Noldeka, p. 159.

(2) الطبرى: ج9 ص486 بيروت.

(3) الطبرى: ج9 ص486 بيروت، ابن الأثير: ج5 ص362 بيروت.

(4) الطبرى: ج9 ص486 بيروت.

(5) مروج الذهب ج2 ص445، النجوم الزاهرة ج3 ص48.

(6) Noldeka, p. 160.

(7) Noldeka, p. 160.

(8) الطبرى: ج9 ص488 بيروت.

استطاع علي بن أبان سنة 258هـ / 871م أن يهزم الحياط قائد العباسيين في الأهواز وأن يرديه قتيلاً⁽¹⁾.

لقد شد احتلال الزنج للبصرة من أزهرهم ورفع معنوياتهم، بينما كان ذلك بالنسبة للخلافة كارثة مؤلمة ذلك أن البصرة هي عين العراق وميناؤه النهري الوحيد، ومعنى السيطرة عليه تهديد التجارة الصادرة والواردة، ولما كانت مفتاح أرض السواد، فإن خطر العبيد السود أصبح يهدد كل المناطق المجاورة.

ولم يلبث الخليفة المعتمد أن عقد لأخيه أبي أحمد الموفق طلحة يوم الاثنين 20 ربيع الأول 258هـ / فبراير 872م على ديار مضر وقنسرين والعواصم وفي أوائل ربيع الآخر وجهه هو ومفلح بعد أن خلع عليها إلى البصرة لحرب الزنج⁽²⁾. وكان الجيش الذي قاده ضخمًا لم يُرَ أحسن منه وأكمل منه سلاحًا وعتادًا وأكثر عددًا وجمعًا⁽³⁾. مما أوقع الرعب في قلوب الزنج وكادت عزيمتهم تنهار لولا أن رئيسهم أدرك الخطر فأرسل يستدعي على بن أبان من الأهواز، فوافاه فيمن معه من الجند، وصادف أن قتل مفلح الساعد الأيمن للموفق فاختل نظام الجيش العباسي ولحقته الهزيمة أواخر إبريل سنة 872م / جمادى الأولى 258هـ فانسحب أبو أحمد إلى الأبله ليعيد تنظيم جيشه⁽⁴⁾.

لم يلبث الفريقان أن التحما عند نهر أبي الخصيب، ورغم أن الموفق أصاب تقدمًا ونجاحًا في بعض الأحيان إلا أن الفشل كان من نصيبه في النهاية، ذلك أن الزنج جمعوا كل قواتهم وبيتوا الكمائن لتصيد أصحاب الموفق، ولم يشعر هذا إلا وقد أصبح غيمه طعمة للنيران، ووجد الأمير العباسي نفسه مضطرًا إلى التراجع إلى واسط حيث تفرق عنه عامة من كان معه من أصحابه⁽⁵⁾. على أي حال فإن تكن هذه الحملة قد فشلت فقد كسب الموفق شيئًا هامًا إذ عرف عدوه جيدًا ووقف على دوائله.

(1) الطبري: ج9 ص491 بيروت.

(2) الطبري: ج9 ص490 بيروت.

(3) الطبري: ج9 ص492 بيروت.

(4) الطبري: ج9 ص494 - ص495 بيروت.

(5) ابن الأثير: ج5 ص366 بيروت. رجع الموفق إلى سامراء يوم الجمعة 26 ربيع الأول 259هـ / يناير 873م تاركًا المولد خلفًا له على واسط.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

أخذ الزنج بعد أن تخلصوا من الجيش العباسي يعيشون في المناطق المجاورة وأرسل على بن محمد قوات هائلة إلى الأهواز بقيادة على بن أبان ثم دخل على بن أبان الأهواز في 6 رجب 259هـ / بداية مايو 873م⁽¹⁾. ولم تلبث الخلافة أن أرسلت هذه المرة شخصية قوية هي موسى بن بغا التركي⁽²⁾ فخرج من سامراء في 17 ذى القعدة سنة 259هـ / سبتمبر 873م يساعده عبد الرحمن بن مفلح الذي ذهب إلى الأهواز، واستحق ابن كنداج الذي قاد جبهة البصرة وإبراهيم بن سببا الذي وافى بأزاورد⁽³⁾. ودارت عدة معارك أظهر فيها قواد الخلافة شجاعة كانت وقتية واستطاع الزنج التحصن بالأجام ومناطق القصب والخلفاء وحاولت هذه الجيوش الضغط على الزنج من عدة جهات، كما حاولت قطع التموين عنهم لكنها لم تحصل على نتيجة نهائية مطمئنة⁽⁴⁾. واستمرت الحرب سجالاً بضعة عشر شهراً اتخذ موسى خلالها واسط مركزاً له حتى صرف عن حرب الزنج وتولاها مسرور البلخي⁽⁵⁾.

علاقة الزنج بالصفاريين:

يرجع ظهور يعقوب بن الليث الصفار على مسرح الأحداث إلى خلافة المتوكل سنة 237هـ / 851 - 852م. وكان يعقوب في أول أمره أحد قادة صالح بن النضر الكتاني الذي اشتهر بالتطوع في قتال الخوارج، وقد تغلب على سجستان سنة 237هـ وكان يعقوب من المخلصين في خدمته حتى جعله صالح في مقام النائب عنه، وقد استعاد طاهر بن عبد الله أمير خراسان سجستان من صالح بن النضر وأعاده لها لطاعته⁽⁶⁾.

وسرعان ما تغلب على هذه المدينة درهم بن الحسين زعيم المطوعة الذي ظهر عجزه،

-
- (1) الطبري: ج9 ص503 بيروت، ابن الأثير: ج5 ص367 بيروت.
 - (2) كان بغا من قواد المعتصم وأتاحت له شجاعته ومقدرته أن يتزوج من بنت الخلافة. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج3 ص40.
 - (3) الطبري: ج9 ص504 بيروت.

(4) Noldeka, p.161.

- (5) الطبري: ج9 ص506، ابن الأثير: ج5 ص368 بيروت.
- (6) ابن الأثير: ج5 ص91، ص337، ص338 بيروت، النويري: نهاية الأرب ج23 ورقة 193 مخطوط بدار الكتب رقم 551 معارف عامة.

فولى جنده قائد يعقوب بن الليث، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا فيه من السياسة وحسن التدبير فتولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج والشراة وهزمهم هزيمة منكرة ولم يلبث أن اشتدت شوكته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها⁽¹⁾. واستولى على كرمان⁽²⁾ وشيراز.

وفى سنة 259هـ / 872م استولى يعقوب على نيسابور فى عهد الخليفة المعتمد وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته وأسقط دولة الطاهريين⁽³⁾، وفى سنة 260هـ / 873م دخل طبرستان وفى سنة 261هـ / 874م بدأت أطماعه تظهر جلياً مما أدى إلى معادلة الخليفة له ولعنه إياه فى الأمصار⁽⁴⁾.

على أن ذلك لم يحل بين يعقوب بن الليث وبين تحقيق مآربه فأرغم الخليفة على أن يعترف له بولاية خراسان وفارس وطبرستان وجرجان والرى وأذربيجان وقزوین وفى سنة 262هـ / 874 - 876م دخل رامهرمز⁽⁵⁾ وطمع أن "يصير إلى باب السلطان"⁽⁶⁾ ونجح فعلاً فى تهديد الخلافة وتعدى واسط ووصل إلى دير العاقول⁽⁷⁾، حتى اضطر الخليفة إلى الخروج بنفسه لصدده وقد استنكر جند الصفار حرب الخليفة فتقاعسوا؛ مما أدى إلى هزيمة قائدهم سنة 262هـ / 875 - 876م⁽⁸⁾.

وهكذا نرى أن الظروف خدمت صاحب الزنج إلى أبعد الحدود فقد كان الصفار هو الخطر المباشر على الدولة، لذلك وجهت الخلافة كل همها للقضاء عليه. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد يش ابن بغا من حرب الزنج وتضايق من الوضع الراهن،

- (1) ابن الأثير: ج5 ص 291 بيروت، ابن خلكان: وفیات الأعيان ج2 ص 312، البويرى: هاية الأرب (مخطوط) ج23 ورقة 193.
- (2) ابن الأثير: ج5 ص 340 حوادث سنة 255هـ.
- (3) ابن الأثير: ج5 ص 368 - 369 بيروت.
- (4) الطبرى: ج9 ص 512 بيروت، ابن الأثير: ج6 ص 7 بيروت.
- (5) رامهرمز: مدينة مشهورة فى خوزستان. ياقوت معجم البلدان ج4 ص 122.
- (6) الطبرى: ج9 ص 516 بيروت.
- (7) بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطئ دجلة. معجم البلدان ج4 ص 154.
- (8) ابن الأثير: ج6 ص 7 - 8 بيروت.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

فاستقال من حرب الزنج ومن ولاية المشرق أيضًا سنة 261 هـ / 875 م فانطلقت الولاية والقيادة لأبي أحمد الموفق⁽¹⁾.

ركز الموفق همه كله لحرب الصفار، فاستغل الزنج انسحاب قوات الخليفة من دجلة الأدنى ومدوا نفوذهم إلى الشمال؛ حيث عاونتهم القبائل العربية في البطائح جنوب واسط⁽²⁾، وأعاد الزنج هجومهم على الأهواز فدخلوها للمرة الثالثة وأفرطوا في القتل والنهب والسلب حتى قيل إن عدد القتلى بلغ خمسين ألفًا⁽³⁾.

عاد يعقوب بن الليث منهزمًا إلى خوزستان، ونزل جنديسابور، وأرد صاحب الزنج أن يتهم ذلك الموقف ويعقد محالفة مع يعقوب ضد الخلافة وأرسل له لكي يحثه على الرجوع إلى بغداد ويعدده بالمساعدة، غير أن يعقوب رفض ذلك العرض وقال لكتابه اكتب إليه: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون). وبعث بالكتاب إليه⁽⁴⁾. ويتبين لنا إسلام يعقوب بن الليث على المذهب السني حينما رفض التحالف مع صاحب الزنج.

على أن موت يعقوب في شوال سنة 265 هـ / ⁽⁵⁾ يونية 879 م قلب الأمور رأسًا على عقب، فإن خلفه وأخاه عمرًا كان أقل صلابة منه فاستطاع الموفق إقناعه بعقد الصلح ومنحه كثيرًا من الامتيازات ليتفرغ تمام التفرغ لحملته الكبرى على الزنج، وبذلك ضمن الموفق تأييد الصفاريين، ومن ثم بدأت كفة الدولة العباسية ترجع في حروبها مع الزنج.

ويتبادر إلى الذهن سؤال. ترى لو قدر للصفاريين أن يتحدوا مع الزنج فأى مصير كان ينتظر العباسيين على أيديهم؟ إن الإجابة على ذلك صعب للغاية. فإن المتابع لحركة الصفار التوسعية من ناحية، وقوة الزنج من ناحية أخرى يستطيع أن يزعم بأن الدولة العباسية كانت ستواجه منعطفًا خطيرًا باتحاد عدوها خاصة وأن كلا الحركتين كانتا تهددان إلى تغيير النظام القائم وتعتمد على تأييد طبقات العامة، لكن هذا الاتحاد لم يتم، واستطاع

(1) Noldeka, p. 162.

(2) Noldeka, p. 162.

(3) Noldeka, p. 162.

(4) ابن الأثير: ج 6 ص 8 بيروت.

(5) ابن الأثير: ج 6 ص 21 بيروت ويذكر المسعودي: مروج الذهب ج 2 ص 445، وما بعدها أن وفاته

في ذي القعدة سنة 265 هـ.

الموفق أن يعالج كلاً من عدويه على حدة، فلما فرغ من الصفارين ركز جهوده للقضاء على الزنج.

الموفق وابن طولون:

تؤخذ على الموفق غلطة من صنع يديه كان لها أبعد الأثر في استفحال خطر الزنج، تلك هى عداؤه مع أحمد بن طولون⁽¹⁾ وإلى مصر. فلو أن الموفق استمال ابن طولون الذى لمبى نداه أول الأمر بما يعينه على حرب الزنج، إذن لاستطاع أن يوجه كل جهوده لمحاربة هؤلاء الثائرين والقضاء عليهم قبل أن يضطرب المشرق ويتقاعس ولاته عن الانصياع للسلطان ودفع ما عليهم من الخراج⁽²⁾.

كانت المهمة التى أُنيطت بالموفق مهمة شاقة صعبة، فقد نفذت موارد الشرق من جراء حروب الزنج، وتثاقل الناس عن حملة الخراج حين علموا بخروجهم فى حين كان الخليفة منهمكاً فى هواه وصيده وجواريه بحيث ضاعت هبة الخلافة واستبد العمال بالولايات.

اضطر الموفق إلى الالتجاء إلى ابن طولون فشكا إليه حاجته إلى المال خاصة وقد تأخرت أموال مصر، إذ حلت إلى المعتمد نفسه⁽³⁾، فأنفذ تحرير خادم المتوكل إلى أحمد بن طولون يأمره بحمل الأمور والطراز والرقيق والخيل والشمع وفى نفس الوقت كتب المعتمد سراً يقول لابن طولون "إن الذى حرك إخراج تحرير إليك أبو أحمد، وقد أنفذ تحريراً عيناً عليك ومعه كتب إلى سائر قوادك بالتضريب عليك⁽⁴⁾".

على أن ابن طولون بعث مع رسول الموفق مبلغاً كبيراً من المال وشيعة بنفسه إلى العريش، ولعله كان يدرك أن الخليفة السليب السلطة سيبدد هذه الأموال على هواه

(1) كانت ديار مصر قد أقطمها بابكياك من قواد الأتراك، وكان مقبلاً بحاضرة الخلافة فاستخلف بها من ينوب عنه، وكان طولون والد أحمد بن طولون أيضاً من الأتراك ومن أنسابه فالتمس بابكياك من يستخلفه بمصر فأشير عليه بأحمد ابن طولون فولاه المعتز بالله سنة 254 هـ. محمد كرد على: خطط الشام جلد 1 ص 172-173 بيروت 1389 هـ / 1919 م.

(2) ابن الداية: سيرة أحمد بن طولون ص 19 برلين 1894 م.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) ابن الداية: ص 19.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

وعبثه، كما كان يعلم حق العلم أن الحاكم الحقيقي للخلافة إنما هو الموفق وليس المعتمد، وكان الموفق لم يكتب بيا أرسله ابن طولون فكتب إليه كتاباً جافاً شديد اللهجة يطلب منه المزيد، وحاول أن يصرف ابن طولون عن ولايته فلم يفلح، وهكذا أصبحت الخصومة لا مناص منها بين هذين الرجلين. وزاد العداوة اشتعالاً ذلك الكتاب العنيف الذي رد بن ابن طولون يقول فيه: إن في ولايته مائة ألف جندي قد يستعين بهم في حرب الموفق إن أعوزه الأمر ويستطرد قائلاً: أنه يستكثر من العدد والعمال لصيانة الدولة والدفاع عنها⁽¹⁾، فأثار هذا الكتاب حفيظة الموفق وأوعز أبو أحمد إلى موسى بن بغا بعزل ابن طولون عن مصر وتقليدها ماجور التركي وإلى دمشق⁽²⁾، وحين رفض هذا الأخير أن يقاوم ابن طولون سار ابن بغا بنفسه إلى الرقة لقتاله⁽³⁾، واتخذ ابن طولون للأمر عدته فبنى حصناً منيعاً في الجزيرة وصنع أسطولاً بحرياً ضخماً⁽⁴⁾. وأقام ابن بغا بالرقة عشرة أشهر يستعد للقتال، لكن الظروف ساءت فعاد إلى العراق حيث توفي معتلاً في صفر سنة 263 هـ / سبتمبر أكتوبر 879م.

لقد ازداد نفوذ ابن طولون وتوسعت سلطته حين استتب له الأمر في الثغور الشامية، بعدما عزله الموفق عنها، وحدث أن توفي وإلى الشام فاستولى ابن طولون على الرملة ودمشق وحصر ما بين سنتي 264 - 265 هـ ودخل أنطاكية سنة 265 هـ 878 - 879م. ثم استولى على طرسوس⁽⁵⁾، ثم حدثت اضطرابات في مصر⁽⁶⁾، كما حدث مثلها في الشام فسار إلى دمشق حيث ورد كتاب المعتمد بالالتجاء إليه⁽⁷⁾.

(1) ابن الداية: ج1أ راجع نص الكتاب من ص 21 - 24.

(2) المقرئ: الخطط ج1 ص 319 بولاق 1270 هـ.

(3) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام. معدودة في بلاد الجزيرة؛ لأنها من جانب الفرات الشرقي، معجم البلدان: ج4 ص 272.

(4) المقرئ: الخطط ج1 ص 319.

(5) الطبري: ج9 ص 543، المقرئ: الخطط ج1 ص 320.

(6) يذكر الطبري: ج9 ص 545 أن العباس بن أحمد بن طوبون انتهر فرصة خروج أبيه إلى الشام بعد أن استخلفه على مصر، وحمل ما في بيت مال مصر من الأموال والأثاث وغير ذلك ثم مضى إلى برقة ومنها إلى طرابلس حيث اصطدموا بقوات إبراهيم الثاني بن أحمد الأغلب التي هزمتهم أتبع هزيمة وكاد لعباس أن يؤسر فعاد إلى برقة حيث أرسل إليه والده قوة تمكنت من القبض عليه وحملوه إلى ابن طولون حيث أمر بضربه وجسه وقطع أيدي وأرجل أصحابه، ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار المغرب ج1 ص 111 - 113، ابن الأثير: ج6 ص 21 بيروت.

(7) الطبري: ج9 ص 545 بيروت، المقرئ: الخطط ج1 ص 320.

إن قصة التجاء الخليفة إلى ابن طولون تدلنا على مقدار ما كان يلاقيه المعتمد من العنت والاضطهاد على يد أخيه الموفق، لذلك انتهاز فرصة انشغال الموفق بحرب الزنج فخرج من سامراء متظاهراً بالصيد في جمادى الأولى سنة 269 هـ / نوفمبر - ديسمبر 822 وأقام يتصيد بالكحيل وأرسل ابن طولون من ينتظره بالركة إلا أن الموفق أرسل من يحبط مؤامرة الخليفة. فلم يكد الحارب السيئ الطالع يضع قدميه في عمل إسحق بن كنداج عامل الموصل والجزيرة حتى حمل إلى سامراء محجوراً عليه⁽¹⁾.

استغل ابن طولون حجر الموفق على الخليفة فأثار حفيظة الناس ضده ووفق إلى عقد اجتماع حضرة القضاة والفقهاء خلع فيه الموفق عن ولاية العهد ودعا الناس إلى حربه لحرجه على الخليفة، واستمر العداء بين الطولونيين والموفق، حتى تم الصلح في عهد خمارويه حيث تضمن كتاب الصلح تولية خمارويه وأولاده من بعده على مصر والشام ثلاثين سنة⁽²⁾.

نهاية حركة الزنج:

نستطيع أن نعتبر سنة 265 هـ / 879م بداية قوة العباسيين وأقول نجم الزنج كقوة عظيمة هددت المناطق الشرقية من أملاك الدولة العباسية طول العشر سنوات التالية. فإن انتهاء أمر الصفاريين ترك للموفق مجالاً لتركيز قواه وضرب الزنج ضربة قاصمة بعد أن دخلوا واسط والنعمانية وأصبحوا على بعد سبعين ميلاً جنوب بغداد، وأخذ الموفق بعد سنة 265 هـ يحشد جهوده وكل موارده لإنهاء هذه "الثورة السوداء" مستفيداً من الدروس التي تعلمها من طوال الفترة الماضية⁽³⁾.

وكل الموفق أوكل أمر طرد الزنج إلى ابنه أبي العباس أول الأمر في ربيع الآخر سنة 266 هـ / نوفمبر - ديسمبر 879م، واستعرض أبر أحمد جيش ابنه وهو في منتهى الرضا وكان هذا الجيش من عشرة آلاف من الفرسان والرجال "في أحسن زى وأجمل هيئة

(1) الطبري: ج9 ص 620 - 621 بيروت، المقرئ: خطط ج1 ص 320 - 321.

(2) محمد كرد علي: خطط الشام ج1 ص 177 - 178 بيروت 1969م.

(3) Noldeke, p. 164.

وأكمل عدة⁽¹⁾. وكان يرافق هذا الجيش أسطول مكون من الشذات والسميريات والمعابر كلها متفنة الصنع⁽²⁾، وتحرك أبو العباس نحو جرجاريا بعد أن عبأ جيشه تعبئة دقيقة ثم استقر في قم الصلح⁽³⁾ قريباً من العدو.

كان أبو العباس شاباً في الثالثة والعشرين من عمره لذلك استصغر الزنج شأنه⁽⁴⁾ وقرروا مجابته بكل قواتهم دفعة واحدة لإخافته، إلا أن أبا العباس حقق الثقة التي وضعت فيه واستطاع أن يرغم قائد الزنج سليمان بن جامع على الانسحاب والتقهقر في أول اصطدام له معه وصلى الجمعة في واسط⁽⁵⁾.

أخذ أبو العباس يعد نفسه وقواته لملاقاة الزنج ثانية رافضاً مشورة قواده بالإقامة في واسط، أما الزنج فأخذوا يعدون أنفسهم بدورهم، فحشد سليمان بن جامع أصحابه وقسمهم ثلاث فرق، سلكت كل واحدة منها طريقاً لكن هذا التنظيم انهار أمام عزيمة أبي العباس حيث انتصرت قوات أبو العباس في اللقاء الثاني مع الزنج وعادت إلى معسكره محملة بالغنائم⁽⁶⁾.

أظهر أبو العباس في حرب الزنج حنكة وجرأة نادرتين، فقد كان يستطع المواضع والمسالك بنفسه، كما أنه اتبع سياسة ناجحة في اجتذاب الزنج حين أخذ يضم قوادهم الذين يهزمهم إلى جيشه⁽⁷⁾، كما ظهر كثيراً من المواضع والقرى واستنقذ كثيراً من الأسرى

(1) الطبرى: ج9 ص557 بيروت، ابن الأثير: ج6 ص26 بيروت.

(2) Noldeke, p. 165.

(3) قم الصلح: نهر كبير فوق واسط، معجم البلدان ج6 ص399.

(4) ابن الأثير: ج6 ص27 بيروت.

(5) بعد أن استأمن إليه خلق كثير. ابن أبي الحديد: ج8 ص344. يذكر تولدكه أن قوات الزنج المحاربة لأبي العباس كانت زهاء العشرين ألفاً.

(6) Noldeke, p. 165.

(7) الطبرى: ج9 ص558-561 بيروت.

Noldeke, p. 165.

تمرح موقف صاحب الزنج من هجرة قواده وأعوانه، وتميز أبو العباس بشجعة تدعو إلى الإعجاب نفى أحد المعارك وجد أن عشرين سهلاً قد تعلق بتيابه.

والسبايا من النساء اللاتي كن في أيدي الزنج وردهن إلى أهلهم⁽¹⁾ كما جمع كثيراً من الأموال والغنائم واستحوذ على عدد هائل من الأسرى وتضح أسطوله بما انضاف إليه من سفن العدو⁽²⁾. وجملة القول أن أبا العباس انتصر في جميع الوقائع التي اشتبك فيها مع العدو⁽³⁾. فكانت بداية طيبة تبشر بالنصر النهائي.

لم يلبث الموفق أن ساند ابنه أبا العباس في حربه ضد الزنج في صفر سنة 267هـ / أكتوبر 880م وحضر بنفسه، خاصة حين اتصل بعلمه أن صاحب الزنج قد أمر بتركيز كل قواتهم ومواجهة أبي العباس بكل عنف. وأخذ الموفق منذ أن حضر إلى ميدان القتال ومعه جيش عظيم وأسطول ضخم⁽⁴⁾ يعد الخطط الدقيقة لحرب الزنج، وأثمر ذلك الاتحاد عن احتلال الموفق مدينة (المنبجة) التي بناها الزنج على مقربة من واسط في أوائل ربيع الأول سنة 367هـ / أكتوبر 880م كما حرر خمسة آلاف من الأسرى نساء وأطفالاً⁽⁵⁾.

ولم يلبث الموفق أن أباح مدينة الزنج المحتلة لناس فنهبوها، وهدم سورها وطُمت خنادقها وأحرق ما كان بقي فيها من السفن⁽⁶⁾. ثم تقدم الموفق بعد ذلك إلى طهشيا حيث تقع "المنصورة" وهي الحصن الثاني للزنج في ربيع الآخر سنة 267هـ / نوفمبر 880م حيث نشبت المعركة مع الزنج وفيها قتل الجبائي، وكان أعظم أصحاب قائد الزنج وأكثرهم طاقة له⁽⁷⁾ ثم تقدم الموفق حتى سور المدينة، وكان سليمان بن جامع قد حفر أمام مدينة المنصورة خمسة خنادق وجعل أمام كل خندق سوراً، لكن هذا التحصين لم يقف في وجه الموفق وأصحابه ولم يلبث أن اقتحم المدينة⁽⁸⁾. واستنقذ عددًا هائلاً من النساء

(1) ابن الأثير: ج6 ص27-28 بيروت.

(2) الطبري: ج9 ص562 ص566 بيروت.

(3) النجوم الزاهرة ج3 ص42.

(4) الطبري: ج9 ص566 بيروت، ابن الأثير: ج6 ص28 وما بعدها.

(5) ابن أبي الحديد: ج8 ص345.

(6) ابن الأثير: ج8 ص28-29 تأثر صاحب الزنج بهذه الهزيمة وتآلم أشد الألم حتى إنه يقول وهو يصف الكتاب الذي نقل إليه الخبر أنه "ورد بقاصمة الظهر" الطبري: ج9 ص569 بيروت.

(7) الطبري: ج9 ص572. وما بعدها، ابن الأثير: ج6 ص26-30 بيروت.

(8) ابن كثير: البداية والنهاية ج11 ص40.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

والصبيان⁽¹⁾، بعد أن فر سليمان بن جامع قائد الزنج، وأقام الموفق بطهيتا سبعة عشر يوماً وأمر بهدم سور المدينة وطم خنادقها وردم أنهارها⁽²⁾، كما أخذ يطارد أهاريين من الزنج حتى إذا ما وقع أحدهم في يده عفا عنه، وضمه إلى جيشه⁽³⁾.

ترك الموفق حملته في واسط تحت إمرة ابنه هارون، وسار باتجاه الأهواز يوم الجمعة الأول من جمادى الآخرة سنة 267هـ / 6 يناير 881م ليطهرها وينقذ سكانها من شرور المهلبى قائد الزنج هناك، أما ابنه الآخر أبو العباس فقد سبقه إلى الأهواز.

اضطرب صاحب الزنج حين بلغته أنباء الهزائم التي منى بها أعوانه كما أصابه هلع شديد من قدوم الموفق، فكتب إلى المهلبى - وكان في الأهواز مع ثلاثين ألفاً - يأمره بترك كل ما معه من المؤن والأثاث وأن يوافيه في الحال، ولما كان صاحب الزنج ينوى تركيز كل قواته في مكان واحد، فقد أمر بهبوز بن عبد الوهاب بترك أعماله والتوجه إليه، وكان يلى الغندم⁽⁴⁾. والباسبان⁽⁵⁾ فوقع كل ما في هذه المناطق من الحبوب والتمر والمواشى في يد الموفق فكان ذلك قوة له على الزنج وضعفاً هولاء⁽⁶⁾ إذ إنهم بدأوا يقاسون قلة الغذاء وصعوبة التموين. ومن هنا نجد أن الحرب الاقتصادية والسيطرة على المؤن ومواردها أصبحت وسيلة من الوسائل الفعالة التي استخدمها الموفق في حرب الزنج، واستطاع في الوقت نفسه فتح السدود ولثغور التي أنشأها الزنج في دجلة والأنهار الأخرى لعرقلة سير السفن، ثم دخل إلى جند يسابور ومنها إلى تستر حيث أعاد الأمور إلى نصابها في هذه النواحي، كما اتصل بمحمد بن عبيد الله الثائر الكردي، وعقد معه صلحاً فأمن جانبه، وهكذا أخذت مدن الأهواز تنهار سريعاً أمام هجمات الموفق فاستولى على المنطقة كلها وكشف الزنج عنها⁽⁷⁾.

(1) قدره الطبرى ج9 ص573 بعشرة آلاف وابن الجوزى: المنتظم ج5 ص58 بخمسة عشر ألفاً.

(2) البداية والنهاية ج11 ص41.

(3) الطبرى: ج9 ص574 بيروت، ابن الأثير: ج6 ص30 بيروت.

(4) الغندم: موضع بالأهواز معجم البلدان: ج6 ص401.

(5) الباسبان: قرية بخوزستان، معجم البلدان: ج2 ص36.

(6) الطبرى: ج9 ص576 بيروت.

(7) تاريخ ابن الوردي ج1 ص239.

بناء الموفقية:

اهتم أبو أحمد الموفق بقضية التموين اهتمامًا كبيرًا، فكتب إلى عمال النواحي يطلب الميرة، فلم تلبث القوافل أن وفّت بها مما رفع معنوية الجنود وحسنت أحوالهم. وكتب كثير من الزنج إلى أبي أحمد يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك ووفاه ألف رجل من العدو فأحسن إليهم وضمهم إلى قواده وأجرى لهم الأرزاق، وكان لذلك أثره في إضعاف قوة الزنج وتقوية الجيش العباسي، ثم كتب أبو أحمد إلى ولديه أبي العباس وهارون بالانحدار إلى نهر المبارك في فرات البصرة لتجتمع كل قواته في مكان واحد والتقى الجميع هناك في 15 رجب سنة 267 هـ / 18 فبراير 881⁽¹⁾.

أصبح نفوذ الزنج محدودًا على مدينة المختارة، وقبل أن يشن الموفق هجومه الكبير كتب إلى صاحب الزنج يدعوه إلى التوبة عما ارتكبه في حق الإسلام والمسلمين ويعلمه أن التوبة له ميسرة والأمان له موجود فإن هو نزع عما عليه من الأمور التي يسخطها الله ودخل في جماعة المسلمين بما ذلك ما سلف من عظيم جرائمه وكان له به الحظ الجزيل في دينه⁽²⁾. لكن صاحب الزنج ازداد نفورًا وإصرارًا رغم موقفه السيئ⁽³⁾، لكن بعض قواده كانوا أقل شجاعة منه، فقد انضم بعضهم إلى الموفق الذي رحب بهم أجل ترحيب، وكان من أثر إنعامه على المنضمين إليه بسخاء أن أغرى هؤلاء أصحابهم على هجران جيش الزنج، ما دام لم يعد لهم مطمع في الفوز أو الكسب من وراء هذه الثورة التي بدأت في طريقها إلى الفشل ووجد صاحب الزنج أن خيرة قواده قد خانوه فغدا قليل الثقة بالآخرين⁽⁴⁾.

كانت المختارة التي يشمل حصارها كل الفترة المتبقية من الحرب مدينة منيعة محاطة بالحصون والخنادق وتحميها الجداول والسدود فضلاً عما كان على سورها من المجانيق

(1) الطبري: ج9 ص576-577 بيروت.

(2) الطبري: ج8 ص580-581، ابن الجوري: المنتظم: ج5 ص59، ابن الأثير: ج6 ص31 بيروت.

(3) ولعله كان يتوقع في كل لحظة قيام عصيان في بغداد أو سامراء أو ظهور ثائر خطر في بعض المقاطعات فينقل حصار الموفق عنه.

Noldeka, p. 166.

(4) Noldeka, p. 167.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

والعمرات وآلات الحصار المختلفة⁽¹⁾. وأشرف أبو أحمد على هذه المدينة فهاله ما رأى من مناعتها، كما راعه كثرة عدد الزنج الذين لم يكتفوا بتحسينات مدينتهم، بل استمروا في إنشاء وسائل دفاع جديدة طيلة الحصار. وكان جيش الزنج يتكون من ثلاثمائة ألف محارب على حين كان جيش العباسيين حوالى الخمسين ألفاً⁽²⁾. إلا أن جيش الموفق كان يتميز بالتجهيز التام والتغذية الجيدة فضلاً عما كان يضاف إلى هذا الجيش من قوات الزنج المستسلمة، ما يأتيه من إمدادات⁽³⁾.

لم يكن الموفق ينوى الاستيلاء على (المختارة) بهجوم مفاجئ. نظرًا لحصانة هذه المدينة، ولما كانت هذه المدينة مفصولة عنه بنهر فقد قرر أن يتخذ معسكرًا ومقرًا وفي أواخر رجب سنة 267هـ / 881م اختار أبو أحمد مكانًا على جانب دجلة الشرقية، فرحل إليه الناس وأصلحت الطرق وأنشئت القناطر⁽⁴⁾ وبقي أبو أحمد في هذا المكان يعد العدة حتى منتصف شعبان سنة 267هـ⁽⁵⁾.

وفي منتصف شعبان سنة 267هـ / إبريل 881م انتقل الموفق إلى معسكر جديد بإزاء مدينة الزنج على جانب دجلة وبنى هناك مدينة سماها الموقية⁽⁶⁾، وهدف الموفق من بناء هذه المدينة أن يكون قريبًا من المختارة أولاً وقطع الإمدادات والمؤن عن الزنج ثانيًا. ولم تلبث هذه المدينة أن ازدهرت بسرعة وبنى فيها الموفق مسجدًا جامعًا⁽⁷⁾. واتخذ دورًا للضرب فأصدر الدنانير والدرهم للمعاملات التجارية⁽⁸⁾.

وهكذا أدت هذه الثورة السوداء المدمرة في جملة ما أدت إلى قيام مدينتين عظيمتين اتسع فيها العمران وكثر البناء وراجت التجارة، فقد رأينا كيف أنشأ على بن محمد مدينة المختارة وأحاطها بالخانقاد والأسوار وحكم منها حيث أرسل الولاة والعمال والقضاة إلى

(1) ابن كثير: البداية والنهاية ج1 ص 41 مكتبة المعارف - بيروت الطبعة الثانية 1977م.

(2) المصدر نفسه: ج1 ص 41.

(3) Noldeka, p. 168.

(4) ابن الأثير: ج6 ص 31 بيروت.

(5) الطبري: ج9 ص 584 بيروت.

(6) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان (مخطوط) ج6 ص 9 ورقة 201 دار الكتب رقم 551.

(7) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان (مخطوط) ج6 ص 9 ورقة 201 دار الكتب رقم 551.

(8) الطبري: ج9 ص 586 بيروت.

المناطق الخاضعة له كما أصدر فيها نقودًا بدولته ما زالت منها قطعتان ذهبيتان فيهما أكبر القيمة في التدليل على قيام هذه المدينة⁽¹⁾.

أدرك الموفق بثاقب بصره أن الوسيلة الفعالة لإيذاء الزنج وشل حركتهم هي الحصار الاقتصادي، ففي الوقت الذي أمن تموين جيشه فرض على الزنج حصارًا اقتصاديًا شديدًا ونجح في قطع سبل الاتصال بينهم وبين الخارج، وساعد وصول أسطول جديد من الساحل الفارسي على كثرة واردات الجيش العباسي، وفقد الزنج سبل تموينهم حتى غدوا يحصلون على قوتهم بأشق المجهودات⁽²⁾؛ ومن ثم أخذوا يشعرون بقلّة الطعام كما انقطع ورود الخبز إليهم، فكثرت انضمامهم إلى حيوش العباسيين، وهو ما كان يعمل الموفق على تحقيقه. وفي السنة التالية (268هـ) شدد الموفق الحصار الاقتصادي ومنع وصول الميرة والتموين إليهم "حتى استأمن إليه خلق كثير"⁽³⁾.

كذلك هاجم رشيق أبو العباس جماعة الأعراب من بني تميم⁽⁴⁾، الذين كانوا يحملون إلى المختارة الطعام والإبل والغنم عن طريق الأنهار، واستولى رشيق على ما كانوا يحملون من المؤن، وبذلك انسدت على صاحب الزنج كل المسالك⁽⁵⁾. وكان من نتيجة هذا الحصار أن سرى الضعف بين صفوف الزنج وأضر بهم الجوع⁽⁶⁾ فتنفروا في القرى والأنهار يبحثون عن القوت من السمك والتمر فأخذ أبو أحمد يتصيدهم أسراً وقتلاً حتى

(1) توجد إحدى هاتين القطعتين في المتحف البريطاني والأخرى في باريس والقطعة الأولى أقدم من الثانية ثلاث سنين مما يدل على أن الحياة العامة في دولة الزنج استغرقت بضع سنين، كما نستدل منها على أن الزنج استعملوا النقود في التبادل التجاري.

(2) الطبري: ج 9 ص 594 - 595 بيروت.

كد سمك البطيخة يأتي لمعسكر صاحب الزنج بوفرة، وكان الأعراب يحملون الميرة إليه فأشأ الموفق سوقاً أيضاً في البصرة للأعراب حمل إليه التمر الذي كانوا يتصلون بالزنج للحصول عليه بعبادة ما لديهم من البضائع، كما منع جلب السمك من الزنج منعاً باتاً، الطبري: ج 9 ص 604 - 605 بيروت.

(3) المصدر نفسه ص 602 بيروت، ابن الأثير: ج 6 ص 37 بيروت.

(4) وهم الذين ساعدوا الزنج في دخول البصرة. الطبري: ج 9 ص 607.

(5) نكل الموفق بهؤلاء الأعراب وقتل بعضهم لكي يتحاشى الباقون مساعدة الزنج في جلب الغذاء. الطبري: ج 9 ص 607 بيروت.

(6) يروي ابن الجوزي: المنتظم ج 5 ص 63 أنهم أكلوا لحوم الناس ونبشوا القبور فأكلوا لحوم الموتى.

تضعفت صفوف صاحب الزنج وانفض من حوله كثير من أعوانه، بل إن ابنه فكر في هجره والاتحاق بأبي أحمد فلم يجد أبوه بدءاً من قتله⁽¹⁾.

سقوط المختارة:

استمر حصار المختارة من سنة 267 - 270 هـ / 884 - 880 م أى حتى نهاية حركة الزنج. ففى ربيع الآخر سنة 268 هـ / نوفمبر 881 م عبر أبو أحمد الموفق إلى المختارة ومعه ابنه أبو العباس وخيرة قواده وضم إلى كل منهم المهندسين والعمال فأمرهم أن يعملوا على هدم سور المدينة دون أن يدخلوها، فتمكنوا من هدم أجزاء كثيرة من السور فعلاً، ودخلوا المدينة مخالفين بذلك أوامر قائدهم الأعلى، فكانت النتيجة وبالأعلى عليهم، إذ تشعبت بهم المسالك وارتبكوا واستطاع الزنج هزيمتهم وملاحقتهم حتى النهر ومنى جيش الموفق بخسائر فادحة نتيجة عصيانهم الأوامر⁽²⁾.

حاول الموفق أن يقلل معسكره إلى الجانب الغربى من دجلة، إلا أن صاحب الزنج حال بينه وبين تنفيذ ذلك، فاكتمى الموفق بمحاولة هدم السور⁽³⁾، واقتصر الأمر في هذه المرحلة على غارات نخاطفة لإحداث أكبر قدر ممكن من الخسائر في الجانب الزنجي ولإلقاء الرعب بين صفوفهم، وتمكن الموفق من هدم المسجد الجامع في مدينة الزنج وحمل منبره إلى الموقية⁽⁴⁾. واستمر الموفق يهاجم السور ويهدمه حتى انهارت دواوين الزنج وانتهت خزائنتهم⁽⁵⁾.

وفي الوقت الذى أشرف فيه العباسيون على الانتصار خدعت الظروف الزنج فقد أصيب الموفق بسهم في صدره أطلقه عليه عبد رومى اسمه قرطاس⁽⁶⁾، أعاقه عن القيادة فانسحب إلى الموقية، ووقفت العمليات الحربية فترة أتاح للزنج فترة من الراحة والاستعداد وتنظيم صفوفهم المبعثرة. وما كاد الموفق يتماثل للشفاء في شعبان سنة

(1) الطبرى: ج9 ص 10 - 11 بيروت.

(2) الطبرى: ج9 ص 602 - 603 بيروت، ابن الأثير: ج6 ص 37 بيروت.

(3) الطبرى: ج9 ص 603 بيروت.

(4) الطبرى: ج9 ص 618 - 619، ابن الأثير: ج6 ص 41 بيروت.

(5) Noldeka, p. 168.

(6) وكان ذلك في جمادى الأولى سنة 269 هـ / ديسمبر 882 م.

269هـ / يناير 883م ويعاود حرب الزنج حتى انشغل بأخبار هروب المعتمد من سامراء إلى الرقة قاصداً اللاتجاه إلى بن طولون، فحال دون نجاح مؤامرة اخليفة واستطاع إعادته إلى سامراء⁽¹⁾.

وفي شعبان سنة 269هـ / يناير 883م هاجم الموفق المختارة من جديد وتمكن أصحابه من إحراق بعض قصور صاحب الزنج واستنقاذ عدد كبير من النساء الأسيرات⁽²⁾، وكاد موقف صاحب الزنج يسوء لولا أن استعمل الحيلة فأجرى الماء على الأراضي التي يسلكها الجيش العباسي، كما حفر الخنادق لإعاقة تقدم الجيش الفاتح، وقد حاول الموفق ردم هذه الخنادق فدارت معركة عنيفة كثر فيها القتل والجرحى⁽³⁾. وتمكن الموفق من إحراق دار صاحب الزنج⁽⁴⁾ لذي خرج هارباً لا يلوى على شيء مخلصاً وراءه أمواله وأمتعته طعمة للذين ولجئوا الموفق⁽⁵⁾، واستنقذوا في هذه العملية كثيراً من النساء المسترققات، وكاد النصر يتم للجيش العباسي لولا أن دهم المرض الموفق⁽⁶⁾، فتوقفت الحرب مدة شهرين حتى أوائل شوال سنة 269هـ / مارس 882م حيث أفاد الزنج من هذه الهدنة وقاموا ببناء قنطرة ضخمة على نهر أبي الخصيب لعرقلة مرور السفن، كما بنوا جسرين ضخمين على النهر نفسه، إلا أن الموفق استطاع إزالة القنطرة وبرجين حجريين بُنِيا على فوهة النهر بمجرد أن شفى من مرضه⁽⁷⁾.

ومن الجدير بالذكر أنه كلما ساء موقف صاحب الزنج، كلما زاد عدد المستأمنين إلى الموفق، فقد استأمن سنة 268هـ / 881 - 882م جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجاني وهو

(1) الطبري: ج9 ص620 - 621 استغل الزنج الظروف السيئة التي أرغمت العباسيين عن تخفيف ضغطهم على أعدائهم فأعادوا بناء ما تهدم من سور المدينة.

(2) الطبري: ج9 ص622 وما بعدها، ابن الأثير: ج6 ص42، بيروت.

(3) بذل الزنج قصارى جهدهم لدفع الخطر عن قصر زعيمهم خاصة ومدينتهم عامة واستعانوا بالحجارة والنشاب والمقاليح والمحاريق والعرادات والرصاص المذاب، بن الجوزي: المنتظم ج5 ص67.

(4) الطبري: ج9 ص623 - 625 بيروت.

(5) ابن الجوزي: ج5 ص67.

(6) الطبري: ج9 ص627 بيروت.

(7) ابن الأثير: ج6 ص46 بيروت.

أحد ثقات صاحب الزنج فتبعه خلق كثير⁽¹⁾. وفي سنة 269هـ / 882 - 883م استأمن محمد بن سمعان كاتب صاحب الزنج ووزيره⁽²⁾. بل إن (أنكلاي) ابن صاحب الزنج نفسه طلب الأمان وكاد يلحق بأبي أحمد لولا أن علم والده فأثناء عن ذلك⁽³⁾. وأرسل سليمان بن موسى الشعراني من قادة الزنج الرئيسيين يطلب الأمان فرفض الموفق طلبه، لما أتاه من أعمال القسوة، وحين أجابه الأمير العباسي إلى طلبه تبعه كثير من قواد الزنج، واتباع معهم الموفق سياسة المسامحة والإحسان مما كان له أثره على أتباعهم من الزنج فتركوا معسكرهم لاجئين إلى الجيش العباسي⁽⁴⁾. ومن أهم هؤلاء اللاجئين شب بن سالم أحد قواد الزنج الذي أسند إليه الموفق مهمة مهاجمة معسكر صاحب الزنج في فرقة من الزنج المستأمنين⁽⁵⁾.

نهاية حركة الزنج ومقتل صاحبها:

وفي شهر ذي القعدة سنة 269هـ / إبريل 883م كان الهجوم الشامل للجيش العباسي الذي تمكنت قواته من دخول دار صاحب الزنج وإحراقها، وحملت نساء وأولاده إلى الموفقية⁽⁶⁾، وهرب صاحب الزنج إلى قلعة أخرى هي دار المهلبى أحد قواده وهناك دارت معركة حامية بين وبين أبي العباس انتهت بنصر مؤزر للعباسيين الذين عادوا عمليين بالأموال والأسرى والنساء اللاتي وقعن في أسر صاحب الزنج من المسلمات "فضعف أمره وداخله الضعف"⁽⁷⁾.

وفي أوائل ذي الحجة (من نفس السنة) وصلت إلى أبي أحمد نجدة مؤلفة من عشرة آلاف رجل بقيادة كاتبه صاعد بن مخلد، كما أن لؤلؤاً - أحد أتباع ابن طولون - كتب يستأذن أبا أحمد في القدوم عليه لإعنته في حرب الزنج - وقدم فعلاً في جيش كبير من

(1) الطبري: ج9 ص601، ابن الأثير: ج6 ص37 بيروت.

(2) ابن الجوزي: المنتظم ج5 ص87.

(3) الطبري: ج9 ص642، ابن الأثير: ج6 ص47 بيروت.

(4) ابن الأثير: ج6 ص47 بيروت.

(5) الطبري: ج9 ص643 بيروت.

(6) المنتظم ج5 ص67.

(7) الطبري: ج9 ص648 - 649 بيروت، ابن الأثير: ج6 ص48 بيروت.

الفراغنة⁽¹⁾ والأتراك والروم والبربر والسودن في أوائل محرم سنة 270 هـ / يوليو 883 م. وكان أبو أحمد قد أرجأ القتال حتى قدومه، وكان للفرقة التي قدم بها لؤلؤ أثر عظيم في إنهاء القتال بفضل شجاعتهم وثباتهم⁽²⁾.

لم يتوقف أمر المشاركة في قتال الزنج على لؤلؤ فقد تطوع أحمد بن دينار عامل أيدج ونواحيها (من كور الأهواز) مع جمع عظيم من الفرسان كما تطوع ألف رجل من أهل البحرين بقيادة رجل من عبد القيس وهي القبيلة التي ينتمي إليها صاحب الزنج⁽³⁾ مما يدل على عدم اقتناعهم بصدق دعوته.

لم يلبث الموفق بما اجتمع لديه من قوات إسلامية أن شن هجوماً واسعاً على مواضع الزنج، واحتشد جيش الزنج للقاء الجيش الزاحف حيث دارت معركة هائلة انهزم فيها الزنج واستولى الجيش الفاتح على مدينة الزنج بأسرها وأطلق سراح من فيها من الأسرى ولأد صاحب الزنج بالفرار يتبعه بقية قوائمه إلى نهر السفيناني⁽⁴⁾، فتبعهم لؤلؤ مقتحماً النهر بفرسه يتبعه أصحابه وأخذ يطارد صاحب الزنج حتى أمره أبو أحمد بالعودة.

وفي أوائل صفر سنة 270 هـ / أغسطس 883 م بدأ أبو أحمد زحفاً جديداً وكان الزنج قد عادوا إلى مدينتهم وأقاموا بها، وفي هذا الهجوم أسر سليمان بن جامع أبرز قواد صاحب الزنج واثنتين من قواده الآخرين⁽⁵⁾، ثم جاء البشير بقتل علي بن محمد صاحب الزنج وحمل أحد أصحاب لؤلؤ رأسه فسجد الناس شكراً وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء في أهل البلاد التي دخلها الزنج.. أن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم⁽⁶⁾.

لقد كان لمقتل صاحب الزنج أثر رائع ومؤثر على نفس الموفق الذي خر ساجداً لله

(1) نسبة إلى فراغنة وهي من بلاد ما وراء النهر.

(2) الطبري: ج 9 ص 649 - 650 بيروت. لقد كان للؤلؤ فخر قتل صاحب الزنج حتى قيل إنه هو الذي كسب النصر وليس أبو أحمد.

(3) الكبرى: ج 9 ص 654 بيروت. وقد أمر الموفق أن يخلع عليهم وإقامة الأرزال لهم.

(4) الطبري: ج 9 ص 655 - 656 بيروت.

(5) المنتظم: ج 6 ص 170؛ ابن الأثير: ج 6 ص 52 ويذكر أن ذلك كان أواخر صفر.

(6) الطبري: ج 9 ص 659 - 660، ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر ج 1 ص 240.

الطاهريون والصقاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

حين قدم غلام لؤلؤ يحمل رأس الثائر الجبار وسجد معه بقية قواده؛ وطيف برأسه كي يشاهده أولئك الذين نكبوا وأوذوا على يديه سنين طويلة⁽¹⁾.

استسلم أثر سقوط المختار حوالى خمسة آلاف زنجرى وبقيت جماعة منهم بقيادة درمويه الزنجرى أخذت تعيث في قرى البطيحة تقتل وتسلب متخذة من ذلك وسيلة للعيش دون أن تدري المصير الذى آل إليه زعيم حركتهم، وحين سمع درمويه بالخبر طلب الأمان فأجابته الموفق إلى ذلك هو ومن معه⁽²⁾. أما الباقين من الزنجرى فقد هاموا في الصحراء يقتلهم الجوع والعطش.

ضعف سلطة الوزراء أواخر القرن الثالث الهجرى:

يعتبر ظهور نظام الوزارة⁽³⁾ في العصر العباسي⁽⁴⁾ من سمات التطور الحضارى للدولة الإسلامية. وقد ارتبط هذا النظام منذ نشأته بنظام الخلافة، ونما وتطور حسب سلطة الخلفاء وميولهم واتجاهاتهم السياسية⁽⁵⁾.

وبدأت مسئولية الوزير وأعماله تتضح مع ظهور هذا المنصب، وإن كانت لم تتبلور في صورتها الكاملة، لأن العباسيين في بداية عهدهم لم يحددوا سلطات الوزير، وبمجال نفوذه بصورة واضحة، وإنما اقتصر الأمر على وضع أساس نظام الوزارة، ثم أخذ هذا النظام يتطور تدريجياً، حيث أصبح الوزير في أواخر العصر العباسي الأول يشرف على جميع

(1) ابن كثير: البداية والنهاية جـ 11 ص 44.

(2) الطبرى: جـ 9 ص 660 - 662 بيروت، ابن الأثير: جـ 6 ص 53 ويذكر أن درمويه أظهر ما كان في يده من الأموال والأمتعة وردها إلى أربابها.

(3) لم تكن الوزارة مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين في عهد بنى أمية، وكان ذوو الآراء من مستشارى الملك يقومون مقام الوزراء وكان الواحد منهم يسمى كاتباً أو مشيراً.

ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية ص 180، آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ 1 ص 113 ترجمة: محمد عبد الهادى أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1366هـ / 1947م.

(4) كان أبو سلمة الخلال أو من تلقب بالوزارة حين قلده أبو العباس السفاح وزارته.

ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية. ص 155 دار بيروت للطباعة والنشر 1385هـ / 1966م.

(5) الفخرى: ص 155، بدر عبد الرحمن محمد: بنو الفرات في العراق في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ص 12 الأنجلو 1987م.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

الرسائل الرسمية، فضلاً عن إيرادات الدولة ومصروفاتها، ويختص إلى جانب ذلك تعيين الموظفين وعزلهم، وإسداء المشورة إلى الخليفة.

وعلى الرغم من السلطات الواسعة التي منحت لبعض وزراء تلك الفترة فإن خلفاء هذا العصر احتفظوا بمكانتهم، وظلت لهم الكلمة العليا في إدارة شئون الدولة، واستطاعوا بما لهم من نفوذ أن يحدوا من سلطة الوزراء، وكان الوزير عرضة للعزل إذا حاول أن يظهر سلطانه، أو يتخطى الحدود المرسومة له.

كان من أثر ازدياد نفوذ الأتراك في مستهل القرن الثالث أن ضعفت سلطة الوزراء، وقل شأن الوزارة، وأصبح الوزراء يخشون على أنفسهم من بطش الأتراك، وليس أدل على ذلك مما يرويه صاحب الفخري⁽¹⁾ عن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير الخليفة العباسي المتوكل (232 - 247هـ / 847 - 861م) وقد اشتهر هذا الوزير بالتعفف وكرم الأخلاق، حتى إنه رفض أن يأخذ مائتي ألف دينار وثلاثين سقفاً من الثياب المصرية حملها إليه صاحب مصر، وأمر بحملها إلى خزانة الديوان⁽²⁾.

وقد حاز هذا الوزير محبة الجند، فلم يخالفوا له أمراً، ومن مظاهر حهم إياه حمايتهم له عند مقتل المتوكل واجتماعهم على بابهِ وقولهم له: "أنت أحسنت إلينا في حال وزارتك وأقل ما يجب علينا أن نحفظ بك ونحرسك في مثل هذه الفتنة"⁽³⁾.

كان الخلفاء في تلك الفترة غالباً ما يختارون وزرائهم من بين الكتاب وأبناء الوزراء، ويرجع ذلك إلى ما تتمتع به هذه الطبقة من خيرات في الشؤون الإدارية والمالية، مما يؤهلها لشغل منصب الوزارة، حتى انحصرت في تلك الفترة في أسر معينة مثل أسرة آل خاقان⁽⁴⁾، التي تولى منها منصب الوزارة أربعة وزراء في سبعين عاماً، وأسرة بني الفرات⁽⁵⁾، التي تقلد منها الوزارة أربعة وزراء في خمسين سنة، كذلك أسرة بني وهب⁽⁶⁾، التي توارث عشرة من أفرادها أرقى مناصب الدولة وتقلد أربعة منهم منصب الوزارة.

-
- (1) ابن طباطبا ص 217، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج 3 ص 435.
 - (2) وبجاءة منه فتح أحد الأسفاط وأخذ منها منديلاً لطيفاً وضعه تحت فحذه. ابن طباطبا ص 217.
 - (3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج 1 ص 27، ص 67، ص 86 بيروت.
 - (4) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص 37.
 - (5) وصف ابن طباطبا في كتابه الفخري ص 238 مطبعة المعارف 1923م. بني الفرات بقوله: "وبنو الفرات من أجل الناس فضلاً وكرماً ونبلاً ووفاء ورموة".
 - (6) يذكر ابن طباطبا ص 266 عن بني وهب "أنهم من رؤساء الناس وحذاقهم وفضلائهم وكرمانهم، وكانت دولتهم فاخرة، وأيامهم مشرقة".

الظاهرية والصفاوية وعلاقتهم بالخلافة العباسية

ويمكننا القول أنه ابتداء من خلافة المستنصر (247 - 248 - 861 - 862م) بدأت الوزارة تدخل في دور جديد، فحل محل كبار الوزراء ذوى الثقافة العالية والشخصية القوية وزراء لا يتميزون بالكفاية في إدارة شئون الدولة، باستثناء قلة كان لها دور لا يستهان به في تسيير أمور الدولة، ويظهر هذا الانتقال بصورة واضحة بعد أن ولي أحمد بن الخصب الوزارة للمستنصر بن المتوكل، الذى كان مقتراً في صناعته مطعوناً في عقله على حد قول صاحب الفخرى⁽¹⁾.

ازدادت سلطة الأتراك في عهد الخليفة المستعين (248 - 252هـ / 862 - 866م) وصار الوزير يعين من قبلهم، فإن وافق هواهم رضوا عنه، وإن خالفهم في شيء عزلوه وأقاموا غيره، فلم يتعرضوا في أول عهد هذا الخليفة لوزيره ابن الخصب، لكنهم ما لبثوا أن غضبوا عليه واستصفوا أمواله⁽²⁾. ولم ينعم بالوزارة أكثر من شهرين.

أدى ازدياد نفوذ الأتراك إلى تدخلهم في شئون الوزارة، وليس أدل على ذلك ما حدث مع أبى صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وزير الخليفة المستعين، الذى كان من أشهر كتاب عصره، وأقدرهم في إدارة أمور الدولة، واستطاع أن يضبط الأموال ويضيق على الأمراء، فهددوه بالقتل، وأرغموه على الهرب، فلم يستوزر المستعين بعده أحدًا، وإنما كان يعين كتابًا يقومون بأعمال الوزراء⁽³⁾.

وقد تجلّى تدخل الأتراك في شئون الوزارة بصورة واضحة منذ عهد الخليفة المعتز (252 - 255هـ / 866 - 869م)، كما ضاعفت هيبة الوزارة لضعف شأن الخلافة، فكان على الوزير أن يلبي رغبات كبار الأتراك ليبقى في منصبه وإلا عزل وتعرض للإساءة إليه. وكان من بين الوزراء الذين تعرضوا لنقمة الأتراك أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري⁽⁴⁾ وزير المعتز، فقد أساء إليه الأتراك وترصبوا به وقبضوا عليه واستصفوا أمواله.

(1) ابن طباطبا ص 217.

(2) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج 3 ص 283 بولاق 1284هـ (سبعة أجزاء).

(3) الفخرى: ص 220، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ج 3 ص 435.

(4) الفخرى ص 222.

ولما ولي المعتمد الخلافة، واستبد بالأمور أخوه أبو أحمد الموفق طلحة⁽¹⁾ ضعف شأن الوزارة، واستمر الحال على ذلك حتى عهد الخليفة المقتدر (295 - 320 هـ / 908 - 933 م) الذي ساءت أحوال الخلافة العباسية في أيامه، واضطربت أمور دولته من جراء السياسة التي اتبعها في تعيين وزرائه يؤيد ذلك قول المسعودي⁽²⁾ "لم يقف على أحوال الملك، فكان الأمراء والوزراء والكتاب يديرون دفة الأمور. ليس له في ذلك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة".

بنو الفرات وبداية ظهورهم:

لما مات الموفق اجتمع القواد وبايعوا ابنه أبا العباس بولاية العهد بعد المفوض ابن المعتمد ولقب المعتض بالله، واجتمع عليه أصحاب أبيه، وتولى ما كان أبوه يتولاه⁽³⁾. ويروى المسعودي⁽⁴⁾ تفصيل ذلك فيذكر أن أبا العباس كان محبوباً فلما خرج أبوه الموفق إلى الجبل خلفه بدار الخلافة الوزير إسماعيل بن بلبل، وكان مضيئاً عليه إلى أن وافى الموفق من أذربيجان عليلاً، فوصل بغداد يوم الخميس ثاني صفر سنة 278 هـ / 16 مايو 891 م⁽⁵⁾. فلما اشتدت علة الموفق وأرجف بموته وجه إسماعيل بن بلبل إلى "بكتمر" وكن موكلاً بالمعتضد بالمدائن⁽⁶⁾ أن ينصرف بالمعتضد والمفوض إلى الله (ابن المعتمد)، إلى بغداد، فدخلها في يومه، واتصل بإسماعيل صلاح الموفق، فانحدر ومعه المعتضد والمفوض، على أنه لم يلبث أن اضطرب القواد والموالي، وانتهت دار إسماعيل بن بلبل، وفتحت الجسور وأبواب السجون وتوفى الموفق ليلة الخميس لثلاث يقين من صفر سنة 278 هـ فلما مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس وخلع المفوض من ولاية العهد، وقام إسماعيل بن بلبل في الوزارة بعد شغب كثير ببغداد⁽⁷⁾.

(1) الفخري: ص 226 - ص 227.

(2) التنبيه والإشراف ص 328.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 6 ص 69 يروت حوادث سنة 278 هـ.

(4) مروج الذهب: ج 2 ص 492 - ص 493 طبعة التحرير.

(5) يذكر صاحب كتاب التوقيفات الإلهامية ص 310 أن أول صفر السبت 15 مايو 891 م.

(6) على أقل من مسيرة يوم. مروج الذهب ج 2 ص 492.

(7) مروج الذهب ج 2 ص 492 - ص 493.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

لم يلبث أن قبض على⁽¹⁾ إسماعيل بن بلبل⁽²⁾ ووجه إلى عبد الله بن سليمان بن وهب فأحضر وخلع عليه ورد إليه أمر كتابه وذلك يوم الثلاثاء بقين من صفر سنة 278هـ / 10 يونية 891م⁽³⁾. وطلب بنى الفرات فاخطفوا⁽⁴⁾.

بوع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد على الله عمه يوم الثلاثاء لاثني عشر ليلة بقيت من رجب سنة 279هـ / 26 أكتوبر 891م. ولما أفضت الخلافة إلى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت لبلاد، فولى غلامه بدر الشرطة وعبيد الله بن سليمان الوزارة⁽⁵⁾.

على الرغم مما كان يتمتع به عبيد الله بن سليمان من أمانة وتقى وورع إلا أنه لم تكن لديه القدرة على إدارة شئون الدولة مثلما كان لابن بلبل، الذى عمل على تنمية موارد السواد، التى تضاعفت فى سنة واحدة. لذا فقد كان عبيد الله بن سليمان فى موقف لا يحسد عليه، إذ كان مطالباً بقائمة كبيرة من المصروفات التى لا قدرة له على الوفاء بها. لذلك لجأ إلى مساعديه، الذين لم يجدوا حلاً لمشكلة إلا أن يطلب من الخليفة العفو عن أحمد وعلى ابني الفرات، اللذان كانا فى السجن، عقب فتنة ابن بلبل، وبإمكانها أن يكشفها له الطريقة التى يمكن أن يخرج بها من أزمته المالية⁽⁶⁾.

(1) كان إسماعيل بن بلبل مكروهاً من الناس بسبب تشدده معهم فى جباية الأموال التى كان ينفقها على صناعته من بنى شيان فقتل ذلك عليهم وكثر الدعاء عليه، وقد عذب عذاباً شديداً، إذ جعل فى عنقه غلاً فيه رمانة حديدية وزنها مائة وعشرون رطلاً، والبس جبة صوف وعلق معه رأس حمار ميت فلم يزل على ذلك حتى مات، ودفن بغنه وقيوده، وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التى كانت فى خزائنه وقرقت على الجنيد المسعودى: مروج الذهب ج2 ص493.

(2) المصدر السابق: ج2 ص493.

(3) مروج الذهب ج2 ص493 انظر أيضاً

Harold Bowen. The life and Times of Ali Ibn isa p.27 (Cambridge 1929).

(4) ابن الأثير: الكامل ج6 ص69 بيروت.

(5) مروج الذهب ج2 ص495، الكامل ج6 ص73. وقد عمل عبيد الله بن سليمان كوزير للمعتمد بعد وفاة والده سليمان.

Harold Bowne: p. 28.

(6) كان أحمد وأخوه على ابنا الفرات من المؤيدين لإسماعيل بن بلبل، واللذان استترا عقب القبض على نصيرهم، إلا أنه لم يلبث أن كشف أمرهم وألقيا فى السجن.

Harold Bowen: Ali Ibn isa p. 29.

نشأ بنو الفرات في قرية من إقليم النهروان الأعلى يقال لها بابث (بابل) قرية من صريفين⁽¹⁾، وكان أبوهما محمد بن موسى، تولى أعمالاً جليلة، وأكبر أولاده أبو العباس أحمد⁽²⁾. ولا نعرف على وجه التحديد عمر أحمد، غير أن علياً الأصغر كان في الثامنة والثلاثين وقد تركوا أباهم في سعة من العيش قبل أن يعملوا في خدمة الدولة، ولم يقطعوا الصلة بأهلهم هناك، فكانوا يدعونهم للقدوم إلى بغداد كلما دعت الحاجة إلى ذلك⁽³⁾.

كان أبو العباس أحمد بن الفرات أخو أبي الحسن على أكتف أهل زمانه وأضبطهم للعلوم والآداب⁽⁴⁾، وعينه إسماعيل بن بلبل مشرفاً على الديوان (ديوان السواد) وكان ابن بلبل يعتبر الأخوين أحمد وعلى من أقدر العمال في وزارته⁽⁵⁾.

وقام أحمد بن الفرات بعمل نائب الوزير، ثم أصبح اليد اليمنى لعبيد الله بن سليمان، وصار لأحمد وأخيه على سلطة مطلقة حتى وصف عبید الله الوزير بالبيغاء، إذ إن كل كلمة كانت تصدر منه بإيجاز من أحمد وعلى، وارتفعت منزلة أحمد لدى المعتضد، حينما أشار عليه بالعدول عن بعض مشروعاته الإنشائية والتي كان من الممكن أن تضعف فيها الأموال بلا جدوى⁽⁶⁾.

أصبح أحمد بن الفرات مشرفاً على ديوان المالية، وأظهر كفاية في إدارته، وتضاعف

(1) ملال بن المحسن الصايبي، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص 11 - 12، تحقيق / عبد الستار أحمد فراج دار إحياء الكتب العربية.

(2) وأبو عبد الله عيسى من خيار المسلمين والزهاد جاور بمكة، وواصل بها الصوم والصلاة، ومات في وزارة أخيه أبي الحسن على، الصايبي: تحفة ص 12، الهمداني: تكملة تاريخ الطبري ص 246، ملحق بالجزء الحادي عشر من تاريخ الطبري طبعة دار سويدان - بيروت.

(3) Harold Bowen: Ali Ibn isa p. 30.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج 3 ص 424 تحقيق / إحسان عباس. وللبحرئ قصيدة فيه أولها:

بت أبدى وجدًا وأكتم وجدًا لخيال قد بات لي منك يهدي

انظر ديوان البحرئ ج 1 ص 569.

(5) Harold Bowen: p. 30.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج 3 ص 422.

Harold Bowen: p. 30.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

الدخل أكثر مما كان عليه منذ مائتي سنة، ولكي يسهل مهمة الإشراف على هذا الديوان الواسع أنشأ ديواناً جديداً سماه "ديوان الدار" ألحق به ابنه وبعض المساعدين وعلى رأسهم محمد بن داود وابن أخيه علي بن عيسى⁽¹⁾.

استمرت رئاسة أحمد بن القرات لديوان المشرق وديوان المغرب حتى شوال من سنة 286هـ / أكتوبر / نوفمبر 899م حين قلد المعتضد وعبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمد بن داود بن الجراح وديوان المغرب علي بن عيسى⁽²⁾.

وفي سنة 288هـ / 901م توفي عبيد الله بن سليمان، فولى المعتضد ابنه أبا الحسن القاسم بن عبيد الله الوزارة⁽³⁾، ولم يلبث المعتضد أن توفي في ربيع الآخر سنة 289هـ / فبراير - مارس 902م فجلس القاسم بن عبيد الله في دار السلطان في الحسني⁽⁴⁾، وأذن للناس بالدخول، فعزوه في المعتضد وهتوه بها جدد له من أمر المكتفى، وتقدم الكتاب والقوادى تحديد البيعة للمكتفى بالله فبايعوا⁽⁵⁾.

وفي رجب سنة 290هـ / يونية 903م خلع على ابنى الوزير القاسم بن عبيد الله، فولى الأكبر منها ضياع الولد والحرم والتفقات، والأصغر كتابة أبى أحمد بن المكتفى، وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصراني⁽⁶⁾.

علا شأن القاسم بن عبيد الله في أيام المكتفى (289 - 295هـ / 502 - 908م)، فلما أدركته الوفاة أشار على المكتفى بالعباس بن الحسن فاستوزره ويقول الصولى: من أعجب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريق الأمور أننى رأيت العباس بن الحسن في أول

(1) Harold Bowen: Ali Ibn isa p. 31-32.

(2) الطبرى: الأمم والملوك ج10 ص73 حوادث سنة 286هـ، ابن الأثير: انكامل ج6 ص93 بيروت.

(3) ابن الأثير: ج6 ص99.

(4) الحسنى: قصر في دار الخلافة منسوب إلى الحسن بن سهل، وهو المعروف بالتاج وبه منارل الحلفاء ببغداد. ياقوت الحموى: معجم البلدان ج2 ص260 بيروت.

(5) الطبرى: ج10 ص86 - 87.

(6) وكان القاسم بن عبيد الله اتهم الحسين بن عمرو أنه سعى به إلى المكتفى، خاصة وأن الحسين بن عمرو كاشف القاسم بن عبيد الله بحضرة المكتفى، فلم يزل القاسم يدبر عليه ويعلظ قلب المكتفى حتى أمر بعزله. الطبرى: ج10 ص99-103.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

الأربعاء قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيد الله وقد حضر إلى داره وقبل يد ولده، ثم في آخر اليوم المذكور مات القاسم وخلع المكتفى على العباس بن الحسن واستوزره، فجاء ولد الوزير القاسم فقبل يده⁽¹⁾.

ومع ما تمتع به العباس بن الحسن من دهاء ومكر وأدب وافر، فقد كان ضعيفاً في الحساب، ولم تكن سيرته محمودية، وكان عاكفاً على لذاته والأمور مهملة وكان يقول لنوابه بالأعمال أنا أوقع إليكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة⁽²⁾.

لما ثقلت العلة على الخليفة المكتفى في عام 295هـ / 907م كان الوزير أبو أحمد العباس بن الحسن راكباً من داره يوماً ومعه كما جرت العادة أحد الكتاب الأربعة⁽³⁾ الذين يتولون الدواوين، فشاوره فيمن يرشح للخلافة بعد المكتفى، وكان الوزير يميل إلى ابن المعتز، فأجابه الكاتب، وهو أبو الحسن علي بن محمد ابن الفرات: أنه يجب ألا يولى هذا الأمر من عرف دار هذا ونعمة هذا ويستأن هذا، ومن لقي الناس ولقوه وعرف الأمور وحنكته التجارب، فقال الوزير: صدقت والله يا أبا الحسن، فمن نقلد؟ فأشار ابن الفرات بتقليد جعفر بن المعتضد (الخليفة المقتدر) "فإنه صبي لا يدري أين هو وعامة سروره أن يصرف من المكتب" فمالت نفس الوزير إلى ذلك⁽⁴⁾، وعمل على تقليد المقتدر وكان صبيّاً في الثالثة عشر⁽⁵⁾.

لم يلبث الخليفة المكتفى أن توفي سنة 295هـ / 908م وبويع جعفر ابن المعتضد

(1) ابن طباطبا: الفخرى ص 232 - 233.

(2) المصدر نفسه: ص 233.

(3) وهم أبو عبد الله بن محمد بن داود بن الجراح، وأبو الحسن محمد بن عبدان، وأبو الحسن علي بن محمد بن الفرات وأبو الحسن علي ابن عيسى. مسكويه: تجارب الأمم ج 1 ص 2 تصحيح ونشر هدف. أمدرود مطبعة شركة التمدن الصناعية 1332هـ / 1914م، ابن الأثير: الكامل ج 6 ص 119 بيروت.

(4) يضاف إلى ذلك وصية المكتفى، فإنه أوصى لما اشد مرضه بتقليد أخيه جعفر الخلافة. مسكويه: ج 1 ص 3، ابن الأثير: ج 6 ص 119.

(5) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 1 ص 12.

(6) كانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً وكان عمره ثلاثاً وثلاثون سنة وأمه أم لود تركية اسمها جيجلك. ابن الأثير: ج 6 ص 118 - 119، بيروت.

الطاهريون والمفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

ولقب المقتدر بالله⁽¹⁾، فلما بويغ استصغره الوزير أبو أحمد العباس بن الحسن، وعزم على خلعه وتقليد الخلافة أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله فراسله في ذلك واستقر الحال وانتظر الوزير قدوم "بارس"⁽²⁾ حاجب إسماعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان، وكان قد أذن له في القدوم، وأراد الوزير أن يستعين على ذلك ويتقوى به على غلمان المعتضد، فتأخر "بارس" واتفق أنه وقع بين أبي عبد الله بن المعتمد وبين ابن عمرويه صاحب الشرطة منازعة في ضيعة مشتركة بينهما فأغلظ له ابن عمرويه فغضب ابن المعتمد غضباً شديداً، وأغضى عليه وتوفي في اليوم التالي فأراد الوزير البيعة لأبي الحسين بن المتوكل فمات أيضاً بعد خمسة أيام وقم أمر المقتدر⁽³⁾.

(1) ولد سنة 282هـ وكنيته أبو الفضل وأمه أم ولد يقال لها "شغب". الطبري: الأمم والملوك ج10 ص129 بيروت.

(2) هو "بارس الكبير" حاجب إسماعيل بن أحمد، وكان والي طبرستان حين توفي إسماعيل سنة 295هـ وولي ابنه أحمد بن إسماعيل الذي كانت علاقته سيئة ببارس فسار إلى طبرستان فجمع "بارس" أموالاً كثيرة من خراج الري وطبرستان وجرجان وستولى عليها، وكتب "بارس" إلى الخليفة المكتفى يستأذنه في المسير إليه فأذن له فثأه إلى بغداد في أربعة آلاف فارس فوصلها بعد وفاة المكتفى وتولى المقتدر الخلافة فطمع في أمواله فسمه فمات. الكرديزي: زين الأخبار ص148 فارسي، ابن الأثير: الكامل ج6 ص118، فأميري: تاريخ بخارى ص112.

(3) ابن الأثير: ج6 ص199 - 120.

الدولة البويهية

(أ) ظهور بنى بويه:

كان من أثر استفحال نفوذ الأتراك أن ضعفت الخلافة العباسية بحيث لم يعد للخليفة العباسي منذ بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) سلطان إلا على بغداد وضواحيها⁽¹⁾، مما أدى إلى استقلال بعض الولاة بولاياتهم، وعدم استقرار الأمور في ولايات الدولة العباسية، فقامت في طبرستان⁽²⁾ سنة 301هـ (913 - 914م) ثورة بقيادة الحسن بن علي الزيدي⁽³⁾ الملقب بالأطروش⁽⁴⁾، الذي دعا أهالي طبرستان وبلاد الديلم

- (1) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص 49.
 - (2) كانت منطقة الجبال العالية الممتدة في حذاء الساحل الجنوبي لبحر قزوين مما في شرق قومن وشمالها تعرف بطبرستان، و"طر" في لغة أهل تلك البلاد معناها "الجبل" و"ستان" بمعنى ناحية" فطبرستان تعني ناحية الجبل أو بلاد الجبل. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 409، ترجمة كوركس عواد وبشير فرنسيس.
 - (3) هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أبي طالب، المسعودي: مروج الذهب ج4، ص 294 وجاء في دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني ص 309 مادة الأطروش: أن اسمه: أبو محمد الحسن بن علي ابن الحسن بن علي بن عمر بن زين العابدين. ولد بالمدينة حوالي سنة 230 هـ (844م) وتوفي عام 304 بمدينة أمل وهو عامل على طبرستان، وكان يلقبه الزيدية وأهل الدين بالإمام الناصر الكبير.
 - (4) كانت طبرستان هي مركز الأطروش ومنها كان يقوم بجولاته في الأقاليم المجاورة، وقد حدث أن ذهب إلى خراسان ودخلا سراً يدعو الناس إليه فسجنه محمد بن عبد الله الخجستاني ونالته مكاره كثيرة ثقل فيها سمعه ومن ثم لقب الأطروش.
- هلال بن الصبى: المنتزع من التاجي ورقة (5) فيلم بدر الكتب رقم 235، النوري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب ج23، ص 99، مخطوط بدار الكتب رقم 551 معارف عامة.

الظاهرية والصافيون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

إلى الإسلام⁽¹⁾، فأسلم على يده عدد كبير على المذهب الزيدي⁽²⁾، واستطاع أن يستميلهم إلى جانبه، وظلوا مخلصين له طوال حياته⁽³⁾ كذلك نجح الحسن بن علي الزيدي في القضاء على النظام الإقطاعي الذي كان سائدًا في بلاد الديلم. وظلت طبرستان بيد أسرته حتى سنة 314هـ (927م)⁽⁴⁾ حين فتح مرداويج بن زيار⁽⁵⁾ الديلمي هذا الإقليم وأسس الدولة الزيارية التي امتد نفوذها من غربي إيران حتى الأهواز⁽⁶⁾.

لم يقنع مرداويج بن زيار بتأسيس تلك الدولة التي اتسعت رقعتها، بل أراد أن يستولى على بغداد ويطلق دولة العرب⁽⁷⁾ حتى إن الخليفة المقتدر العباسي (295 - 320هـ) (908 - 932م) لم يجد بداً من الاعتراف بسلطانه، شأنه في ذلك شأن المتغلبين على بعض

(1) كان بعض أهالي طبرستان يعبد الأوثان ويدين بالمجوسية، وقد أقام الحسن بن علي الزيدي ثلاث عشرة سنة بينهم. انظر: أنولد: (سرتوماس): الدعوة إلى الإسلام ص 182 ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل الحاروي مكتبة النهضة العربية.

(2) محمد حسين الزيدي: العراق في العصر البويهي، ص 29.

(3) عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص 72 - 73، بغداد 1945.

(4) يذكر حمزة الأصفهاني أن وفاة الأطروش كانت في شعبان سنة 304هـ (يناير 917م)، تاريخ سني ملوك الأرض، ص 175، مطبعة الحياة، بيروت.

(5) Ibn Isfandiyyar: History of Tabaristan. P. 204 (London 1905).

(6) مرداويج بن زيار: أحد قواد أسفار (الأصفر) بن شبرويه أمير قزوین، دفعته أطباعه إلى الثورة على أميره واستولى بمعونة شيعة من الديلم الجلبليين على قزوین واستولى على الري وأصفهان من يوسف بن أبي الساج (والى العباسيين)، كما استولى على طبرستان وجرجان وهمدان. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج8، ص 66، 67، المطبعة الكبرى 1290هـ، حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص 69.

(7) حسن أحمد محمود: المرجع نفسه، ص 69. عبد العزيز الدوري: المرجع نفسه، ص 73، 243.

(8) ابن الأثير: ج8، ص 65، 72، 73، ابن طاطبا: المعرى في الأدب السلطانية، ص 253، مطبعة الموسوعات 1317هـ.

كان مرداويج فارسي الأصل متعصباً للفرس، وقد جعل عسكره صفين منهم جيلي وديلم وهم خواصه وأهل بلده الذين فتح بهم الري ونواحيها، وصنف أتراك وأهل خراسان.

أبو بكر الصولي: أخبار الرازي بالله والمتقى لله، ص 62، نشرح. هيوث. دن، مطبعة الصاوي 1354هـ - 1935م.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

ولايات الدولة الإسلامية، وأقره على ما بيده من بلاد، بعد أن تعهد مرداويج بدفع جزية سنوية⁽¹⁾.

كان بنو بويه من بلاد الديلم أو من بلاد جيلان التي تقع في الجنوب الغربي من بحر قزوين⁽²⁾ وكان جد هذه الأسرة بويه بن فناخسرو الملقب بأبي شجاع صيادًا فقيرًا ويروى بعض المؤرخين أنهم ينتسبون إلى كسرى فارس "بهرام جور بن يزجرد"⁽³⁾ بينما يذكر البعض الآخر بأنهم من ولد يزجرد بن شهریار⁽⁴⁾، وهناك من ينسبهم إلى العرب فيزعم أن جدهم الأعلى هو "بهرام بن الضحاك بن الأبيض ابن معاوية بن الديلم بن باسل بن ضبة بن أد"⁽⁵⁾. إلا أن القلقشندي يضعف هذه النسبة⁽⁶⁾، وينفي حمزة الأصفهاني (المتوفى سنة 371هـ) نسبتهم إلى ملوك الساسانيين والعرب وينسبهم إلى الديلم⁽⁷⁾.

انضم بويه إلى الأطروش، ووجد في معاركه متنفسًا لمواهبه الحربية، فاكسب بذلك مكانة خاصة لديه. ويبدو أن إسلام بويه واعتناقه مذهب الزيدية كان سابقًا على قدوم الأطروش إلى بلاد الديلم. يتضح هذا من أسماء ولديه على والحسن وكل منهما ولد قبل وجود الأطروش ببلاد الديلم⁽⁸⁾.

-
- (1) ابن الأثير: المصدر نفسه والصفحات، حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية، ص 70.
 - (2) محمد حسين الزبيدي: العراق في العصر البويهي، ص 29.
 - (3) هلال بن الصائغ: المنتزع من التاجي ورقة (1)، وقد أبد هذا الرأي ابن الأثير ج 8 ص 91، سنا تورد دائرة المعارف الإسلامية: مادة بويه. أهم لا ينسبون إلى الملك الساساني "بهرام جور" بل إلى كبير وزرائه "مهرنوس".
 - (4) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج 4 ص 426 يولاق 1284هـ.
 - (5) أبو الريحان البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص 38. نشر إدوارد سخاو لينزج 1876م وأعدت طبعه مطبعة المثنى ببغداد سنة 1923م.
 - (6) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج 1 ص 267.
 - (7) نسبهم إلى قبيلة اسمها "شير ذيل آوندان" تاريخ سني ملوك الأرض ص 175، عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية ص 244.
 - (8) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ج 24، ص 268 مخطوط بدار الكتب رقم 699.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

ذكر ابن الجوزي⁽¹⁾ والذهبي⁽²⁾ أن بويه خرج بأولاده إلى خراسان مغاضباً "لما كان ابن كاكي" بعد أن ظلت العلاقات بينهما وطيدة حتى أواخر سنة 312هـ / 925م، ثم ساءت بسبب الحرب التي شنها أبو الحسن بن كاكي ضد علي بن بويه⁽³⁾، فاعتزل بويه خدمة "ماكان" وذهب بأولاده إلى خراسان.

استطاع أولاد بويه علي والحسن وأحمد وكانوا جنوداً مغامرين أن يصلوا إلى مراكز متقدمة في جيش "ماكان بن كاكي". ليدلّمى لحنكتهم العسكرية، غير أن "ماكان" لم يلبث أن حلت به الهزيمة على يد مرداويج بن زير، فلما رأى علي بن بويه وأخوه الحسن ما حل "بماكان" من الهزائم أمام مرداويج⁽⁴⁾، استأذناه في ترك خدمته قائلين "نحن في جماعة وقد صرنا ثقلاً عليك وعيالاً وأنت مضيق، والأصلح لك مفارقتنا إياك لتخفف عنك مؤنتنا ويقع كلنا على غيرك، فإذا تمكنت عاودناك"⁽⁵⁾.

فارق علي بن بويه وأخوه الحسن ومعهما بعض القواد "ماكان ابن كاكي" وانضموا إلى مرداويج بن زيار بطبرستان، فأكرمهم وأحسن إليهم⁽⁶⁾، وأراد أن يكافئهم على انضمامهم إليه وأن يستفيد من جهودهم، فأسند إليهم بعض الأعمال، وكان من نصيب علي بن بويه ولاية الكرج⁽⁷⁾، ولما كان من المحتتم أن يمر علي بن بويه ومن معه من القواد على الرى

(1) المنتظم في أخبار الملوك والأمم ج5 ص 208 حيدر أباد الدكن 1357هـ.

(2) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ج18 ص 140 خطوط بدار الكتب رقم 396 تاريخ.

(3) Ibn Isfandiyyar: History of Tabaristan P 210.

(4) التحق أبناء بويه بجيش "ماكان" في وقت تحسن العلاقات بين "ماكان" ومرداويج بن زيار منذ أن اتفقا على قصد أسفار بن شيرويه، ثم ساءت العلاقات بين "ماكان" ومرداويج بعد أن قتل أسفار وسار مرداويج إلى "ماكان" بجيشه فهزمه. مسكويه، تحارب الأمم ج5 ص 275، ابن الأثير ج8 ص 92.

(5) مسكويه: ج5 ص 277، ابن الأثير: ج8 ص 92.

(6) مسكويه: ج5 ص 277.

(7) الكرج: يفتح أوله وثانيه تقع بين همدان وأصفهان وهي إلى همدان أقرب وبين الكرج وهمدان نحو ثلاثين فرسخاً، وهي التي تسميها "جورجيا" الآن. باقوت الحموى: معجم البلدان ج7 ص 230، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص 216.

أولاً، حيث كان وشمكير بن زيار (أخو مرداويج) ومعه عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد⁽¹⁾ وزيره ومستشاره، فقد اتبع على بن بويه سياسة حكيمة قبل توليه أمور الكرج، فأحسن إلى أبي عبد الله الحسين (العميد)، ونجح في إقامة صداقة متينة معه⁽²⁾. وكان لذلك أثره في نفس مرداويج الذي ساورته الشكوك من ناحية هؤلاء القواد وخشى عدم ولائهم له⁽³⁾، وأرسل إلى أخيه وشمكير يأمره بمنع هؤلاء القواد من الخروج من الري وردهم إليه⁽⁴⁾. غير أن على بن بويه تمكن بمساعدة (العميد) له من الوصول إلى ولايته والفوز بها⁽⁵⁾.

لما أحس مرداويج بالخطر الذي يهدده من ناحية على بن بويه، بعث جماعة من القواد لمحاربته، فاستمأهم على بن بويه إليه، الأمر الذي أثار مرداويج، فكتب إليه يستدعيه، فباطله إلى أن جى ضرائب البلاد التي يتولى حكمها⁽⁶⁾، ثم فارقها إلى أصبهان فاستولى عليها⁽⁷⁾، ثم لم يلبث أن رحل عنها بعد أن جى أموالها شهراً⁽⁸⁾.

(1) وهو والد الوزير والكاظم أبي الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه في فارس.

ابن الأثير: ج8 ص92.

(2) مسكويه: ج5 ص278، ابن الأثير: ج8 ص92.

(3) وذلك لقرب عهدهم بصحبة عدوه "ماكان بن كاكي". النويري: نهاية الأرب ج24 ص278 (مخطوط).

(4) مسكويه: ج5 ص278، ابن الأثير: ج8 ص92. وكانت الكتب التي تصل إلى وشمكير تعرض أولاً على العميد، فيقف عليها، ثم يعرض على وشمكير جهلها، فلما علم العميد بكتاب مرداويج إلى أخيه، تقدم سراً إلى على بن بويه ليبادر بالإسراع إلى ولايته، وفي اليوم التالي عرض الرسالة على وشمكير، فأمر برد على بن بويه الذي كان على مرحلة بعيدة من الري. ابن الأثير: ج8 ص92.

(5) مسكويه: ج5 ص278، ابن الأثير: ج8 ص92.

(6) مقدار ما جباه منها خمسمائة ألف درهم.

(7) مسكويه: ج5 ص277-279، ابن الأثير: ج8 ص93.

(8) يذكر النويري: نهاية الأرب ج24 ص270 أن على بن بويه مكث بأصبهان شهراً ويذكر ابن الأثير: ج8 ص93، أنه جباها شهرين. أرجان: مدينة كبرى تقع على بعد ستين فرسخاً من شيراز والأهواز. يافوت الحموي: معجم البلدان ج1 ص180.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

وتوجه إلى أرجان⁽¹⁾ واستولى عليها سنة 321 هـ (933م) من غير حرب⁽²⁾، وجبى خراجها فبلغ جملة ما حصله منها مليوني درهم⁽³⁾، ولما خشى أن يجتمع عليه مرداويج وأخوه وشمكير اللذان اتفقا على محاربتة، استقر رأيه على الرحيل عن النوبندجان⁽⁴⁾ إلى اصطخر⁽⁵⁾ ومنها إلى البيضاء⁽⁶⁾، ثم دخل شيراز سنة 322 هـ / 934م⁽⁷⁾، وبذلك دانت له بلاد فارس بالولاء والطاعة⁽⁸⁾، كما تمكن أخوه أحمد ابن بويه من الاستيلاء على كرمان⁽⁹⁾.

لما نجح على بن بويه في بسط سلطته على إقليم فارس، أراد أن يضيف على تلك السلطة الصيغة الشرعية، فكتب إلى الخليفة الراضي بالله (322 - 329 هـ / 934 - 940م) ووزيره أبي على ابن مقله يعرفها أنه على الطاعة، ويطلب أن يقطع ما بيده من البلاد مقابل ألف ألف درهم⁽¹⁰⁾.

- (1) أرجان: مدينة كبرى تقع على بعد ستين فرسخًا من شيراز والأهواز. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج1 ص180.
- (2) ابن قد ذكر أبو الفدا: المختصر في أخبار الشر 2 ص83 أن ذلك سنة 320 هـ وهو خطأ واضح.
- (3) مسكويه: ج5 ص280، ابن الأثير: ج8 ص93. ويذكر ابن الجوزي: المنتظم ج6 ص270 أنه استخرج منها مائتي ألف دينار.
- (4) النوبندجان: مدينة بناحية أبوران في إقليم فارس ويقال لها أيضًا النوبنجان على بعد فرسخين من نداية شعب بوان الذي يعده العرب إحدى جنات الدنيا الأربع لسترنج: بلدان الخلافة ص300.
- (5) كان أبو طالب النوبندجاني قد أرسل إلى على بن بويه الرسائل يطلب منه الذهاب إلى شيراز، موضحة له أن النفوس نافرة من ياقوت وأن الناس قد استقبلوا وطأته لتهوره في جباية الأموال. مسكويه: ج5 ص280.
- (6) البيضاء: على مسافة ثمانية فراسخ من شيراز، وسميت البيضاء لبياض قلعتها، وينظمها الفرس (بيضا) ياقوت: معجم البلدان ج2 ص33، لسترنج: بلدان الخلافة ص316.
- (7) مسكويه: ج5 ص296، ابن الأثير: ج8 ص95.
- (8) مسكويه: ج5 ص299، ابن الأثير: ج8 ص95.
- (9) مسكويه: ج5 ص298 - 299، ابن الأثير: ج8 ص96 دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع مادة بويه.
- (10) ابن الأثير: ج8 ص95، العيني: عقد الجمان ج18 ص246 مخطوط بدار الكتب رقم 1584 وقد ذكر مسكويه: ج5 ص299، وابن الجوزي: المنتظم ج6 ص271 أن المبلغ المقاطع عليه ثمانية آلاف

لم يسع الخليفة الراضى إلا أن يجيب طلب على بن بويه، وأنفذ الوزير إليه اللواء و الخلع⁽¹⁾ في شوال سنة 322هـ (سبتمبر 934م) وأمر الرسول وهو أبو عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي⁽²⁾ ألا يسلم اللواء والخلع إلا بعد أن يتسلم المال المتفق عليه فلما قرب الرسول من شيراز، خرج إليه على بن بويه قبل أن يدخل شيراز، وطالب الرسول أن يسلم إليه الخلع واللواء، فسلمها إياه ولم يأخذ منه المال الذى وعد بأدائه⁽³⁾.

اتسع نفوذ على بن بويه حتى غدا في سنة 323هـ / 935م مسيطراً على مدينة شيراز، كما بسط نفوذه شمالاً حيث مدينة أرجان، وأصبح على مقربة من مناطق نفوذ مرداويج بن زيار (المقيم بأصبهان) وله بمدينة الأهواز - شمال أرجان - جيش كبير⁽⁴⁾.

وعلى أن مرداويج بن زيار ما لبث أن اغتيل سنة 323هـ (935م)⁽⁵⁾، على يد غلمانه الأتراك الذين كان يسيء معاملتهم ويفضل الديلم عليهم⁽⁶⁾، وكان من نتيجة قتل مرداويج أن اضطر جيشه بالأهواز إلى الانسحاب⁽⁷⁾، وتراجعت حامياته بعسكر مكرم⁽⁸⁾ وتستر⁽⁹⁾ وجنديسابور⁽¹⁾.

ألف درهم.

(1) ابن الجوزى: ج6 ص271.

(2) مسكويه: ج5 ص300.

(3) مسكويه: ج5 ص300. وما يذكر أن على بن بويه أخذ يباطل المالكي ويضرب له المواعيد حتى اعتل المالكي ومات سنة 323هـ ولم يدفع له على بن بويه من المال شيئاً. تجارب الأمم ج5 ص300.

(4) مسكويه: ج5 ص316.

(5) ابن طباطبا: الفخرى ص253، الكرديزى، زيب الأخبار ص153، ابن الأثير: ج8 ص99.

(6) ذكر الصول: أخبار الراضى والمتقى ص20، 21 أن رئيس الغلمان الأتراك كان يعرف "بجكم" وأن قتل مرداويج كان من تدبير ابن ياقوت.

(7) مسكويه: ج5 ص302.

(8) عسكر مكرم: مدينة من مدن الأهواز في إقليم الجبال، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص272.

(9) تستر: وتبعد ستين ميلاً شمال الأهواز. لسترنج: ص269.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

والسوس⁽²⁾، وأصبحت مدينة أصبهان خالية ليس هناك من يحميها أو يدافع عنها⁽³⁾.

انتهز ياقوت فرصة مقتل مرداويج وأراد الاستيلاء على الأهواز، واتجه إلى محاربة علي بن بويه، وفي الوقت نفسه أرسل على بن بويه أحد قادته من⁽⁴⁾ أرجان إلى رامهرمز⁽⁵⁾ يريد الأهواز، غير أنه ما لبث أن انسحب إلى أرجان⁽⁶⁾.

بقي ياقوت بقواته في عسكر مكرم حتى أتاه أبو عبد الله البريدي⁽⁷⁾، ثم زحفا نحو أرجان، وأتى على بن بويه⁽⁸⁾ بنفسه لمباشرة الحرب، حيث تم له النصر، وخيف على الأهواز منه، فراسله أبو عبد الله البريدي في طلب الصلح فاستجاب له، وكاتب الوزير أبا علي بن مقله فيما قرره من أمر الصلح فأمضاه، وعاد على بن بويه إلى شيراز، وغدا بذلك الحاكم الفعلي لتلك النواحي، حيث أرسل إليه اللواء والعهد⁽⁹⁾.

امتد نفوذ بني بويه على كثير من أرجاء فارس، فسار الحسن بن بويه إلى أصبهان، وتمكن من الاستيلاء عليها، وأزال عنها وعن بعض بلاد الجبل نواب وشمكير⁽¹⁰⁾، أما الأخ الثالث أحمد بن بويه، فقد اتجه إلى كرمان⁽¹¹⁾، وكان المتغلب عليها

(1) جنديسابور: وتقع على ثمانية فراسخ شمال غربي تستر. لسترنج: ص 273.

(2) السوس: في إقليم الجبال وهي سوسة القديمة قرب نهر كرخه. لسترنج: ص 274.

(3) مسكويه: ج 5 ص 316.

(4) مسكويه: ج 5 ص 303.

(5) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان عن مسيرة ثلاثة أيام من شرق الأهواز. ياقوت: ج 4 ص 212، لسترنج: بلدان الخلافة ص 278.

(6) مسكويه: ج 5 ص 303.

(7) قلد الخليفة الراضي ياقوت وبنه المظفر أعمال الحرب والمعاون بالأهواز وتولى كتابته أبو عبد الله محمد البريدي مضافة إلى ما إليه من أعمال الخراج والضياح بالأهواز، مسكويه: ج 5 ص 301، ابن الأثير: ج 8 ص 99.

(8) مسكويه: ج 5 ص 303.

(9) مسكويه: ج 5 ص 303، ابن الأثير: ج 8 ص 99.

(10) ابن الأثير: ج 8 ص 108.

(11) كرمان: ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، تقع مكران شرقيها وفارس

محمد بن إلياس بن إليس الصفدى، الذى اضطر إلى الرحيل إلى سجستان⁽¹⁾، وبذلك خلت كرمان لأحمد بن بويه⁽²⁾.

(ب) دخول بنى بويه بغداد:

سامت الأوضاع السياسية في العراق في الفترة الواقعة من سنة 324هـ حتى دخول بنى بويه بغداد سنة 334هـ / 945م، فقد عجز الوزراء في عهد الخليفة الراضى (322 - 329هـ / 934 - 940م) عن إدارة شئون البلاد، لازدياد نفوذ كبار القواد وتدخلهم في أمور الدولة، مما دعا الخليفة الراضى إلى استمالة محمد بن رائق وكان يلى واسط والبصرة وقلده الإمارة ورياسة الجيش، وجعله أمير الأمراء⁽³⁾، ورد إليه أعمال الخراج والضبايع وأعمال المعاون في جميع النواحي، وفوض إليه تدبير المملكة، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الممالك وأنفذ إليه اللواء والخلع⁽⁴⁾.

كان لهذا العمل الذى قام به الخليفة الراضى أثره على الوزارة، فبطل أمرها منذ يومئذ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين، ولا الأعمال، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط، وبطلت الدواوين. فكان ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها، وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء بعده، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون، وبطلت بيوت المال، وتغلب أصحاب الأطراف، وزالت عنهم الطاقة⁽⁵⁾.

وليس أدل على ضعف شأن الوزير في عهد الراضى، أن أمير الأمراء أصبح يتدخل في تعيين الوزراء وعزهم. فقد أشار ابن رائق إثر تقليده هذا المنصب على الخليفة الراضى بأن

غربيها وخراسان شمالها وبحر فارس جنوبها. ياقوت: جـ 7 ص 241.

(1) ابن الأثير: جـ 8 ص 113، النويرى: نهاية الأرب جـ 24 ص 275 (مخطوط).

(2) مسكويه: جـ 5 ص 353، ابن الأثير: جـ 8 ص 113.

(3) يبدو أن محمد بن رائق لم يكن أول من تلقب بأمير الأمراء فقد ذكر مسكويه: جـ 5 ص 188 أنه لما ظهرت الوحشة بين الخليفة المنتدر ومؤنس الخدم قلد هارون بن غريب إمرة الأمراء سنة 316هـ.

(4) مسكويه: جـ 5 ص 351.

(5) مسكويه: جـ 5 ص 352، ابن الأثير: جـ 8 ص 112.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

يولى الفضل بن جعفر بن الفرات الوزارة، حتى يصبح مطلق التصرف في أموال الدولة⁽¹⁾.

على أن نفوذ ابن رائق لم يلبث أن ضعف في سنة 326هـ من جراء منافسة الأمراء له، فقد حاربه أبو عبد الله البريدي صاحب الأهواز، كما خرج عليه أحد قواده واسمه (بجكم) ودخل بغداد سنة 327هـ وألّت إليه إمرة الأمراء واستولى بذلك على جميع شئون الدولة زهاء سنتين (327 - 329هـ) وقد وصف الصولي حالة بغداد في الوقت الذي تقلد فيه "بجكم" إمرة الأمراء فقال: إن العامة عاثوا في الأرض فساداً، وانقضوا على الخيامات العامة وأخذوا ثياب من فيها، وكثرت المصادرات، وتفاقم شر اللصوص، فهاجموا البيوت بالأسلحة، وشكا الناس بلا جدوى إلى "بجكم" ما أحله بهم أصحابه من بلاء وانتشرت القوضى والمنازعات وساءت حالة العراق، بحيث لم تنته هذه المصائب إلا بوفاة "بجكم"⁽²⁾.

أدى موت "بجكم" إلى اضطراب عسكره وضعفهم، وإلى تقوية البريديين، بانضمام الديلماليين الذين كانوا في صفوف "بجكم"، وتمكن أبو الحسين البريدي من دخول بغداد في جيش كثيف من الأتراك والديلم، واستولى على دار الخلافة، وصرف ابن ميمون عن الوزارة وأعمل السلب والنهب في دار الخلافة⁽³⁾، غير أن البريديين لم يستمروا طويلاً في بغداد فقد عاد الخليفة المتقي (329 - 333هـ / 940 - 944م) بعد ثلاثة أشهر وعشرين يوماً من الموصل إلى حاضرة خلافته في شوال سنة 330هـ (يونيو 942م) بصحبة ناصر الدولة بن حمدان أمير الأمراء الجديد وأخيه سيف الدولة بن حمدان⁽⁴⁾ ولم تتمتع بغداد في ظل الحمدانيين (330 - 331هـ) بالأمن والاستقرار، فقد كثرت بها اللصوص، وهاجموا دور الأغنياء، فضلاً عما فرضه ناصر الدولة من الضرائب، وارتفاع الأسعار⁽⁵⁾، كما أن ناصر

(1) السيرطي: تاريخ الخلفاء ص 26، (م 3 - الحياة السياسية).

(2) أخبار الرازي بالله والمتقي لله ص 133 - 135.

(3) مسكويه: ج 6 ص 9 - 11.

(4) الصولي: أخبار الرازي والمتقي ص 201 - 202، السيرطي: تاريخ الخلفاء ص 158، مطبة الحبي 1305هـ.

(5) مسكويه: ج 6 ص 28. خرج الخليفة من بغداد إلى الموصل بصحبة ابن رائق وهناك قتله ناصر الدولة ابن حمدان. ابن الأثير: ج 8 ص 135.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

الدولة استأثر بالسلطة دون الخليفة وأساء معاملته، وضيق عليه في نفقاته⁽¹⁾، ولم يحتفظ ابن حمدان بمنصبه طويلاً، فرحل إلى الموصل، وأتاح بذلك الفرصة للخليفة المتقي للاستئجار بتوزون التركي⁽²⁾.

دخل توزون⁽³⁾ أحد قواد الأتراك بغداد في رمضان سنة 331هـ (مايو 943م) بعد أن مهد له الخليفة المتقي ذلك، ولقبه أمير الأمراء خلفاً لناصر الدولة⁽⁴⁾ وكانت سياسة توزون ترمى إلى مصالحة البريديين في واسط والتفرغ لمحاربة الحمدانيين ولكن الخليفة لم يقره على هذه السياسة⁽⁵⁾.

على أن البريديين سرعان ما استولوا على واسط، فطردهم توزون منها، ثم استولى على تكريت⁽⁶⁾، واتخذ ابن شيرزاد - الذي هرب من لبريديين - كاتباً له، ثم سار ابن شيرزاد إلى بغداد ودخلها في المحرم سنة 332هـ⁽⁷⁾، فعزم الخليفة على الخروج من حاضرة خلافته⁽⁸⁾. يقول ابن الأثير في سبب الخلاف بين الخليفة المتقي وتوزون أمير الأمراء أن جماعة من حاشية المتقي كتبوا إلى ابن حمدان لينفذ إليه عسكرياً يسير بصحبة المتقي إليه، وقالوا للمتقي: قد رأيت ما فعل بك البريدي بالأمس، أخذ منك خمسمائة ألف دينار، وأخرجت على الأجناد مثلها، وقد ضمنك البريدي من توزون بخمسمائة ألف دينار أخرى زعم أنها في يدك من تركة "بجكم" وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلصك ويسلمك إلى البريدي، فنزعج لذلك (المتقي) وعزم على الذهاب إلى ابن

(1) الصولي: أخبار الرازي والمتقي ص 235 - 236.

(2) Muir: The caliphate. Its rise, Decline, and fall p. 513 (London 1915).

(3) وكان البريدي قد ولاه شرطة الجانب الشرقي من بغداد.

(4) مسكويه: ج 6 ص 25-27، ابن الأثير: ج 8 ص 134.

(5) مسكويه: ج 6 ص 41.

(6) الصولي: أخبار الرازي والمتقي ص 247.

(7) تكريت: مدينة على بعد ثلاثين ميلاً من شمال سامراء، على ضفة دجلة العربية، وكانت تعد آخر

مدينة في حد العراق. لسترنج: ص 81..

(8) الصولي: ص 244 - 245.

(9) المصدر نفسه: ص 247.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

حمدان⁽¹⁾ يقول السيوطي: "فسار المتقى بأهله إلى تكريت وخرج ناصر الدولة بجيش كبير من الأعراب والأكراد لقتال توزون فالتقى بعكبرا⁽²⁾، فانهزم ابن حمدان والخليفة إلى نصيبين⁽³⁾."

ولما اتصل بتوزون خبر هروب الخليفة من بغداد وتغيره عليه وعمله على التخلص منه، صالح البريدي، ثم قصد بغداد، وسار سيف الدولة الحمداني إلى تكريت حيث يقيم الخليفة، ولحق به أخوه ناصر الدولة بن حمدان، وعلى مقربة من تكريت وقعت الحرب بين الحمدانيين وتوزون التي انتهت بانتصاره عليهم، ثم سار الحمدانيون بصحبة الخليفة إلى الموصل⁽⁴⁾.

كان من أثر انتصار توزون على الحمدانيين في تكريت أن تشجع للمسير إلى الموصل لاستخلاصها منهم، وكتب إلى الخليفة يستميله، فلم يصغ إليه الخليفة لأنه لم يكن يثق به، وسار الحمدانيون بصحبة الثقي إلى نصيبين، ثم سار الخليفة إلى الرقة، ولحق به سيف الدولة، وأرسل المتقى إلى توزون، يذكر أنه استوحش منه لاتصاله بالبريدي، وأنها صارا يذًا واحدة، فإن أثر رضاه يصالح سيف الدولة وناصر الدولة ليعود إلى بغداد ... فتم الصلح وعقد الضمان على ناصر الدولة لما بيده من البلاد ثلاث سنين على أن يدفع في كل سنة ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم⁽⁵⁾.

لم تكن أحداث العراق خافية عن أحمد بن بويه، فسار جيشه إلى واسط واستولى عليها، ولما علم بذلك توزون صالح ناصر الدولة، وعاد مسرعًا إلى بغداد⁽⁶⁾ لمواجهة أحمد بن بويه، الذي كان يعد العدة للزحف على بغداد في ذى القعدة سنة 332هـ (يونة / يولة

(1) الكامل: ج8 ص142.

(2) تاريخ الخلفاء ص262.

(3) عكبرا: بضم العين وتسكين الكاف وفتح الباء: بليدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد شوالاً عشرة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج6 ص203.

(4) الصولي: أخبار الرضا والمتقى ص252-255، ابن الأثير: ج8 ص144.

(5) ابن الأثير: ج8 ص144.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام ج19 ص78 (مخطوط).

944م⁽¹⁾، وعلى الرغم من أنه بلغ مشارف بغداد، وكاد أن يستولى عليها بعد عدة معارك، إلا أنه اضطر إلى الانسحاب إلى الأهواز⁽²⁾.

ويبدو أن أحمد بن بويه إنما قصد بغداد بناء على دعوة من الخليفة المتقي الذي راسله حين كان في واسط⁽³⁾، وقد كشف الصولي عن مكاتبات دارت بينهما، فذكر أنه لما وصلت جيوش أحمد ابن بويه إلى بغداد سنة 332هـ، كانت رسائل المتقي إليه تتلى على الناس، وفيها يحث الخليفة المتقي الأمير البويهى على السير إلى بغداد⁽⁴⁾.

لم تلبث الأمور أن تطورت لصالح بنى بويه، بعد أن خلت بغداد عن استطيعون الوقوف في وجههم، فقد قتل "بجكم" سنة 329هـ، ولحق به ابن رائق في السنة التالية، وفي سنة 332هـ توفي أبو عبد الله البريدي⁽⁵⁾، وقد اختلقت الكلمة بعده على الرياسة بين أخيه أبى الحسين وولده أبى القاسم، ثم انعقدت الرياسة لأخيه، إلا أنه لم يلبث أن خلعه الجنود، ونصبوا مكانه ابن أخيه أبى القاسم، فاستجار بالقرامطة، الذين قدموا معه إلى البصرة، ولما لم يستطيعوا هزيمة أبى القاسم، عقدوا بينه وبين عمه صلحاً⁽⁶⁾.

أما فيما يتعلق بالخليفة المتقي، فإنه لما أحس بضجر بنى حمدان من إقامته بالموصل أرسل إلى توزون في طلب الصلح، كما كاتب ابن طفج الإخشيد (والى مصر) شاكياً حاله، واستقدمه، فأتى إليه والتقى في الرقة⁽⁷⁾. وعرض الإخشيد على الخليفة أن يأتي معه إلى مصر، لكن الخليفة مال إلى مصالحة توزون، بعد أن تعهد بحمايته، وعاد المتقي إلى بغداد، ورجع الإخشيد إلى مصر في منتصف المحرم سنة 333هـ (سبتمبر 944م)⁽⁸⁾ غير أن توزون

(1) الصولي: أخبار الراضى والمتقى ص 261.

(2) الصولي: المصدر نفسه ص 261، ابن الأثير: ج 8 ص 119 - 120.

(3) الصولي: أخبار الراضى والمتقى ص 263 - 263.

(4) المصدر نفسه: ص 258 - 259.

(5) مسكويه: ج 6 ص 58.

(6) ابن الأثير: ج 8 ص 145.

(7) الرقة: تقع فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال إلى الفرات، قال عنها المقدس أنها قصبة ديار

مضر. أحسن التقاسيم ص 141، لسترنج: ص 132 - 133.

(8) مسكويه: ج 6 ص 67 - 68، ابن الأثير: ج 8 ص 148 - 149.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

لم يلبث أن قبض على الخليفة وسلمه وأحضر أبا القاسم عبد الله بن المكتفى ولقبه المستكفى بالله⁽¹⁾.

ظل توزون مستأثراً بالسلطة دون الخليفة العباسي إلى أن توفي ببغداد في المحرم سنة 333هـ وخلفه في إمرة الأمراء كاتبه أبو جعفر ابن شيرزاد⁽²⁾، الذي لم يستطع أن يدير الأمور لفساد الأحوال في بغداد، فزاد في أرزاق الجند زيادة كثيرة ضاقت بها موارده، وأخذ في المصادرات، وفرض على الكتاب والعمال والتجار وسائر طبقات الناس مالا لأرزاق الجند، كما أثقل كاهل التجار بالضرائب، حتى اضطروا إلى الهرب من بغداد⁽³⁾.

شجعت الأحداث التي كانت تجري في بغداد أحمد بن بويه على معاودة الكرة لدخول بغداد، فكتب "ينال كوشه"⁽⁴⁾ - الذي كان يتولى أعمال واسط - والقواد في بغداد إلى أحمد بن بويه يطلبون إليه المسير للاستيلاء على الأمور في بغداد، بعد أن ضاقوا بتنافس الأمراء وتدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق، فسار أحمد بن بويه من الأهواز إلى بغداد، فاضطرب الأتراك وعبروا دجلة إلى الجانب الشرقي، وساروا إلى الموصل وبقي الديلم في بغداد⁽⁵⁾.

نزل أحمد بن بويه بباب الشاسية في الجانب الشرقي من بغداد يوم السبت الحدى عشر من جمادى الأولى سنة 334هـ (يناير 946م)⁽⁶⁾، فبعث إليه الخليفة الإمدادات والتحف⁽⁷⁾، وأرسل أحد رجاله وهو أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى، فاجتمع بابن

(1) ابن الأثير: ج8 ص148 - 149.

(2) مسكويه: ج6 ص82، ابن الأثير: ج8 ص160، ابن عبري: تاريخ مختصر الدول ص289.

(3) مسكويه: ج6 ص83 - 84.

(4) ينال كوشه: أحد الغلمان الأتراك، وكان ابن شيرزاد قد عينه حاكم على واسط. مسكويه: ج6 ص84، ابن الأثير: ج8 ص160، ابن خلدون: العبر ج3 ص420.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام ج19 ص91 (مخطوط) ابن الحوزي: المتظم ج6 ص340.

(6) المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول القسم الأول ص27 تحقيق ريادة طبعة 1956، العينى: عقد الجمان: ج19 ص27 (مخطوط).

(7) الذهبي: ج19 ص91، العينى: ج19 ص27.

شيرزاد وفاوضه، ثم قصد دار الخلافة، وقابل المستكفي بالله، فأظهر المستكفي سرورًا بقدوم أحمد بن بويه⁽¹⁾.

قابل أحمد بن بويه الخليفة المستكفي في اليوم التالي، وأخذت عليه البيعة له، واستحلفه بأغلظ الأيمان، ثم لبس أحمد خلع الخليفة، وعقد له لواء إمرة الأمراء ولقبه "معز الدولة" ولقب أخاه عليًا "عماد الدولة" ولقب الحسن "ركن الدولة" وأمر أن تنقش ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم⁽²⁾.

(1) مسكويه: ج6 ص85.

(2) مسكويه: ج6 ص85، ابن الأثير: ج8 ص161، الذهبي: تاريخ الإسلام ج19 ص91 (مخطوط)، العيني: عقد الجمان ج19 ص27 (مخطوط).

الدولة الحمدانية في الموصل

ظهر الحمدانيون في منطقة الجزيرة سنة 281هـ / 894م حينما استولى حمدان بن حمدون⁽¹⁾ على ماردین، غير أن الخليفة المعتضد ما لبث أن أخرجه منها⁽²⁾. ورغم ذلك واصل الحمدانيون جهودهم لتوسيع نفوذهم في الجزيرة، مما حمل الخلافة العباسية على الاستعانة بهم في حكم هذه المنطقة، فعين المكتفي أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان حاكمًا على الموصل ونواحيها سنة 293هـ، كما استعان الخليفة بابنه الحسن بن عبد الله بن حمدان في القضاء على ثورات القرامطة في منطقة الجزيرة وبلاد الشام، ونجح في ذلك⁽³⁾.

لم يحاول الخليفة المقتدر (295 - 320هـ / 908 - 932م) صرف الحمدانيين عن ولاية إقليم الموصل بعد مقتل أبيهم⁽⁴⁾، ولما ولى المتقي لله الخلافة (329 - 333هـ / 940 - 944م) سطع نجم بني حمدان في أفق الدولة العباسية. فقد خلع الخليفة على الحسن بن عبد

(1) لم يظهر اسم حمدان بن حمدون على مسرح السياسة للدولة العباسية إلا سنة 254هـ / 868م حينما قام مساور بن عبد الحميد الشاري، وهو من الخوارج، بالاستيلاء على الموصل، فتصدى له الس بن أيوب التغلب، يشد من أزره حمدان بن حمدون مع هارون الشاري، ودخلا الموصل فاتحين، غير أن حالة الموصل تقلق الخلافة العباسية، ويزداد خطره، فيخرج إليه الخليفة المعتضد سنة 281هـ فيسترد منه الموصل ويحتل قلعة ماردین، ويضيق عليه السبل حتى يسلم نفسه إليه فيوضع في السجن. ابن الأثير: ج7 ص66، 151، الطبري: حوادث سنة 281هـ، 282هـ.

(2) الطبري: الأمم والملوك ج13 ص2141، بيروت 1965.

(3) عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري ص6 - 8.

(4) قتل أبي الهيجاء بعد اشتراكه في المؤامرة التي هدفت إلى خلع المقتدر وتنصيب الفاهر سنة 317هـ.

غريب بن سعد: نفس المصدر ص74.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

الله الحمداني ولقبه "ناصر الدولة"⁽¹⁾، كما خلع على أخيه أبي الحسين ولقبه "سيف الدولة"⁽²⁾.

ولى ناصر الدولة إمرة الأمراء في بغداد سنة 330هـ / 941م⁽³⁾، ولكنه لم يستطع أن يقر النظام بها، فرحل عن بغداد إلى الموصل في السنة التالية⁽⁴⁾، وبذلك مهد السبيل لدخول توزون بغداد⁽⁵⁾ بعد انتصاره على البريد بين واسط والبصرة⁽⁶⁾.

ولما رحل ناصر الدولة إلى الموصل، اتفق مع توزون على أن تكون الأعمال في مدينة الموصل إلى أعلى الشام خاضعة له، وأن تكون أعمال السن⁽⁷⁾ إلى البصرة لتوزون وما يفتحه من وراء ذلك، وألا يعرض أحد منها لعمل الآخر⁽⁸⁾، لكنهما ما لبثا أن فوجئا بعد هذا الاتفاق بتقدم جيوش الديلم من الشرق ودخول بني بويه بغداد⁽⁹⁾.

لما استقرت الأمور لمعز الدولة بن بويه في بغداد، رأى أن دولة الحمدانيين في الموصل تشكل خطراً عليه، ومن ثم قامت الحرب بين معز الدولة بن بويه (ومعه الخليفة المطيع لله)⁽¹⁰⁾ وناصر الدولة بن حمدان عند عكبرا⁽¹¹⁾ في سنة 334هـ وفوجئ معز الدولة

(1) دخل البريديون بغداد سنة 330هـ وفر الخليفة إلى الموصل مع أمير الأمراء محمد بن رائق، وتمكن الحسن بن حمدان من إعادة الخليفة إلى بغداد بعد فرار البريديين منها. ابن الأثير: ج8 ص135-136.

(2) ابن الأثير: نفس المصدر والصفحة، المسعودي: مروج الذهب ج2 ص376.

(3) يذكر ابن الأثير: ج8 ص143 أن ناصر الدولة تمكن هو وأخوه سيف الدولة من الانتصار على البريديين في عدة مواقع.

(4) أبو بكر الصولي: أخبار الرضا والمتقى ص240، 242. فقد قامت الوحشة بين الخليفة المتقى وناصر الدولة بسبب تضيق ناصر على الخليفة في نفقاته واتزاعه ضياعه، وعزم ناصر الدولة على الرحيل إلى الموصل ورفض طلب الخليفة بالانتظار ريثما يستعد للرحيل معه.

(5) الصولي: المصدر نفسه.

(6) Muir: The caliphate. P. 583.

ويبرر ميورترك الحمدانيين بغداد بعدم استطاعتهم فرص نفوذهم على الأتراك في بغداد التي أصبحت مرعى خصياً للغزوى ومصادرة الأهالي

(7) السن: بلدة على ميل تحت ملقى الراب الأسفل بدجلة. لسترنج: بلدان الخلافة ص120.

(8) ابن العديم: زبدة الخلف في تاريخ حلب ج1 ص104 (تحقيق د. سامي الدهان دمشق 1901م).

(9) مسكويه: ج6 ص85، ابن الأثير: ج8 ص161.

(10) ابن الجوزي: المنتظم ج6 ص265.

(11) مسكويه: ج6 ص89، ابن الأثير: ج8 ص162.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

بانصراف ابن شيرزاد عنه راجعاً إلى بغداد مع أبي العطف جبير بن عبد الله بن حمدان ابن أخى ناصر الدولة، فتخرج موقف معز الدولة الذى لم ييأس وسار إلى تكريت فنهبها⁽¹⁾، ثم عبر مع قواته إلى الجانب الغربى من دجلة وتقدموا إلى بغداد وبيازاتهم على الشاطئ الشرقى لناصر الدولة بن حمدان وجنوده الأتراك⁽²⁾.

استطاع معز الدولة أن ينجذ ناصر الدولة وجيشه بانضمام جماعة من جنده مستأمنين إلى ناصر الدولة، لكنهم ما لبثوا أن انقلبوا على جيش ناصر الدولة وأوقعوا به الهزيمة⁽³⁾، فعهد ناصر الدولة إلى فرض الحصار على معز الدولة وجيشه لإرغامه على الاستسلام، فمنع عنه الميرة والعلف، حتى ندرت الأقوات بالجانب الغربى واشتد الغلاء، سنياً نعم أهل الجانب الشرقى برخص الأسعار⁽⁴⁾.

لجأ معز الدولة إلى خديعة ناصر الدولة مرة ثانية عندما قام بتقسيم جيشه للعبور إلى الجانب الشرقى⁽⁵⁾، فعهد إلى وزيره أبى جعفر الصيمرى وإلى خاله أصفهدوست الديلمى بالعبور من موضع يقال له "الشانين"، وأظهر أنه يريد العبور من جهة "قطربل" في الشمال لغربى من بغداد، ولما علم بعبور أصحابه عاد إلى مكانه الأول، ونقل بقية جيشه إلى الجانب الشرقى، بعد أن أوقع الاضطراب والفوضى في جيش ناصر الدولة وأجأه إلى الفرار⁽⁶⁾ إلى عكبرا، فلما استقر بها راسل معز الدولة يلتصق بالصلح في المحرم سنة 335هـ (سبتمبر 946م)، ولما علم الأتراك بما فعله ناصر الدولة ناروا عليه، وحاولوا الفتك به، فهرب منهم إلى الموصل، ثم استقر الصلح بينه وبين معز الدولة سنة 335هـ⁽⁷⁾، على أن يكون لناصر الدولة من حد تكريت إلى الشمال، على ألا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً مما كان يحملة من المال، وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والفاء به⁽⁸⁾.

(1) لأن كانت لناصر الدولة. مسكويه: ج6 ص 89 - 90.

(2) المصدر نفسه ج6 ص 90.

(3) المصدر نفسه.

(4) مسكويه: ج6 ص 91 - 93، ابن الأثير: ج8 ص 162.

(5) مسكويه: ج6 ص 92 - 93.

(6) المصدر نفسه ص 93 - 94.

(7) مسكويه: ج6 ص 94، ابن الأثير: ج8 ص 163.

(8) مسكويه: ج6 ص 108.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

على أن معز الدولة ما لبث في سنة 337هـ أن سار قاصداً الموصل لمحاربة الحمدانيين. فلما علم بذلك ناصر الدولة رحل عن الموصل إلى نصيبين⁽¹⁾ فملكها معز الدولة وأخذ أموال أهلها⁽²⁾، وأراد معز الدولة أن يستولى على جميع بلاد ناصر الدولة، لكنه شغل بمد أخيه ركن الدولة بالعساكر، واضطر إلى مصالحة ناصر الدولة، واستقر الصلح بينهم على أن يؤدي ناصر الدولة عن الموصل وديار مضر والرجة والشام في كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم، ويقيم الخطبة في بلاده لعهد الدولة وعز الدولة ويختار بن معز الدولة⁽³⁾، وضماناً لتنفيذ شروط الصلح أخذ معز الدولة معه الفضل والحسين ابنا ناصر الدولة رهينة، وعاد إلى بغداد في ذي الحجة سنة 337هـ (يونيه 949م)⁽⁴⁾.

وفي سنة 345هـ انتهز ناصر الدولة فرصة تمرد روزبهان الديلمي - أحد قواد معز الدولة - فأرسل ابنه أبا المرجى جابر ومعه أحد إخوته إلى بغداد، فلما علم الخليفة المطيع بتقدم الحمدانيين خرج من بغداد ولحق بمعز الدولة في واسط، فأرسل معز الدولة الحاجب سبكتكين من واسط إلى بغداد لحفظها ومنع الحمدانيين من دخولها، وبعد أن هزم معز الدولة روزبهان وأسرهم، عاد إلى بغداد وعهد إلى سبكتكين بمطاردة أبي المرجى الذي رحل إلى الموصل، وفي العام التالي (346هـ) سار معز الدولة إلى الموصل، فأرسل إليه ناصر الدولة يطلب الصلح على ألف ألف درهم في السنة، فرضى معز الدولة بذلك⁽⁵⁾، غير أن ناصر الدولة فسر رضاه بمعز الدولة بالصلح بعدم مقدرته على محاربته، فامتنع عن أداء المال المطلوب منه⁽⁶⁾، ورأى معز الدولة في سنة 347هـ أن يتجهز للسير إلى الموصل، فأرسل إليه ناصر الدولة يترصاه، فرد عليه معز الدولة بكتاب توعد فيه وهدهد بالمسير إلى بلاده⁽⁷⁾، فكان من نتيجة ذلك أن اتفق ناصر الدولة مع معز الدولة على أن يعجل له بدفع ألفي ألف درهم، ويتعهد بدفع مثلها كل سنة، غير أن ناصر الدولة عاد إلى

(1) نصيبين: من أعظم مدن الجزيرة، تقوم في أعلى نهر الفرات لسترنج: بلدان الخلافة ص 124.

(2) ابن الأثير: ج 8 ص 171 - 172، وكان ذلك في رمضان سنة 337هـ (مارس 949م).

(3) مسكويه: ج 6 ص 115، ابن الأثير: ج 8 ص 172.

(4) المصدران السابقان.

(5) انظر ابن الأثير: ج 8 ص 185 - 186.

(6) انظر ابن الأثير: ج 8 ص 187.

(7) مسكويه: ج 6 ص 169.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

العصيان، واتبع أسلوبًا جديدًا في محاربة ناصر الدولة، بأن أخلى له مدينة الموصل من الأموال والمواد الغذائية، ومنع دخول الطعام والعلف إليها، ومنع من يخرج منها لطلب ذلك⁽¹⁾، كذلك لجأ إلى الخديعة ليَجبر معز الدولة على الرحيل عن ممتلكاته، فأمر بتسريح جيشه وصرفه، وانسحب هو إلى أخيه سيف الدولة بحلب، بعد أن انضم جيشه إلى معز الدولة، فكان من نتيجة ذلك أن الأمور لم تستقر لمعز الدولة، بسبب مضايقة أبناء ناصر الدولة، وإغارات الأعراب، فضلًا عن حاجته إلى المال ليتفقه في جيشه⁽²⁾.

أراد معز الدولة الخروج من ضائقته المالية، فأرسل إلى كافور الأخشيدي في مصر يطلب إرسال مال إليه، فرد كافور رسوله خائبًا⁽³⁾، ووجد ناصر الدولة الفرصة مواتية للصلح، وتوسط في ذلك أخوه سيف الدولة الحمداني، وعرض على معز الدولة أن يقوم بضمان البلاد نيابة عن أخيه، فتم الصلح في محرم سنة 348هـ (مارس 959م)، وعقد الضمان على سيف الدولة على الموصل وديار ربيعة بألف درهم وتسعمائة ألف درهم في السنة⁽⁴⁾.

استمر السلام بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة بعد عقد هذا الصلح خمس سنوات، فلما تأخر ناصر الدولة في أداء ما عليه من الأموال حتى سنة 353هـ أرسل إلى معز الدولة يطلب تعديل شروط الصلح، على أن يؤدي ما عليه عن سنتي 353، 354هـ ألفي ألف درهم يعجل منها مائتي ألف درهم، والباقي يقسط على ثلاث سنوات، فرضي معز الدولة بذلك، وعرض ناصر الدولة أن يزيد في مال الضمان عشرة آلاف دينار مقابل

(1) نفس المصدر ص 171.

(2) نفس المصدر ص 175.

(3) كان كافور يربح في إخراج مركز معز الدولة فأغفر رسوله مدة وبث جواسيسه ليتعرف أخبار معز الدولة حتى إذا ما جاءته الأخبار بأنه تخلص من وطرته سارع إلى إبدائه بالمال بمجاملة له واستيقاء لصدائقه، أما إذا جاءته الأخبار باستمرار حالة الضيق ضمن عليه بالمال إجهادًا عليه. مسكويه: ج 6 ص 172.

(4) مسكويه: ج 6 ص 174 - 175. الذهبي: تاريخ الإسلام حوادث سنة 347هـ (مخطوط)، ويعلل ابن الأثير إجابة معز الدولة ناصر الدولة إلى الصلح بعد تمكنه من البلاد أن الأموال ضاقت عليه، وتقاعد الناس في حمل الخراج بحجة عدم تمكنهم من الوصول إلى غلاتهم وطلبهم الحماية من الأعراب أصحاب ناصر الدولة، فأنف معز الدولة من ذلك. الكمال: ج 8 ص 188 - 189.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

أن يشترك معه ابنه أبو تغلب فضل الله الغضنفر في الضمان وأن يخلف لها معز الدولة على ذلك⁽¹⁾، فأبى معز الدولة قبول هذا الشرط خشية أن يكون ذلك بمثابة اعتراف منه بشرعية اشتراك أبي تغلب مع أبيه في الحكم، ومعهذا لولايته الحكم بعده⁽²⁾.

لم يكد معز الدولة يعلن رفض هذا الاقتراح حتى وصل إليه المبلغ الذي اتفق على تعجيله في جمادى الآخرة سنة 353هـ (يونيه 964م) ويبدو أن ناصر الدولة لم يصل إلى علمه وقت إرسال الأموال بفشل "الباهلي" رسوله في مفاوضات زيادة الضمان مقابل اشتراك أبي تغلب معه في الحكم، وتأهب معز الدولة للمسير إلى الموصل للقضاء على ناصر الدولة إذ أدرك من غاياته أنه يرمى إلى توسيع سلطانه، وجعل الحكم وراثيًا في أبنائه، غير أن ناصر الدولة رحل إلى نصيب، ودخل معز الدولة الموصل في شعبان سنة 353هـ (أغسطس 964م)، ثم بارحها إلى "بلد" ثم توجه إلى الموصل خوفًا من أن يكون ناصر الدولة قد عزم على الرجوع إليها⁽³⁾.

كان أبو تغلب واخوته أبناء ناصر الدولة قد دخلوا الموصل في غياب معز الدولة عنها، ووقع بينهم وبين أصحابه قتال شديد، لكنهم هزموا ولم يتمكنوا من الاستيلاء على هذه المدينة، فانصرفوا عنها، بعد أن أحرقوا السفن التي كانت لمعز الدولة وأصحابه في دجلة، كما أحرقوا السفن التي كانت لهم في "بلد"، وسر معز الدولة هزيمة أبناء ناصر الدولة وأقام برقعيد⁽⁴⁾ يتلمس أخبار ناصر الدولة، ولما بلغه أنه نزل بجزيرة ابن عمر سار إليها، وفي الطريق لحق به حمدان ابن ناصر الدولة مستأمنًا إليه⁽⁵⁾ كما قدم عليه في "بلد" أبو الهيجاء حرب بن أبي حمدان طالبًا الأمان وساروا جميعًا إلى نصيبين، وفيها جاء أبو جعفر العلوي النصيبيني برسالة من ناصر الدولة يلتزم فيها الصلح، فلم يجبه إلى طلبه وفي هذا الوقت كان أبو تغلب قد وصل إلى الموصل غير أنه اضطر إلى تركها بعد أن أبلغه قدوم

(1) مسكويه ج6 ص204.

(2) عبد الحميد على عثمان عبيد. الحمدانيون في الموصل وحلب ص65، رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة.

(3) مسكويه: ج6 ص204، 205، عقد الجمان: حوادث سنة 353هـ ص171.

(4) برقعيد: بلدة كبيرة على طريق نصيبين مما يلي ناعيناثا، ويضرب المثل بأهل برقعيد في اللصوصية. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص130.

(5) مسكويه: ج6 ص205.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

معز الدولة إليها وتصميمه على عدم مغادرتها إلا بعد إخضاعهم وتوقيع صلح يحقق رغباته، فكان ذلك مما جعل أبا تغلب على أن يرسل إليه يلتزم منه الصلح، واستقر الرأي بعد تبادل المراسلات بينهما على أن يتولى أبو تغلب الموصل وديار ربيعة ولرحة والبلاد التي كان والده يدير شئونها مقابل أدائه ستة آلاف ألف ومائتي ألف درهم في السنة ابتداء من سنة 354هـ إلى سنة 357هـ وأن يدفع أبو تغلب عن بقايا سنة 353هـ ستائة ألف درهم معجلة وأن يطلق سراح الأسرى الذين وقعوا في أيديهم ويرسلوهم إلى الحديثة⁽¹⁾ عند وصول معز الدولة إليها⁽²⁾.

دب الخلاف بين أفراد البيت الحمداني، حينما رأى بعضهم مهاجمة البويهيين في العراق بعد وفاة معز الدولة سنة 356هـ (967م)⁽³⁾، وتولية ابنه عز الدولة بختيار بسبب ما بلغهم من سوء سياسته⁽⁴⁾، لكن والدهم ناصر الدولة نصحهم بالثريث وقال لهم: "لا تعجلوا، فإن معز الدولة قد خلف لابنه شيئاً من المال سيفرقه على جنده ولستم بمستظهرين عليه، ولا متمكنين من دولته، إلا بعد أن تفنى حيله، وتخلوا يده من المال، فإذا كان ذلك فسيروا إليه، وكاثروه بالمال، وأفسدوا عليه قلوب الرجال، فإنكم تملكونه لا محالة"⁽⁵⁾، غير أن هذا القول لم يلق قبولاً من أبناء ناصر الدولة، واختلفت كلمتهم، وأدى هذا الخلاف بينهم إلى القبض على ناصر الدولة وسجنه سنة 356هـ⁽⁶⁾.

عمد أبو تغلب إلى مداراة عز الدولة بختيار وتحديد عقد الضمان معه والتماس العهد والخلع، ليستظهر بذلك على إخوته المخالفين، فأرسل لذلك كاتبه أبا الحسن على بن

(1) الحديثة. على درسخ فوق ملتقى الزاب الأعلى وتسمى حديثه الموصل تمييزاً لها عن حديثه النمرات. لسترنج: بلدان الخلافة ص 119.

(2) مسكويه: ج6 ص 206.

(3) توفي معز الدولة 27 ربيع الأول سنة 356هـ (14 فبراير 967م).

(4) ابن الأثير: ج8 ص 208.

(5) راجع تحارب الأمم ج6 ص 238، ابن الأثير: ج8 ص 208.

(6) سجن ناصر الدولة في قلعة أردمنت في 24 جمادى الأولى سنة 356هـ (9 مايو 967م) ثم لم يلبث أن نقل إلى قلعة كواش حينما حاول ناصر الدولة الخروج من الأسر بعد أن وقع الكتاب الذي أرسله إلى ابنه حمدان في يد إخوته. مسكويه: ج6 ص 255، ابن كثير: البداية والنهاية، ج11 ص 267.

عمرو بن ميمون إلى بغداد لتجديد عقد الضمان مقابل ألف ألف ومائتي ألف درهم⁽¹⁾، أما حمدان بن ناصر الدولة، فسار بعد وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة إلى الرقة، واستولى عليها، ثم خرج منها إلى نصيبين وضمها إلى حوزته، ولما علم بالقبض على والده عظم ذلك عليه، وغضب لما وقع من إخوته، فجمع من أطاعه من أهله وإخوته، وطالب أبا تغلب وإخوته بالإفراج عن أبيهم، واشتبك الأخوان في قتال لم ترجح فيه كفة أحدهما على الآخر. ثم اصطلحا، وعاد كل منهما إلى بلاده، غير أن أبا تغلب أساء معاملة أخيه حمدان، وصادر ضياعه، ثم أرسل إليه أخاه أبا البركات لمحاربته، فلم اقترب منه طلب معظم أصحاب حمدان الأمان، مما اضطر حمدان إلى الخروج من بلاده منهزماً والمسير بأولاده ونسائه مستأمنين إلى عز الدولة بختيار في شهر رمضان سنة 258هـ (يوليه 968م) فأكرم وفادته وتوسط في الصلح بينه وبين أخيه، وأرسل النقيب أحمد الموسوي والد الشريف الرضي سفيراً في الصلح بين ولدي ناصر الدولة، حيث تم الصلح بين الأخوين وعاد حمدان إلى الرحبة⁽²⁾، ثم تجدد النزاع في عنف وشدة بين أبي تغلب وحمدان واضطر حمدان إلى السير إلى بغداد لاجئاً من جديد إلى عز الدولة بختيار⁽³⁾.

كان أبو تغلب ينقم على البوهيين لازدياد نفوذهم، ويرجو إزالة سلطانهم في العراق، فلما قصد بختيار بلاد الموصل لمعاونة حمدان عليه، انتهز فرصة ابتعاد بختيار عن بغداد وخلوها من جنده وقصدها وكاد يستولى عليها، غير أن الحرب بينهما انتهت بإقرار الصلح سنة 363هـ على أن يضمن أبو تغلب البلاد على ما كانت معه، وأن يطلق اختيار ثلاثة آلاف "كر" غلة عوضاً عن مؤنة سفره، وأن يرد على أخيه حمدان أملاكه وإقطاعه⁽⁴⁾، ولما ولي عضد الدولة أمور العراق، واستولى على الموصل وديار ربيعة وديار مصر سنة 368هـ ساءت العلاقة بينه وبين أبي تغلب⁽⁵⁾ الذي عول على قصد دمشق، بعد

(1) ابن الأثير: ج8 ص208.

(2) الرحبة: تقع بين الرقة وبغداد على قرب نهر يقال له سعيد كان يخرج من يمين الفرات جنوبي قرقسياء، لسترنج: بلدان الخلافة ص137.

(3) ابن الأثير: ج8 ص213 - 214.

(4) نفس المصدر: ص226 - 228.

(5) فقد رفض عضد الدولة إجابة طلبه في ضياد بلاده. ابن العميد: تاريخ المسلمين ص236 - 237، ابن الأثير: ج8 ص250 - 253.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

أن فقد بلاده فامتنعت عليه، وتصدى له "دغفل بن مفرج الطائي" (أمير الرملة) والفضل بن صالح قائد جيش العزيز بالله الفاطمي بدمشق وأحلا به الهزيمة في صفر سنة 369هـ (أغسطس 979م)⁽¹⁾.

على أن الحمدانيين ما لبثوا أن استعادوا الموصل وما يليها من البلاد في سنة 379هـ على يد أبي طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة وأخيه أبي عبد الله الحسين⁽²⁾، لكنهم لم يبقوا فيها أكثر من سنة، فقد طمع الأكراد في إزالة دولتهم، وعلى الرغم من قتل "باز الكردي" أحد زعمائهم فإن ابن أخته أبا عيسى بن مروان تمكن من الانتصار على أبي عبد الله الحسين أخى أبي تغلب بن ناصر الدولة⁽³⁾، وفي سنة 380هـ (990م) قتل أبو الدرداء محمد بن المسيب أمير بني عقيل⁽⁴⁾، أبا طاهر بن ناصر الدولة واستولى على الموصل، فأقره بهاء الدولة البويهي عليها. وبذلك زال سلطان الحمدانيين نهائياً من الموصل وحلت محلها دولة العقيليين⁽⁵⁾ التي ظلت قائمة حتى سنة 489هـ.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج1 ص141.

(2) أبو شعجاع: ذيل تجارب الأمم ص174 - 175.

(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج3 ص209.

(4) كان بنو عقيل من رعايا الحمدانيين، يؤدون إليهم الإتاوة ويخرجون معهم في الحروب ولكن سرعان ما تطلعون إلى السيطرة على الموصل، بعد أن تطرق الضعف إلى دولة بني همدان. خاشع المعاصيدي: دولة بني عقيل في الموصل ص50 - 51.

(5) أبو شعجاع: ذيل تجارب الأمم ص178 - 179، استولى أبو الدرداء من الحمدانيين سنة 279هـ على مدينتي نصيبين وبلد وضم إليهما الموصل سنة 380هـ ولكنه طرد منها على يد بني بويه سنة 381هـ إلى أن استولى أخوه المقلد بن المسيب على الموصل سنة 386هـ وأقره بهاء الدولة على هذه البلاد وما يليها.

Lauro poole: Muhammadan Dynasties pp. 116-117.

الدولة السامانية

تنسب السامانيون إلى أسرة فارسية عريقة في المجد، برجع أصلها إلى بهرام جوين⁽¹⁾ الذي يعتبر من أنجب أبناء فارس⁽²⁾.

اتصل سامان⁽³⁾ - جد هذه الأسرة - بالدولة الإسلامية في عهد هشام بن عبد الملك. فوفد على "أسد بن عبد الله القسري"⁽⁴⁾ والي خراسان، واعتنق الإسلام على يديه، وسمى ابنه أسدًا ترمكًا به⁽⁵⁾.

ظهر أولاد أسد بن سامان في عهد الخليفة المأمون الذي عرف منزلتهم⁽⁶⁾، فولى

(1) ذكر ياقوت الحموي أن السامانيين ينسبون إلى بهرام جور. معجم البلدان ج5، ص12 ودهب ابن الأثير: الكامل ج7، ص99، والسمعاني: الأنساب ورقة رقم 286 (مخطوط) والكرديزي: زين الأخبار ص145 - 146 والبيروني: الآثار الباقية، ص39 إلى أن السامانيين ينسبون إلى بهرام جوين.

(2) كريستينسن: إيران في عهد الساسانيين، ص427 - 429، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة 1957.

(3) سمي: "سامان" نسبة إلى فريه بهاها هذا الجد بتواحي بلغ وسياها سامان، وإن كانت دائرة المعارف الإسلامية تردد أن الاسم مركب من "سامان خناه" بمعنى حاكم سامان، الترشيحي: تاريخ بخاري ص86 - 87. لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص128، ترجمة للفارسية عباس إقبال وترجمه عن الفارسية مكي طاهر، مطبعة البصري، بغداد 1968، دائرة المعارف الإسلامية، ج11، ص76.

(4) وكان بلقب "ناصر المظلومين". أرمنيوس فامبري: تاريخ بخاري، ص93، ترجمه أحمد محمود الساداتي.

(5) الترشيحي: تاريخ بخاري، ص86 - 87، ترجمة أمين عبد المجيد، ونصر الله الطرازي. فامبري: تاريخ بخاري، ص93، لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص128.

(6) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص82.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

نوح بن أسد⁽¹⁾ سمرقند⁽²⁾ في سنة 204هـ / 819م وأحمد بن أسد فرغانه⁽³⁾، ويحيى بن أسد الشاش⁽⁴⁾ (طشقند) وأشروسنة⁽⁵⁾، وإلياس على هراة⁽⁶⁾، ولما ولي طاهر بن الحسين بلاد خراسان أقرهم في هذه الأعمال⁽⁷⁾.

أقر العباسيون أبناء أسد بن سامان على ولاياتهم، فظل نوح بن أسد حاكم سمرقند في ولايته إلى أن توفي سنة 228هـ / 842م⁽⁸⁾، حيث خلفه أخوه أحمد⁽⁹⁾، أما يحيى بن أسد فظل يحكم الشاش وأشروسنة حتى سنة 251هـ / 865م، كما ظل إلياس بن أسد يلى هراة إلى وفاته سنة 252هـ / 866م⁽¹⁰⁾.

(1) كان نوح عاملاً على بخارى من قبل المأمون، وهو الذى أهدى إليه طولون أبا أحمد بن طولون فأهداه إلى المأمون. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج3، ص311 - 312.

(2) سمرقند: وتقع على بعد مائة وخمسين ميلاً شرقى بخارى. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص134، لسترنج: بلدان الخلافة، ص506.

(3) فرغانة: كان يعرف إلى وقت قريب بخانية خوقند، وكانت قصبته مدينة "أخسيك" التى سماها العرب فرغانة، وتقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية، وبين فرغانة وسمرقند مائة وخمسة وعشرون ميلاً. ويقول ياقوت: "فرغانة قرية من قرى فارس". معجم البلدان ج6، ص364، لسترنج: بلدان الخلافة، ص521.

(4) الشاش: غرب فرغانة على ضفة نهر سيحون اليمنى. ذكرت بأسماء كثيرة منها الشاش وينطقها الفرس (جاج) وتاشكنت المحرف من الشاش إلى تاش وتاشقند وتاشكنت ومعناها "مدينة الحجر" مع أن الحجر لا يكاد يوجد بتلك المنطقة. لسترنج: بلدان الخلافة، ص523 - 524، بارنولد: تاريخ الترك في آسيا، ص83.

(5) أشروسنة: وتكتب: أسروسنة، وسروسنة، وستروشنة، وتقع شرقى سمرقند، وكانت قصبته "بنجك" . لسترنج، ص517 - 518.

(6) وكان ذلك مكافأة لهم على جهودهم في مساعدة الخلافة العباسية في القضاء على ثورة رافع بن الليث الذى خرج على أبيه هارون الرشيد الذى مات قبل أن يقضى عليه، وبعد أن فشل قائد المأمون خزيمة بن اخازم في القضاء عليه أيضاً. فامبرى: تاريخ بخارى، ص90 - 91.

(7) الرشخى: تاريخ بخارى، ص74، الكردبى: زين الأخبار، ص16 - 17، ابن الأثير: ج7، ص99.

(8) السمعاني: الأنساب، ورقة 286 (مخطوط).

(9) فامبرى: تاريخ بخارى، ص94.

(10) السمعاني: الأنساب، ورقة 286 (مخطوط).

علا شأن أحمد بن أسد من بين إخوته، وصار يلي حكم فرغانة وقسم من الصفد وسمرقند⁽¹⁾. وكان لأحمد بن أسد سبعة أولاد، اشتهر منهم نصر بن أحمد وإسماعيل بن أحمد، فلما توفي أحمد سنة 250هـ / 864م خلفه ابنه نصر⁽²⁾، ثم أصبح والياً على بلاد ما وراء النهر من قبل الخليفة المعتمد سنة 261هـ / 874م⁽³⁾، ولم يلبث أن ولي أخاه إسماعيل بن أحمد⁽⁴⁾ على بخاري⁽⁵⁾.

أقام إسماعيل بن أحمد فترة من الزمن في بخاري، ثم سار إلى سمرقند بدون إذن من أخيه، واعتبر نصر هذا التصرف إهانة له، فسألت العلاقات بينها⁽⁶⁾.

عمل إسماعيل بعد قدومه إلى بخاري على تحسين علاقته مع رافع بن هرثمة⁽⁷⁾، حتى إنه لما طلب من رافع أن ينزل له عن خوارزم أجابه إلى ما أراد، واتخذ الوشاة من سياسة إسماعيل في التقرب من رافع بمثابة تحالف ضد نصر بن أحمد فأخبره بأن هدف إسماعيل من صداقته لرافع هي إخراجها من بلاد ما وراء النهر⁽⁸⁾، ورأى نصر من ناحيته أن يختلق سبباً لإثارة أخيه إسماعيل، فاتهمه بالتقصير في دفع الخراج إليه، واتخذ من ذلك مبرراً

(1) السابق نفسه.

(2) فامبري: تاريخ بخاري، ص 94.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج 7، ص 99.

يذكر فامبري أنه قد تم لبلاد ما وراء النهر ولتركستان وحدتها بالرسوم الذي أصدره الخليفة المعتمد بتولية نصر إمارة بلاد ما وراء النهر، وجعل له كل البلاد الممتدة من شواطئ جيحون حتى أقصى بلاد المشرق. تاريخ بخاري، ص 95.

(4) ابن الأثير: ج 7، ص 99.

(5) غزا حسين بن طاهر أمير خوارزم بخاري سنة 259هـ فأعمل السلب والنهب، فاستند أهلها بنصر الساماني، فسار إليهم أخاه إسماعيل الذي دخل بخاري وخطب فيها باسم نصر في غرة رمضان سنة 260هـ (يونية 873م). الترشيحي: تاريخ بخاري، ص 107 - 109. فامبري: تاريخ بخاري، ص 94 - 95.

(6) يذكر الترشيحي أن القطيعة استمرت بين الأخوين حتى شفع له ابن عمه محمد بن نوح وعبد الجبار بن حمزة، تاريخ بخاري، ص 110.

(7) وكان ثائراً إقطاعياً فصار عاملاً للخليفة على خراسان. فامبري: تاريخ بخاري، ص 96.

(8) دائرة المعارف الإسلامية، ج 11، ص 78، فامبري: تاريخ بخاري، هامش ص 95.

الطاهريون والمقاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

لمهاجمته بجيشه، مما اضطر إسماعيل إلى الفرار إلى بيكند⁽¹⁾ عبر فاراب⁽²⁾، حيث أوفد رسولاً إلى حليفه رافع بن هرثمة، الذي سار بدوره فعبّر جيحون متوجّهاً صوب بخارى، غير أن رافع خشى أن يعود الوثام بين نصر وإسماعيل فيتفقاً عليه، ومن ثم عمّد إلى التوسط بينهما⁽³⁾ فتصالحا، وكانت شروط الصلح تقضى بأن يكون أمير بخارى إسحاق بن أحمد، ويكون إسماعيل عاملاً على الخراج، وأن يدفع كل سنة خمسمائة ألف درهم.. ثم عاد نصر بن أحمد إلى سمرقند في سنة 273 هـ / 885 م.

على أن الحرب بين الأخوين ما لبثت أن تجددت، ولما يمض على الصلح خمسة عشر شهراً، فبادر نصر بالعدوان في سنة 275 هـ / 888 م بحجة أن إسماعيل لم يرسل شيئاً من الأموال التي اتفق عليها، غير أن إسماعيل احتاط بإمدادات من خوارزم⁽⁴⁾، وانجلست المعركة بائنهزام إسحاق بن أحمد والى بخارى من قبل نصر بن أحمد، وسار إلى فاراب⁽⁵⁾.

عاد نصر بن أحمد مرة ثانية لقتال إسماعيل، لكن إسماعيل تمكن من إحراز النصر على جيش فرغانة بقيادة أبي الأشعث في النصف الثاني من عام 275 هـ / 888 م، وكاد نصر يلقى حتفه على يد جماعة من الخوارزميين⁽⁶⁾، ولما حمل إلى إسماعيل قال له: أيها الأمير إنها إرادة الله التي شئت أن أراك اليوم وأنت في الأسر"، فأجابه نصر بقوله: "بل هي إرادتك أنت إذ خرجت على سيدك وأذنبت بذلك في حق الله عز وجل". هنالك أقر إسماعيل بجرمه وسأله أن يصفح عنه وعرض عليه أن يسيره من فوره إلى مقر

(1) بيكند: بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى، وكانت منمية، فقد بلغ عدد الرباطات (جمع رباط) بها نحو ألف رباط. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص 329 - 340.

(2) فاراب: ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك، ويذكر لسترنج أنها على ضفة سيحون الشرقية، ويُنسب إليها أبو نصر الفارابي المتوفى سنة 339 هـ. بلدان الخلافة الشرقية، ص 528، ياقوت: ج6، ص 322.

(3) الترشيخي: تاريخ بخارى، ص 113 - 114، فامبري: تاريخ بخارى، ص 96 - 97، ابن الأثير: الكامل ج7، ص 100.

(4) فامبري: ص 97.

(5) الترشيخي: ص 114 - 115.

(6) فامبري: ص 97.

ولايته، واستقر الرأي بينهما على مسير نصر إلى سمرقند⁽¹⁾، وظل إسماعيل نائباً عنه في بخارى⁽²⁾.

يسط إسماعيل بن أحمد سلطانه على خوارزم وبلاد ما وراء النهر عام 280هـ / 893 - 894م عقب وفاة أخيه، وظل مقيماً في بخارى⁽³⁾ وأقره الخليفة المعتضد في إمارته في المحرم سنة 280هـ⁽⁴⁾.

اتسعت رقعة الدولة السامانية في عهد إسماعيل بن أحمد حتى غدت بخارى حاضرة كل ولايات آسيا الوسطى، ذلك أن سلطانه امتد شمالاً حتى مشارف صحراء قراقروم وشرقاً حتى وديان تيان شان، وجنوباً حتى الخليج الفارسي وحدود الهند الشمالية وغرباً إلى ما وراء العراق العجمي⁽⁵⁾. وأصبح عمال إسماعيل هم أصحاب الأمر والنهي في مرو ونيسابور والري وأمل وقزوين وأصفهان وشيراز، غير أن الحروب التي خاض غمارها لتثبيت ذلك الملك الواسع، أنهكت قواه فتوفي سنة 295هـ وهو في الحادية والستين من عمره بعد أن حكم أربعة وثلاثين سنة⁽⁶⁾.

لم يظهر بعد إسماعيل بن أحمد أمير قدير من السامانيين، ولكن حسن إدارتهم واستقرار حكمهم في بلاد ما وراء النهر، مكنهم من المحافظة على ملكهم مدة مائة سنة. فقد أقر الخليفة المكتفى أحمد بن إسماعيل على ولاية أبيه، وخلع عليه في ذي القعدة سنة 295هـ⁽⁷⁾ وبدأ عمله بعد توليه زمام الحكم بالقبض على عمه إسحاق بن أحمد (أمير سمرقند)، وحجسه في بخارى؛ إذ كان يتوقع تأمره عليه⁽⁸⁾، ثم سار إلى طبرستان، وكانت قد ساءت علاقته مع واليها "بارس الكبير"⁽⁹⁾، الذي جمع أموالاً كثيرة من خراج الري وطبرستان

(1) وذلك قبل أن تصل أنباء الحادث إلى سمرقند، فلا تتعرض هيئته فيها وراء النهر إلى شيء من المهانة. الترشمخي: تاريخ بخارى، ص 115، 116، فامبري: تاريخ بخارى، ص 98.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص 99، 100.

(3) بعد أن عهد بحكومة سمرقند إلى أحد أبناء نصر. فامبري: ص 98.

(4) الترشمخي: تاريخ بخارى، ص 116 - 117، فامبري: ص 98.

(5) فامبري: ص 104.

(6) فامبري: تاريخ بخارى، ص 104، 110.

(7) الكردبزي: زين الأخبار، ص 148.

(8) الكردبزي: زين الأخبار، ص 148.

(9) فامبري: تاريخ بخارى، ص 112.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

وجرجان واستولى عليها، بعد وفاة إسماعيل، فلما خلفه ابنه أحمد عمل على استرداد هذه الأموال من "بارس"، فلما سار إليه كتب "بارس" إلى الخليفة المكتفى يستأذنه في المسير إليه فأذن له فتجه "بارس" إلى بغداد في أربعة آلاف فارس⁽¹⁾.

لم يغضب الأمير الساماني أحمد بن إسماعيل لحرب عامله "بارس" بقدر ما غضب لخروج أمواله من يده⁽²⁾، وعين أبا العباس بن عبد الله واليًا على خراسان. وكان يتميز بكفائته الإدارية حتى إن الناصر الأطروش⁽³⁾ العلوي لم يستطع في أيامه مناوئة السامانيين⁽⁴⁾.

أولى أحمد بن إسماعيل طبرستان عناية خاصة، فولى عليها محمد بن نوح، فأحسن السيرة فيها وأكرم من بها من العلويين، وراسل زعماء الديلم وهادنهم واستأمنهم ثم ما لبث أن عزله الأمير الساماني، وولى طبرستان "سلاما" الذي لم يحسن سياسة أهلها، فثار عليه الديلم، ومع أنه قاتلهم وهزمهم إلا أن أحمد بن إسماعيل عزله وأعاد "محمد بن نوح" إليها فذانت له بالطاعة⁽⁵⁾.

ولى طبرستان بعد وفاة محمد بن نوح، أبو العباس محمد بن إبراهيم سنة 298هـ فلم يحسن سياسة أهلها، مما أغضب الديلم لتنكره لرؤسائهم، فانهز الحرس بن على الأطروش الفرصة وأثار الديلم عليه ودعاهم إلى الخروج معه فأطاعوه⁽⁶⁾، لذلك أنفذ أحمد بن إسماعيل الساماني في سنة 298هـ جيشًا بقيادة "محمد بن إبراهيم" إلى طبرستان لكن الديلم بقيادة الأطروش أوقعوا به عند شالوس⁽⁷⁾ في جمادى الآخرة سنة 301هـ

(1) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص3.

(2) بينما كان "بارس" في طريقه إلى بغداد توفي الخليفة المكتفى وخلفه المقتدر الذي طمع في الأموال التي هرب بها "بارس" وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن تمكن من قتله.

فامبري: تاريخ بخارى، ص112.

(3) قدم الأطروش على طبرستان في عهد الداعي الحسن بن يزيد العلوي.

المسعودي: مروج الذهب، ج6، ص294، دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص309.

(4) فامبري: تاريخ بخارى، ص112.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص28 - 29.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص29.

(7) شالوس: مدينة بجبال طبرستان بينما وبين الرى ثمانية فراسخ وبين شالوس وآمل عشرون فرسخًا.

ياقوت: معجم البلدان، ج6، ص216.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

(ديسمبر 913م)⁽¹⁾ وقتل من أصحاب "محمد بن إبراهيم" نحو أربعة آلاف رجل، وحاصر الأطروش الباقين، ثم أمنهم واستولى على طبرستان، وخرج محمد بن إبراهيم إلى الري سنة 301هـ⁽²⁾.

لما توفي أحمد بن إسماعيل خلفه ابنه أبو الحسن نصر (الذي لقب فيما بعد بالسعيد) وكان في الثامنة من عمره⁽³⁾، وقد استصغر الناس الأمير الجديد واستضعفوه واعتقدوا أن أمره لا ينظم مع وجود عم أبيه إسحق بن أحمد بن أسد - صاحب سمرقند - الذي استمال أهالي بلاد ما وراء النهر - عدا بخارى - إليه، وأرسل هو وبعض أمراء البيت الساماني إلى الخليفة العباسي المقتدر يسأله كل منهم إمرة ناحية من نواحي خراسان، لكن الخليفة أقر نصراً على بلاد أبيه، وأقر اللقب الذي تلقب به وهو السعيد⁽⁴⁾.

واجه الأمير السعيد في بداية حكمه خطر عمه إسحق الذي كان ينافسه في حكم بلاد الدولة السامانية⁽⁵⁾، فاتجه بعد أن مكن لنفسه في سمرقند إلى بخارى أملاً في الاستيلاء عليها، وتولى ابنه إلياس قيادة الجيش. ورأى السعيد أن الأمر يتطلب عملاً سريعاً، فبعث قائد جيوشه "حمويه بن علي" لمحاربة إسحق الذي انهزم في أول الأمر، وتمكن جيش السعيد من دخول سمرقند والتغلب على جيش إسحق الذي انتهت حياته في بخارى⁽⁶⁾. وهدأت الأحوال في خراسان وما وراء النهر بعد وفاته. وأقيمت الخطبة باسم السعيد في فارس وكرمان وطبرستان وجرجان⁽⁷⁾.

على أن الأمور لم تستقر لنصر الثاني، فقد ثار عليه قائده أحمد بن سهل⁽⁸⁾ في نيسابور

(1) ابن الأثير: ج8، ص29، دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص310.

(2) ابن الأثير: ج8، ص29.

(3) ابن الأثير: ج8، ص27.

(4) قام بصبط بلاده أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، فأحسن سياسة الدولة وإدارة شئونه. الكرديزي: زين الأخبار، ص150. ابن الأثير: ج8، ص27. النويري: نهاية الأرب، ج23، ص175 (مخطوط).

(5) فامبري: تاريخ بخارى، ص113، الكرديزي: زين الأخبار، ص150.

(6) زين الأخبار، ص151، ابن الأثير: الكامل، ج8، ص28.

(7) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص92.

(8) هو أحمد بن سهل بن هاشم بن جبلة، التحق بخدمة عمرو بن الليث الصفار في أول الأمر إلى أن صار واليه على مرو، ثم غضب عليه عمرو واعتقله بسجستان ولكنه تمكن من الهرب إلى مرو. =

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

واستولى عليها وأسقط خطبة نصر⁽¹⁾، وسار من نيسابور إلى جرجان، واستولى عليها، ثم عاد إلى خراسان وقصد مرو وضمها إلى حوزته وبنى عليها سوراً وتحصن بها، فأرسل إليه السعيد نصر الجيوش مع حمويه بن علي من بخارى فوافى مرو الروز⁽²⁾، وأقام بنواحيها وحاصرها⁽³⁾.

تحصن ابن سهل بمرو، ولم يفلح "حمويه" في إخراجه من حصنه⁽⁴⁾، فأرسل إليه بعض قواده لاستئلاته، فقال إليهم وخرج معهم من مرو إلى حمويه في رجب سنة 307 هـ (نوفمبر / ديسمبر 919 م)، ثم دارت بين الفريقين عدة معارك انتهت بهزيمة وأسر⁽⁵⁾.

كان دعاة الإسماعيلية في فارس وشرق الدولة الإسلامية يذلون جهوداً كبيرة لجذب كبار الأمراء إلى زعيمهم عبيد الله المهدي، ومن بين هؤلاء الدعاة أبو عبد الله محمد بن النسفي وكان عالماً أديباً اشتهر بحرية الرأي، استطاع أن يضم إلى الإسماعيلية كثيراً من أهالي خراسان، ولم يكتف بها أحرزه من نجاح في هذا الإقليم، بل عبر نهر جيحون واتجه إلى بخارى حيث لقي معاونة من كبار رجال الدولة السامانية، وبفضل هؤلاء استطاع النسفي الوصول إلى نصر الثاني بن أحمد الساماني الذي رحب بمبادئته ودعاه لمقابلته، وكان السعيد نصر الثاني من أكبر معارضي المذهب الإسماعيلي في بادئ الأمر، فقبض على أستاذ النسفي الحسين بن علي المروزي وسجنه وظل مسجوناً حتى توفي⁽⁶⁾، غير أن النسفي استطاع بدهائه وحسن سياسته أن يستميل السعيد نصر الثاني إلى جانب الخليفة

- وبعد أن ألقى إسماعيل الساماني الهزيمة بمرور بن الليث، التحق ببنده إسماعيل بن أحمد ودخل في طاعته فأكرمه وظل كذلك حتى عهد السعيد نصر بن أحمد. الكرديزي: زين الأخبار، ص 151 - 152، ابن الأثير: ج8، ص 40 - 41.

(1) النويري: نهاية الأرب، ج23، ص 176 (مخطوط).

(2) الكرديزي: زين الأخبار، ص 152، ابن الأثير: الكامل، ج8، ص 41.

(3) نهاية الأرب ج23، ص 176، زين الأخبار، ص 152، الكامل، ج8، ص 41.

(4) نهاية الأرب ج23، ص 176، الكامل، ج8، ص 41.

(5) نهاية الأرب، ج23، ص 176، زين الأخبار، ص 152، الكامل، ج8، ص 41.

(6) حسن إبراهيم حسن طه أحمد شاف: عبيد الله المهدي، ص 248 - 249، جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 83.

الفاطمي عبيد الله المهدي ليبرهن له على إخلاص نصر للدعوة الإسماعيلية، وفي ذلك يقول ابن النديم⁽¹⁾: "لما تمكن الحسين بن علي المروزي من بلاد خراسان حبسه نصر بن أحمد، فمات في حبسه، فخلقه النسفي، واستغوى نصر بن أحمد وأدخله في الدعوة وأغرمه دية المروزي مائة وتسعة عشر دينارًا في كل دينار ألف دينار، وزعم أنه ينفذها إلى صاحب المغرب القائم بالأمر، وكان ذلك سنة 330هـ / 941م.

وليس أدل على ميل السعيد نصر الثاني بن أحمد الساماني إلى الدعوة الإسماعيلية من ذلك الكتاب الذي أرسله إلى عبيد الله المهدي يعترف فيه بسلطته الروحية ويعد بإمداده بالرجال، وقد قال في كتابه: "أنا في خمسين ألف مملوك يطيعونني وليس على المهدي بهم كلفة ولا مثونة، فإن أمرني بالمسير سرت إليه ووقفت بسيفي ومنطقي بين يديه وامتلئت لأمره"⁽²⁾.

ازداد نفوذ النسفي في عهد السعيد نصر الثاني حتى أصبح صاحب الأمر والنهي في دولته فاستغل هذا المركز لمضاعفة جهوده في نشر الدعوة الإسماعيلية مما أثار عليه حفيظة كبار رجال الدولة السامانية من السنيين، وخاصة بعض القواد والعلماء الذين أخذوا يكيدون له ولأنصار المذهب الإسماعيلي⁽³⁾.

لما وقف الأمير نصر الثاني على الخطر المحدق به، نزل عن الإمارة سنة 331هـ لابنه نوح⁽⁴⁾ الذي وجه اهتمامه إلى القضاء على الدعوة الإسماعيلية وأنصارها في بلاده فدعا الفقهاء لمناظرة النسفي، فلما تغلبوا عليه بحججهم أمر بقتله وقتل كثيرين من القواد الذين دخلوا في المذهب الإسماعيلي⁽⁵⁾.

(1) الفهرست، ص 266، جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية ص 83، ازداد إيزاز نصر بن أحمد للنسفي بعد أن استحباب لدعوته ولم يعد يطبق فراقه لحظة، نظام الملك الطوسي: سياسة نامه، ص 266، ترجمة السيد محمد العزاوي.

(2) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص 417.

(3) نظام الملك: سياسة نامه، ص 226 - 271.

(4) سياسة نامه، ص 266 - 271. ذكر ابن الأثير: ح 8، ص 142 أن نصر بن أحمد استمر في الحكم إلى أن مات سنة 331هـ دون أن يشير إلى حادثة التنازل عن الإمارة، كذلك أورد الترشيحي: تاريخ بخارى، ص 142 أن نصرًا مات مقتولًا في عام 330هـ دون بيان سبب قتله.

(5) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص 84، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص 275 -

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

توفي السعيد نصر بن أحمد سنة 331هـ (943م) بعد أن امتد حكمه زهاء ثلاثين عاماً قضاهما في كفاح متواصل لتأمين الدولة في الداخل والخارج، ساعده في ذلك المخلصون من قاداته ووزرائه من أمثال حمويه بن علي ومحمد بن المظفر بن محتاج وابنه أحمد والبلعمي والجيهماني ومحمد بن حاتم المصعبي وأبو الفضل محمد بن محمد الذي اشتهر بلقب حاكم الشهيد⁽¹⁾، ويصف ابن الأثير⁽²⁾ نصر بن أحمد بأنه كان على جانب عظيم من حسن الخلق وكان حليماً عاقلاً.

ولى نوح بن نصر الساماني بلاد خراسان وما وراء النهر في شهر شعبان سنة 331هـ (أبريل 943م)⁽³⁾، وكان نصر قد جعل ولاية العهد من بعده لابنه الأصغر، لكن خلفه في الحكم أخوه الأكبر نوح الذي لقب بالأمير الحميد⁽⁴⁾. وقد استهل إمارته بالعفو عن بعض الأمراء الذين كان يحقد عليهم في حياة أبيه ليتألف لقلوب من حوله⁽⁵⁾، غير أن هؤلاء الأمراء ما لبثوا أن استغلوا ضعف الدولة السامانية، وطمعوا فيها، واستقل كل منهم بتأحية، فواجه الأمير نوح بن نصر من جراء ذلك مصاعب كثيرة، فسار إلى نيسابور في رجب سنة 333هـ وقبض على أميرها أبي علي الأصمهاني وهزم المتمردين وبدد شملهم وأسند حكم نيسابور لإبراهيم بن سيمجور الدواتي⁽⁶⁾، كما أن أبا إسحق أحمد سار إلى بخارى وأظهر العصيان، فعاد الأمير نوح إلى بخارى واشتبك مع أبي إسحق أحمد، فانهزم نوح بن نصر، ودخل أبو إسحق بخارى ظافراً منتصراً سنة 335هـ وبايعه جميع أهلها وأقيمت الخطبة باسمه على منابر بخارى، على أنه لم ينعم بالحكم طويلاً؛ إذ

277.

(1) الكرديزي: زين الأخبار، ص 154.

(2) الكامل: ج 8، ص 142.

(3) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص 129، الكرديزي: زين الأخبار، ص 154، ابن الأثير: الكامل، ج 8، ص 142.

(4) فاميري: تاريخ بخارى، ص 115.

(5) فاميري: ص 115.

(6) الكرديزي: زين الأخبار، ص 155.

خرج عليه جنده، وأعلنوا ولاءهم للأمير نوح بن نصر، وبذلك خدعت هذه الفتنة⁽¹⁾.

ومن الصعوبات التي واجهت الأمير الحميد نوح، خروج القائد الساماني أبي على بن محتاج الذي تمكن من صدر ركن الدولة الحسن بن بويه عن الري⁽²⁾، وخلت له هذه المدينة. ورأى على بن بويه أن يستغل الخلاف بين الأمير نوح وابن محتاج لصالحه فأرسل إلى الأمير نوح يعرفه عدم أهمية الري بالنسبة له وسأله أن يضمه أعماها عشر سنين بمثل ما تقرر عليه بينه وبين ابن محتاج زيادة مائة ألف دينار في كل سنة، على أن يقرضه مال سنة، وتعهد على بن بويه بأن يعاون الأمير نوح ضد ابن محتاج حتى يظفر به⁽³⁾، فأنفذ نوح بن منصور رسوله على بن موسى المعروف بالرزق إلى عماد الدولة على بن بويه، وذلك بعد أن قبض على إخوة أبي على بن محتاج وأهله وقتل بعضهم⁽⁴⁾، وبعث عماد الدولة إلى ابن محتاج يؤكد له أنه ما زال على عهده معه وحذره من غدر نوح، فكان ذلك مما حمل ابن محتاج على أن يرسل إلى إبراهيم بن أحمد الساماني (عم نوح) وكان مقيماً عند الحمدانيين بالموصل - يعرفه بأنه عقد له الرياسة عليهم وأن تكون له خراسان مقابل أن يمضي معه لحرب نوح⁽⁵⁾ وكان ذلك في أواخر أيام الخليفة المستكفي⁽⁶⁾.

توجه إبراهيم بن أحمد الساماني إلى همدان سنة 334هـ والتقى بأبي على بن محتاج الذي سار معه إلى خراسان⁽⁷⁾ التي ما لبثت أن ثارت على نوح بن نصر⁽⁸⁾، ولما تجلّى عداء أبي على بن محتاج لنوح بن نصر أرسل عماد الدولة على بن بويه رسولاً من قبله إلى نوح، يخبره بأنه سيعهد إلى ركن الدولة بمعاونته في محاربة ابن محتاج وحليفه إبراهيم بن أحمد الساماني، وقد استمرت الحرب بين نوح وابن محتاج فترة طويلة⁽⁹⁾، حيث تمكن ابن محتاج من الاستيلاء على نيسابور ومرو وبخارى سنة 335هـ وخطب فيها لإبراهيم بن أحمد

(1) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص 129، الكرديزي: زين الأخبار، ص 155.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص 158 - 159.

(3) مسكويه: تجارب الأمم، ج6، ص 100.

(4) تجارب الأمم، ج6، ص 101.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص 164.

(6) مسكويه: تجارب الأمم، ج6، ص 101.

(7) ابن الأثير: ج8، ص 164، مسكويه: ج6، ص 102.

(8) مسكويه: ج6، ص 102.

(9) ابن الأثير: ج8، ص 165.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

الساماني، غير أن إبراهيم الساماني سرعان ما أثر خلع نفسه واتفق مع نوح بن نصر على أن يتقلد إمرة جيشه⁽¹⁾.

لما توفي الأمير الحميد نوح بن نصر في ربيع الآخر 343هـ (أغسطس 954م)⁽²⁾ خلفه ابنه عبد الملك الملقب بالرشيد⁽³⁾، فأُسند إلى "بكر بن مالك" إمرة الجيوش⁽⁴⁾ في خراسان، وسيره لإخراج أبي على بن محتاج منها، وخدمت الظروف "بكر بن مالك" فقد تفرق رجال ابن محتاج عنه، وعادوا إلى طاعة الأمير الساماني عبد الملك، وظل أبو على في مائى رجل من أصحابه سوى من انضم إليه من الديلم، واضطر إلى المسير إلى ركن الدولة بالرى مستجيراً به⁽⁵⁾.

ظل أبو على بن محتاج مقيماً عند ركن الدولة الذى توسط لدى الخليفة العباسى المطيع لإقرار سلطة أبي على في خراسان، وعاونه في ذلك معز الدولة البويهى، فأرسل الخليفة العباسى تقليد ولاية خراسان لأبي على سنة 343هـ (954م)⁽⁶⁾.

حاول الأمير الرشيد عبد الملك بن نوح أن يحتفظ بقبوذا السامانيين في غربى الدولة. غير أن "أشعث بن محمد" وكان من خيرة قواده، لم ينجح إلا في مصالحة الديلم وركن الدولة على شروط معقولة دون أن يحملهم على لولاء للأمير الساماني الذى لم يلبث أن توفى في شوال 350هـ (نوفمبر 961م)⁽⁷⁾، فألقت السلطة من بعده لأخيه أبى صالح منصور بن نوح الملقب بالأمير السديد⁽⁸⁾، فبدأت الفتنة في خراسان وتطرق الضعف إلى الدولة

(1) ابن الأثير: ج8، ص165.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص154 - 157، الكرديزى: زين الأخبار، ص154 - 159.

(3) وكان إذ ذاك في العاشرة من عمره. فامبرى: تاريخ بخارى، ص116 - 117.

(4) هو أبو سعيد بكر بن مالك الفرغانى. الكرديزى: زين الأخبار، ص159.

(5) يذكر مسكويه أن ركن الدولة استقبل أبا على وأحسن وفادته، تجارب الأمم، ج6، ص157.

(6) مسكويه: ج6، ص154 - 157، الكرديزى: زين الأخبار، ص159. لم يلبث أبو على بن محتاج أن

توفى في آخر رجب سنة 344هـ زين الأخبار، ص160.

(7) وكان ذلك أثر سقوطه من فوق جواده. الكرديزى: زين الأخبار، ص161، فامبرى: تاريخ بخارى،

ص117.

(8) السديد؛ أى: العادل، فامبرى: ص117.

السامانية⁽¹⁾.

ومن العوامل التي ساعدت على انحلال الدولة السامانية خروج بعض ولايتها عليها، من أمثال البتكين الذي نشأ مملوكًا في بلاط السامانيين، ثم أخذ يترقى حتى بلغ منصب الوزارة بعد أن ولي نيسابور، وبدلاً من أن يساند الدولة السامانية ويحفظ كيانه، عمد إلى مهاجمة أميره منصور بن نوح في جيش كبير، غير أنه تعذر عليه عبور نهر جيحون في بداية الأمر مما اضطره إلى العودة إلى غزنه⁽²⁾، إلا أن التوفيق حاله في محاولته الثانية حتى اضطر الأمير منصور أن يصالحه على أن يصير له نيسابور على خراج سنوي قدره خمسون ألف دينار⁽³⁾.

وفي عهد الأمير منصور شق أهل سجستان عصا الطاعة على أميرهم خلف بن أحمد وولوا مكانه رجالاً من أصحابه يدعى طاهر بن الحسين⁽⁴⁾، فاستجد خلف بالأمير منصور الذي أمدّه بجيش استرد به هذه البلاد، لكنه لم يلبث أن طرد منها، ثم استردها ثانية بمعونة السامانيين، إلا أن الأمير خلف لم يلبث أن ساءت علاقته بالسامانيين، فقامت الحروب بين الفريقين، واستمرت سبع سنوات انتهت بالصلح وإعادة الخطبة لمنصور بن نوح، الأمر الذي يوضح مدى الضعف الذي تطرق إلى البيت الساماني⁽⁵⁾.

كذلك قامت الحرب في جهات الرى بين منصور بن نوح وركن الدولة الحسن بن بويه⁽⁶⁾، ذلك أن أبا علي "محمد" بن إلياس أطمع منصور بن نوح⁽⁷⁾ في بلاد الديلم وزعم

(1) مسكويه: تجارب الأمم، ج6، ص 189.

(2) الترخشي: تاريخ بخارى، ص 137، فامبرى: ص 117.

(3) فامبرى: ص 117.

(4) ذلك أن خلف بن أحمد ذهب إلى الحج سنة 353 هـ واستخلف على أعماله طاهر بن الحسين وكان من أصحابه، فطمع طاهر في الملك وعصى خلف لما عاد من الحج، ففسر خلف إلى بخارى واستنصر بالأمير منصور بن نوح. ابن الأثير: ج8، ص 201.

(5) ابن الأثير: ج8، ص 201، 202.

(6) ابن الأثير: ج8، ص 207.

(7) كان ابن إلياس عامل البويهيين في كرمان فلما خرج عليهم قصده عضد الدولة فهرب إلى خراسان، ولقى الأمير منصور فشجعه على اسير إلى بلاد الديلم. مسكويه: تجارب الأمم، ج6، ص 232.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

له أن قواد جيوش ركن الدولة لا يطيعونه، فطلب الأمير منصور من وشكمير بن زيار والحسن بن الفيرزان المسير لمحاربة ركن الدولة وأمدهما بالجيوش، وانتهت الحرب بين الفريقين سنة 361هـ بالصلح⁽¹⁾، الذي تضمن أن يرسل ركن الدولة وابنه عضد الدولة إلى الأمير منصور الساماني مائة وخمسين ألف دينار كل سنة⁽²⁾.

لما توفي منصور بن نوح في منتصف شهر شوال⁽³⁾ سنة 366هـ⁽⁴⁾ (يونيه 977م) واجه ابنه نوح الثاني⁽⁵⁾ بن منصور الملقب بالسعيد والمكنى بأبي القاسم عدة صعاب بسبب ضعف نفوذ السامانيين، فقام بأمر الدولة السامانية في مستهل إمارته وزيره أبو الحسين العتي. واستند محمد بن سيمجور قائد الجيش في خراسان من قبل السامانيين بالأمر في هذه البلاد واتخذ من صغر سن الأمير الجديد فرصة لتحقيق مظامعه، فعزله الوزير أبو الحسين العتي وولى أبا العباس تاش⁽⁶⁾ إمرة الجيش وأصبح نائباً لأبي القاسم على خراسان عام 371هـ⁽⁷⁾، كما قامت في هذه السنة أيضًا الحرب بين الأمير نوح بن منصور وبين عضد الدولة بن بويه، الذي استولى على جرجان وطبرستان سنة 372هـ⁽⁸⁾.

على أن الوزير الجديد "عبد الله بن عزيز" الذي كان يضمم العداوة والبغضاء للوزير العتي، عمل على عزل أبي العباس تاش عن خراسان وإعادة أبي الحسن بن سيمجور إليها، فامتنع أبو العباس عن تنفيذ أوامر الوزير الجديد، ولجأ إلى فخر الدولة بن بويه

233.

(1) مسكويه: تحارب الأمم، ج8، ص 233، ابن الأثير: الكامل، ج8، ص 207، 208، الترشيحي: تاريخ بخارى، ص 134.

(2) ابن الأثير: ج8، ص 225.

(3) يذكر الترشيحي: تاريخ بخارى، ص 133 أن وفاته يوم الأحد السادس عشر من شهر المحرم سنة 365هـ بينما يذكر الكرديزي: زين الأخبار، ص 164 أنه مات في شوال سنة 365هـ ولقبه الأمير السديد.

(4) الترشيحي: ص 133، ابن الأثير: ج8، ص 243.

(5) هو أبو القاسم نوح وكان عمره حين ولى الأمر ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور.

ابن الأثير: ج8، ص 243.

(6) الكرديزي: زين الأخبار، ص 166، ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 4، وهو الملقب بحسام الدولة.

فاميرى: تاريخ بخارى، ص 118.

(7) ابن الأثير: ج9، ص 4.

(8) ابن الأثير: ج9، ص 4، 5، الكرديزي: زين الأخبار، ص 167.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

بجرجان⁽¹⁾، فأمدّه بجيش حارب به ابن سيمجور واستولى على نيسابور⁽²⁾.

تعرّضت الدولة السامانية في عهد نوح بن منصور للزوال، ففي سنة 383هـ ثار عليه أبو الحسن بن سيمجور، وفائق الخاصة، غلام نوح بن نصر - وهما من أكبر قواد السامانيين - واتصلا بشهاب الدولة هارون بن سليمان إيلك المعروف ببغراخان⁽³⁾ وأطمعاه في الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر⁽⁴⁾، وتمكّن إيلك من الانتصار على جيوش نوح في هذه السنة والاستيلاء على بخارى، غير أن نوحاً لم يلبث أن استرد حاضرة إمارته⁽⁵⁾.

أدت ثورة الأمراء على نوح بن منصور إلى امتعائه بسبكتكين صاحب عزنه، حيث انتصرت جيوشهما بالقرب من هراة على هؤلاء الأمراء الذين استعانوا ببني بويه وفروا إلى جرجان، وتمكّن نوح من استعادة نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين⁽⁶⁾، فأحسن السيرة، وعاد نوح إلى بخارى وسبكتكين إلى هراة وأقام محمود بنيسابور⁽⁷⁾.

توفي الأمير نوح بن منصور⁽⁸⁾، بعد أن استمر في الحكم أكثر من واحد وعشرين عامًا⁽⁹⁾، وكان عهده مليئاً بالثورات بسبب صغر سنه، وتدخل النساء والوزراء في حكم بلاده، وتطلع بنو بويه والأتراك إلى امتلاك بلاده، فضلاً عن قيام المنافسة بين أفراد البيت الساماني نفسه، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك في قوله "توفي الأمير الرضا نوح بن منصور

(1) قامري: ص 118.

(2) قامري: ص 118.

(3) كانت بلاده تمتد من حدود الدولة السامانية شرقاً حتى حدود الصين. ابن الأثير: ج9، ص 36، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج3، ص 160.

(4) قامري: تاريخ بخارى، ص 122.

(5) ابن الأثير: ج9، ص 36، 37، قامري، ص 122.

(6) ابن الأثير: ج9، ص 38.

(7) الكردبزي: زين الأخبار، ص 170، ابن الأثير: ج9، ص 38.

(8) ابن الأثير: ج9، ص 39.

(9) حمد الله المستوفى: تاريخ كزیده، ص 147 ملحق بتاريخ بخارى، ابن الأثير: ج9، ص 48.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

الساماني، واختل بموته آل سامان، وضعف أمرهم ضعفاً ظاهراً وطمع فيهم أصحاب الأطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة⁽¹⁾.

خلف أبو الحارث منصور أباه نوح في رجب 387هـ / 997م⁽²⁾ وأعاد فائق الخاصة إلى خدمة السامانيين⁽³⁾.

وولاه الإمارة⁽⁴⁾، وعين حاجبه الكبير بكتوزون⁽⁵⁾ والياً وقائداً لجيوش خراسان⁽⁶⁾ بدلاً من محمود بن سبكتكين، الذي كان مشغولاً بقتال أخيه إسماعيل⁽⁷⁾، وكان بين فائق وبكتوزون عدا، فأغرى فائق أبا القاسم بن سيمجور بكتوزون ومناه بولاية جيوش خراسان إذا هو طرده منها فحاربه وانتصر عليه وصفت له خراسان⁽⁸⁾.

أخذ محمود بن سبكتكين يرسل الهدايا إلى أبي الحارث منصور طمعاً في توليته خراسان، ثم اضطر إلى استخدام القوة، فسار بجيشه إلى نيسابور، واضطر بكتوزون إلى الانسحاب مستنجداً بالأمير الساماني أبي الحارث الذي أجابه، وكان في مقدور محمود

(1) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص48.

(2) تاريخ البيهقي، ص707.

(3) استمال شمس الدولة إيلك خان ملك الخانيين فائق خاصة إليه في سبيل تحقيق أطماعه في أملاك السامانيين، وأرسله في ثلاثة آلاف رجل إلى بخارى فبادر أبو الحارث منصور إلى عبور نهر جيحون تاركاً عاصمته، غير أنه بعد أن دخل فائق بخارى ما لبث أن أظهر الولاء للأمير أبي الحارث منصور الساماني وطالبه بالرجوع فعاد العتيبي: تاريخ اليمن، ج1، ص269، 280، الكرديزي: زين الأخبار، ص171، 172.

(4) حداد الله المستوفي: تاريخ كزیده، ص147، ملحق بتاريخ بخارى، الكرديزي: زين الأخبار، ص172.

(5) بكتوزون: لفظ أويغوري معناه الأمين العادل. فامبري: تاريخ بخارى، هامش ص123.

(6) تاريخ البيهقي، ص707.

(7) ابن الأثير: ج9، ص48.

(8) أرسل محمود بن سبكتكين بعد أن فرغ من أمر أخيه يعرض على أبي الحارث خدماته وأنه يقوم مقام أبيه في نصرة لدولة السامانية، فأقره الأمير الساماني على ما في يده واعتذر له عن نيسابور التي وليها بكتوزون. العتيبي: ج1، ص291، ابن الأثير: ج9، ص52.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

أن يقضى عليها إلا أنه فضل أن يتبع سياسة أبيه في إظهار الولاء للدولة السامانية فترك لها نيسابور⁽¹⁾.

ومع ما قام به الأمير منصور بن نوح تجاه بكتوزون⁽²⁾ وفائق الخاصة إلا أنها قبضا عليه وسملا عينيه⁽³⁾، ولم يمض عليه في الإمارة غير سنة وسبعة أشهر، وولياً أخاه الصغير عبد الملك بن نوح في صفر 389هـ فاتخذ محمود بن سبكتكين من اضطراب حبل الأمور في الدولة السامانية وسيلة للاستيلاء على أملاكهم، فعث إلى هذين المتآمرين يلومهما ويقبح فعلهما، وأعد عدته وجهاز الجيوش للقائهما⁽⁴⁾، والتقى الجيشان في مرو في جمادى الأولى سنة 389هـ (أبريل / مايو 998م) فحلت الهزيمة بالجيش الساماني، وارتد فائق الخاصة بصحبة عبد الملك بن نوح إلى بخارى⁽⁵⁾، وقصد بكتوزون نيسابور⁽⁶⁾، وقد استطاع محمود بن سبكتكين أن يستولى على نيسابور وبخارى، ويوطد سلطته في خراسان ويزيل نفوذ السامانيين عنها ويقيم فيها الخطبة للخليفة القادر بالله⁽⁷⁾.

حاول عبد الملك بن نوح الساماني وفائق وبكتوزون بعد اجتماعهم في بخارى استعادة خراسان، لكن وفاة فائق في شعبان سنة 389هـ أو هن عزيمة السامانيين ولم يبق لهم سوى بخارى فيها وراء النهر⁽⁸⁾.

-
- (1) العيني: ج 1 ص 292 - 295، حمد الله المستوفى: تاريخ كريدة، ص 147، ابن الأثير، ج 9، ص 52.
 - (2) حيث أكرمه ولقبه بستان الدولة. حمد الله المستوفى: تاريخ كريدة، ص 147 ملحق بتاريخ بخارى.
 - (3) يذكر البيهقي في تاريخه، ص 707، 708 أن بكتوزون كان يرى أن هذا الأمير حدث (صغير) وأن هوان مع آل طغان محمود، وسر بذلك إلى فائق وأوضح له أن هذا الأمير يدخلكم بها وأنه (أي بكتوزون) يخشى أن يسلمه وإيائه إلى محمود، كما سلم أبوه أبا على سيمجور إلى سبكتكين واتفقا على عزله، وذات يوم ركب أبو الحارث للصيد في سرخس فدعاه بكتوزون إلى خيمته وما أن دخل الأمير منصور حتى قيدوه، ثم سملوا عينيه، ثم أجلسوا عبد الملك بن نوح أخاه على العرش، وجعلوا أمور الملك في يد "سديد بن الليث".
 - (4) ابن الأثير: الكامل، ج 9، ص 54.
 - (5) الكرديزي: زين الأخبار، ص 173، فامبري: تاريخ بخارى، ص 123.
 - (6) العيني: تاريخ اليميني، ج 1، ص 310، 312، 315.
 - (7) هلال بن الصائغ: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص 374، حمد الله المستوفى: تاريخ كريدة، ص 148 ملحق بتاريخ بخارى.
 - (8) البيهقي: ص 709، ابن الأثير: ج 9، ص 55.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

سرعان ما سقط عبد الملك بن نوح فريسة لغدر إيليك خان⁽¹⁾، الذى ادعى حمايته له، فقدم من كاشغر⁽²⁾ إلى بخارى لمساعدته ضد أعدائه، غير أنه ما لبث أن كشف عن غرضه الحقيقى حين قبض على قواد السامانيين، ثم دخل بخارى نفسها يوم الثلاثاء، العاشر من ذى القعدة سنة 389هـ (24 أكتوبر 999م) وقبض على عبد الملك نفسه وزجه فى السجن⁽³⁾.

لم يكن لمحمود بن سيكتكين مطمع فى أملاك السامانيين فيها وراء النهر، فقد اعتبر نهر جيحون حداً طبيعياً لإمارته من جهة الشمال.

لذلك لم يجد بأساً فى ترك بخارى ليستولى عليها جاره إيليك خان معلناً سقوط الدولة السامانية⁽⁴⁾.

حاول الأمير السامانى المنتصر (أبو إبراهيم) أن ينقذ ما بقى للسامانيين من نفوذ، بعد أن تمكن من الهرب من السجن حيث سر إلى خوارزم⁽⁵⁾، وتلقاه كثير من أتباع أسرته السابقين ومنهم شمس المعالى قابوس بن وشمكير، ورغم أنه (أى المنتصر) نجح فى هزيمة قوات إيليك خان⁽⁶⁾، غير أن إيليك خان كان من القوة بحيث لم تؤثر فيه ضربات المنتصر (أبو إبراهيم)⁽⁷⁾.

ظل الأمير المنتصر (أبو إبراهيم) ينتقل بين طبرستان وسجستان وخراسان وحوله قلعة من أخصائه حتى نجح فى عام 391هـ / 1001م فى الاستيلاء على نيسابور⁽⁸⁾، وسرعان ما

(1) ذكره الكرديزى: أبو الحسن إيلك بن نصر، ويقول محقق زين الأخبار أن ابن الأثير ذكره إيلك خان ولقبه شمس الدولة أما اسمه الأصل الذى ذكره عن مسكوكاتهم: أبو الحسين نصر بن على الأمير الرابع المعظم لآل أفراسياب الإيلكخانيين.

(2) كاشغر: يسافر إليها من سمرقند وهى فى وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون. ياقوت: معجم البلدان، ج7، ص207.

(3) فامبرى: تاريخ بخارى، ص123.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص56.

(5) العنبي: ج1، ص321، ابن الأثير: ج9، ص58، 59.

(6) ابن الأثير: ج9، ص60.

(7) فامبرى: ص123، 124.

(8) العنبي: تاريخ اليمىنى، ج1، ص324.

أخرجها منها نصر بن سبكتكين⁽¹⁾، ثم وقع أسيرًا في شرك إيلبك خان الذي أسره هو وأتباعه، وما لبث أن هرب ولقى حتفه في مضارب قبيلة بنى بهيج⁽²⁾. وبوفاة آخر الأمراء السامانيين في ربيع الأول من عام 359هـ (ديسمبر 1005م)⁽³⁾ انقضت أسرة كانت تسيطر على بلاد ما وراء النهر وفرغانة، ثم ظلت ابتداء من عهد الأمير نصر - أى قرابة مائة وخمسة وأربعين عامًا - تحكم كل آسيا الوسطى⁽⁴⁾.

(ب) السامانيون وعلاقتهم بالخلافة العباسية:

كان السامانيون يعملون في خدمة الدولة العباسية كولاة لبعض مدن ما وراء النهر، وتم تعيين السامانيين في هذه الولاية منذ عهد الخليفة المأمون الذي كافأهم بذلك على خدمتهم له⁽⁵⁾ وانتقد بعض المؤرخين⁽⁶⁾ سياسة المأمون في تولية قواده إمارة المدن والولايات، وقالوا إنها أدت إلى قيام الإمارات المستقلة، غير أن السامانيين ظلوا منذ أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) على علاقة طيبة بالخلافة العباسية، فعمل أحمد بن أسد الساماني على نشر نفوذ العباسيين في منطقة ما وراء النهر، فضم قسمًا كبيرًا من بلاد الصغد وبلاد ما وراء النهر إلى الدولة الإسلامية، وظل مواليًا للعباسيين حتى توفي، وخلفه ابنه نصر الذي منحه الخليفة المعتمد تفويضًا رسميًا كاملاً بحكم منطقة ما وراء النهر مكافأة له على مواصلة جهود أبيه، وحينما ولي إسماعيل بن أحمد الإمارة بعد أخيه لم تعترض الخلافة على توليته بل أقرته تحقيقًا لرغبة السامانيين. وقد أدت هذه العلاقة الودية بين السامانيين والخلافة العباسية إلى موافقة الخليفة المعتمد على تولية إسماعيل بن أحمد الساماني خراسان بعد أن تمكن من هزيمة عمرو بن الليث الصفاري سنة 287هـ /

(1) العتبي: ج 1، ص 324 - 328، تاريخ كزیده، ص 148 ملحق بتاريخ بخاری، ابن الأثير: الكامل، ج 9، ص 59.

(2) ابن الأثير: ج 9، ص 60، تاريخ كزیده، ص 149، ملحق بتاريخ بخاری، فامبری: تاريخ بخاری، ص 124.

(3) العتبي: ج 1، ص 324 - 327، ابن الأثير: ج 9، ص 59، ص 60، تاريخ كزیده، ص 149، ملحق بتاريخ بخاری.

(4) فامبری: تاريخ بخاری، ص 124.

(5) Lan Poole : Muhammadan Dynasties, P. 131.

(6) Noldeke : Sketches from Eastern History, p. 86.

كما استجاب هذا الخليفة لرغبة إسماعيل الساماني فولاه كرمان وجرجان سنة 290هـ ولما جاء الخليفة المكتفى ولاء إقليم الجبال حتى حلوان⁽²⁾. وهكذا أصبحت معظم الأراضي الفارسية تحت حكم السامانيين برضاء من الخلافة العباسية.

استمر السامانيون على ولائهم للخلافة العباسية حتى في الأوقات التي كانت الخلافة تحاول أن تتحد من نفوذهم. ففي سنة 293هـ هرب "بارس الكبير" وكان من أكبر قواد السامانيين وبلى أمر جرجان من قبلهم، والتجأ هذا القائد إلى بغداد بما معه من أموال هذا الإقليم، فحمه الخليفة المكتفى، ولم يحرك الأمير الساماني أبو نصر أحمد بن إسماعيل ساكناً⁽³⁾، ولم بغضب لهرب عامله بقدر ما أغضبه خروج هذه الأموال من يديه⁽⁴⁾.

كذلك تمكن السامانيون في عهد إسماعيل بن أحمد الساماني من فتح بلاد طبرستان واستردادها من يد "محمد بن زيد" الذي كان يتنازع السامانيين والعباسيين في خراسان، ولم يكتف السامانيون بطرد العلويين، بل أدخلوا طبرستان تحت السلطة الشرعية لدولتهم وصارت الخطبة تقام فيها باسم الخليفة العباسي⁽⁵⁾.

وفي سنة 301هـ / 913م حينما ثار أهالي سجستان على نصر الثاني، عين الخليفة العباسي المقتدر حاكماً من قبله على هذا الإقليم، فقبض على عمال السامانيين في المنطقة⁽⁶⁾.

(1) وقع عمرو بن الليث في أسر إسماعيل بن أحمد الساماني في يوم الأربعاء التاسع من جمادى الآخر سنة 288هـ (أول يوبية 900م) وبالف في إكرامه حتى إبه رد إليه أمواله وجواهره، غير أنه حينما = أرسل إليه الخليفة العباسي المتعصّد يطلب إليه إرسال أسيره إلى بغداد، لم يجد يدّاً من إطاعة أمر الخليفة العباسي، حيث أرسل إلى دار الخلافة وظل في السجن حتى أمر الخليفة المكتفى بقتله في جمادى الأولى من عام 290هـ (أبريل 902م). الرمشخي: تاريخ بخارى، ص 121، 122، فامبرى: تاريخ بخارى، ص 102، 103.

(2) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص 337.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص3.

(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص 112.

(5) الويرى: هاية الأرب، ج23، ص 38 وما بعدها (مخطوط)، ابن الأثير: ج7، ص 188.

(6) ابن الأثير: ج8، ص26.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

ولم يحاول نصر الساماني الاعتراض على هذا التصرف، بسبب ولائه للخليفة⁽¹⁾. حرص السامانيون على ذكر اسم الخلفاء العباسيين في الخطبة ونقش اسمهم على السكة فقد ضرب الدينار الساماني على نمط الدينار العباسي، وذكر عليه أسماء الخلفاء العباسيين من الحكام السامانيين، وذلك في مدن الشاش ونيسابور وسمرقند⁽²⁾. كذلك اهتم الأمراء السامانيون بالحصول على عهود التولية، ليؤكدوا بذلك شرعية حكمهم، فكانت البراءة التي أصدرها الخليفة المعتمد سنة 261هـ / 874م بتعيين الأمير نصر بن أحمد أميراً على بلاد ما وراء النهر⁽³⁾ إيذاناً بقيام الدولة السامانية. لم يكن الخلفاء العباسيون يعارضون فيمن يتولى منهم زمام السلطة، فأقر الخليفة المقتدر الأمير الساماني أبو الحسن نصر الذي لقب السعيد بعد وفاة أبيه أبو نصر أحمد بن إسماعيل سنة 301هـ على البلاد التي كانت لأبيه، رغم صغره ومعارضة عمه إسحق ابن أحمد⁽⁴⁾، وساعد السامانيون الخلافة العباسية في قمع حركات التمرد ضدها في بلاد الفرس وما وراء النهر⁽⁵⁾، على أن الخلافة العباسية في بعض الأحيان تحت ضغط بني بويه أقرت بعض الثائرين على الدولة السامانية على ما وقع بأيديهم من بلاد، وذلك حين خرج القائد الساماني أبو علي بن محتاج على الأمير الحميد نوح بن منصور واستولى على إقليم خراسان واستطاع بمعونة ركن الدولة ومعر الدولة البويهى أن يحصل على تقليد من الخليفة العباسي المطيع بحكم هذا الإقليم سنة 343هـ / 954م⁽⁶⁾. وكان للسامانيين دورهم في حفظ الأمن وحراسة الطرق، وتسهيل سبل المواصلات

-
- (1) عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص122.
 - (2) ناصر الدين النشيتندي: الدينار الإسلامي لملوك الطوائف، ج2، المجلد الثالث، ص296، مجلة سومر سنة 1947م. ضربت أول عملة ذهبية باسم إسماعيل بن أحمد سنة 295هـ / 907م.
 - (3) فامبرى: تاريخ بخارى، ص95.
 - (4) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص28.
 - (5) من أهمها ثورة طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار في سجستان سنة 288هـ وثورة السبكي في فارس سنة 296هـ وثورة ليل بن النعمان سنة 309هـ وثورة ما وكان بن كاكى سنة 330هـ.
 - (6) Siddiqi : Caliphate and Kingship. P 104 (Islamic Culture. Vol, 10, 1946)
 - (6) ابن الأثير: ج8، ص164-167، 175، فامبرى: تاريخ بخارى، ص116.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

وحماية القوافل، ويذكر ابن كثير⁽¹⁾ أنهم أنشئوا نقطاً للحراسة على الطرق كانت الواحدة منها تسع ألف فارس وأوقفوا عليها أموالاً جزيلة.

على أن السامانيين رغم تعاونهم مع الخلافة العباسية، لم يكونوا يرسلون إلى الخلفاء أى خراج بصورة منتظمة⁽²⁾. وقد أعطى ذلك للسامانيين نوعاً من الاستقلال مكنهم أن يوجهوا تلك الأموال إلى تنظيم دولتهم⁽³⁾.

(1) البداية والنهاية ج11، ص106. وأن الذى قدم على ذلك إسماعيل بن أحمد.

(2) Siddiqi : Caliphate and Kingship, vol, 10, p. 104.

(3) اهتم السامانيون بتنظيم دواوينهم واختيار موظفيهم وكتائبهم، وكانوا يميلون إلى الإكثار من عدد الوظائف شأنهم شأن الفرس القدماء، فقد كثر عدد الحجاب وعارض الجيوش واضطر السامانيون نظراً لسعة أرجاء دولتهم إلى إنشاء ما يشبه منصب "نائب الملك" فكانوا يقيمون في بخارى على حين أن صاحب جيشهم كان يقيم في نيسابور والتي كانت على أيام الطاهريين قصبة خراسان. البيهقي، ص110، ابن الأثير: ج8، ص151. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ص30 - 31.

الدولة الغزنوية

يرتبط ظهور الغزنويين بالضعف الذى انتاب الدولة السامانية في نهاية عهدها فقد كان السامانيون يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على العناصر لتركية التى يجلبونها من بلاد التركستان المتاخمة لهم. وتطلعت هذه العناصر إلى الاستقلال بالولايات الشرقية منذ أن استعان بهم السامانيون في إدارة شئون دولتهم⁽¹⁾.

كان البتيكين⁽²⁾ مملوكًا تركيًا انخرط في سلك الجيش الساماني⁽³⁾، وما زالت تتدرج به المناصب حتى أصبح كبير حجاب الأمير بعد الملك ابن نوح (343 - 350 هـ / 954 - 961 م)⁽⁴⁾، ومن ثم ارتفع شأنه وازداد نفوذه في الدولة السامانية حتى كان الوزير أبو على البلعمى لا يصدر أمرًا من غير علمه ولا مشورته⁽⁵⁾، ثم تولى الإمارة على جيوش

(1) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص 89.

(2) البتيكين: كلمة مركبة من ألب بمعنى البطل وتكين بمعنى المسمى أو الشبيه. فامبرى: تاريخ بخارى ص 117، وفي المعجم في اللغة الفارسية لمحمد موسى هنداوى "ألب" بمعنى بطل أو رجل قوى وتكين "شجاع" أو "قادر".

(3) كان غلامًا لدى أحمد بن إسماعيل الساماني. حمد الله المستوفى: تاريخ كزينة، ص 140، ملحق بتاريخ بخارى للنرشخى.

(4) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص 98، دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص 504، مادة البتيكين،

Ali. M. A : A New History of Indo-Pakistan p. 7 (Dacca 1970).

(5) ولى أبو على البلعمى الوزارة بفضل نفوذ البتيكين. دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص 504، مادة البتيكين.

Ali, M, A : A New History of Indo-pakistan, p.7.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

خراسان⁽¹⁾. وكان عمره وقتذاك خمسًا وثلاثين سنة، وقد عرف بوفائه، كما تميز بحسن التدبير والرأى⁽²⁾.

لما توفي عبد الملك بن نوح سنة 350 هـ / 961 م رأى الأمراء ضرورة استشارة البتكين في اختيار من يخلفه في الإمارة، فأرسلوا يستأذنه في تولية الأمير السديد منصور ابن عبد الملك، ولما كان منصور هذا شابًا حدثًا لذلك رفض البتكين توليته واختار عمه (أى عم منصور) ولكن الأمراء ولوا منصورًا⁽³⁾. وأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الأمير الجديد والبتكين، وباءت محاولات البتكين تحسين علاقته مع هذا الأمير بالفشل⁽⁴⁾.

وبعد مضي ست سنوات استدعى الأمير منصور البتكين إلى بلاطه⁽⁵⁾، فحشى البتكين غدر الأمير الساماني وترك إمارة خراسان متجهًا مع أتباعه صوب غزنه⁽⁶⁾، فعين الأمير منصور أبا الحسين بن سيمجور مكانه في خراسان⁽⁷⁾ وأرسله في عشرة آلاف مقاتل لمقاتله البتكين الذى تمكن من إيقاع الهزيمة بهم على مقربة من بلخ، ثم واصل مسيرة إلى غزنه فحاصرها واستولى عليها من حاكمها الساماني (أبو بكر لويك)⁽⁸⁾ ولم يكتف بذلك بل غزا زابلستان، وأقام بها إمارة مستقلة عن السامانيين عاصمتها غزنه⁽⁹⁾.

(1) كان سببسلار السامانيين، البيهقي، ص 98، 218. وتذكر دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص 504 مادة البتكين أن ذلك في ذى الحجة 349 هـ (يناير / فبراير 961 م).

(2) نظام الملك لطوسي: سياسة نامه ص 141 - 142. يذكر بارتولد أن هدف الأمير الساماني من تعيينه أميرًا على جيوش خراسان إبعاده عن العاصمة بخارى بعد أن تزايد نفوذه فيها. دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص 504.

(3) الترمشني: تاريخ بخارى، ص 143.

(4) فامري: تاريخ بخارى، ص 117.

(5) حمد الله المستوفى: تاريخ كزیده، ص 143. ملحق بتاريخ بخارى.

(6) ابن الأثير: ج8 ص 192، منتخب التواريخ ص 8. تصنف عبد القادر بن ملوك شاه بدواني، (تلكته 1868 م).

(7) دائرة المعارف الإسلامية ج2 ص 504 مادة التكين.

(8) الملقب بالصاحب أو "بادشاه" ولعله أحد زعماء الكشانش المتأخرين. دائرة المعارف الإسلامية ج2 ص 391 مادة أفغانستان.

(9) حمد الله المستوفى، تاريخ كزیده، ص 143، ملحق بتاريخ بخارى.

اتجه الأمير منصور إلى مصالحة البتكين⁽¹⁾ والاعتراف به حاكماً لغزنه، وولى ابنه أبا إسحق إبراهيم⁽²⁾ قيادة الجيوش بخراسان، ففرغ البتكين لإدارة أمور غزنه التي ظل على حكمها ستة عشر عاماً⁽³⁾.

لم يلبث البتكين أن توفي سنة 352هـ / 963م وكان ابنه أبو إسحق في بخارى حين بلغه اضطراب الأمور في غزنه⁽⁴⁾، فاستأذن أبو إسحاق الأمير منصور في العودة إلى هذه المدينة حيث تمكن من القضاء على ثورة أبي على آنوك واستقر له حكم غزنه سنة 354هـ / 965م⁽⁵⁾.

ولما توفي أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين⁽⁶⁾ في ذى الحجة سنة 355هـ (ديسمبر 966م) خلفه "بالكانكين"⁽⁷⁾ واجتمعت كلمة الأمراء على اختياره⁽⁸⁾، ثم أجمع القادة بعد وفاته

= غزنة عاصمة زابلستان وهي ولاية واسعة في طرف زابلستان، والأفصح في اسمها "غزنين" وهو الاسم المعروف به عند العلماء وتعرف فيقال "جزنة" وإليها ينسب الغزنويون وهذا النسب سماعي وكان القياس يقضى بأن يقال "غزنيون" وتقع غزنة حالياً إلى الجنوب الشرقي من مدينة كابول عاصمة أفغانستان على مسافة 120 (مائة وعشرين كيلو متر) تقريباً، ياقوت: معجم البلدان، ج6، ص289.

على مسعود الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، ص10، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة.
(1) مسكويه: تجارب الأمم، ج6، ص191، 192، حمد الله المستوفى: تاريخ كزيلة، ص142، ملحق بتاريخ بخارى.

(2) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ج2، ص416.

(3) وقد ذكر ابن حوقل أن ملك البتكين أمتد إلى غزنة وكابل. صورة الأرض، ص434، 450.

(4) طبقات ناصري (فارسي) للقاضي منهاج سراج الجوزجاني تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبي، ج1، ص226.

(5) أحمد دده المولوى: جامع الدول، ج1 (مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدولة العربية رقم 195). يقول يار تولد: أن أبا إسحاق لم يستطع الاحتفاظ بسلطانه إلا بمعونة السامانيين وبهذا أصبحت غزنة إمارة تابعة للسامانيين. دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص504 مادة البتكين.

(6) أشار إليه ابن حوقل ولقبه صاحب خراسان. صورة الأرض، ص14.

(7) نظام الملك: سياسة نامه، هامش، ص153. كان لإسحاق مملوكان هما بنكاكين، وسبككين. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ج2، ص416.

(8) حكم حتى سنة 363هـ / 972م حيث مات وهو محاصر إحدى قلاع الهند. نظام الملك: سياسة نامه، هامش، ص153. وذكرت دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص291، مادة أفغانستان. أنه ضرب السكة باسمه في غزنة سنة 359هـ / 969م وهو الأمر الذي لم يفعله أحد من أسلافه.

الطاهريون والمفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

على تولية "بيري" أحد غلمان البتكين⁽¹⁾، وقد تعرضت البلاد في عهده لخطر داهم، تمثل في تحالف ابن حاكم غزنه السابق ابن آنوك مع بعض القوى المجاورة في المنطقة⁽²⁾ وفاجأ غزنه في جيش كبير، فاضطرب أهلها، ولكن سبكتكين تمكن من إنقاذ الموقف وتصدى لهذا الجيش فاستقر رأى الجميع على توليته مكان "بيري"⁽³⁾.

يعتبر سبكتكين⁽⁴⁾ أحد موالى البتكين⁽⁵⁾ وزوج ابنته المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية⁽⁶⁾ ويذكر ابن الأثير⁽⁷⁾: "أن أبا إسحق ابن البتكين لما توفي ولم يخلفه من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم اجتماع عسكره ونظروا فيمن يلى أمرهم، فاختلفوا، ثم اتفقوا على سبكتكين، لما عرفوه من التعقل والدين والمروءة وحب الخير، فقدموه عليهم وولوه أمرهم، وحلفوا له وأطاعوه فوليههم وأحسن السيرة فيهم وساس أمورهم سياسة حسنة".

عمد سبكتكين بعد أن ولى إمارة غزنه إلى توسيع ملكه فاستولى على مدينة بست⁽⁸⁾، كما

- (1) نظام الملك: سياسة نامه هامش ص 153، زامباوز: معجم الأنساب، ج2، ص 416.
 - (2) مثل أمير كابل وجييال ملك الهند. المولوى: جامع الدول ج1 (مخطوط).
 - (3) العتبي: تاريخ اليميني ج1، ص 57، الجوزجاني: طبقات ناصري: ج1، ص 226، 227.
 - (4) سبكتكين: هو مسكتكين بن جوقى الملقب بقرايچكم. الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص 226 وقرايچكم كلمة تركية مركبة من كلمتين "قرا" بمعنى أسود ويعكم بمعنى زعيم أو شجاع فتعني الكلمة الزعيم الأسود.
 - (5) اشتراه البتكين من تاجر رقيق في نيسابور عندما كان البتكين سيهسالار (قائد جيش) السامانيين. البيهقي: ص 217، المولوى: جامع الدول، ج1 (مخطوط).
 - (6) Lane Poole: Muhammadan Dynasties, p. 285.
 - (7) الكامل في التاريخ، ج8، ص 247، نظام الملك: سياسة نامه ص 153، تاريخ أبى الفدا ج2، ص 123.
 - (8) العتبي: تاريخ اليميني، ج1، ص 64 - 67، أبى الفدا: المختصر، ج2، ص 123، خواندمير: حبيب السير في أخبار البشر، المجلد الثاني، ص 18 بومباي 1857م.
- وبست: مدينة بيس سجستان وغزنة وهرة من أعمال كابل (كرشك حالياً) ويقال لناحيها كرم سير (لشدة حرارتها)، والى بست يسب الشاعر ذو اللسانين صاحب التجنيس أبو الفتح البستي، وقد كان كاتباً لبلى توز، ثم تولى فيها بعد ديوان الرسائل في عهد سبكتكين. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص 170، العتبي: ج1، ص 67 - 68.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

اضطر حاكم قصدار⁽¹⁾ إلى أداء الجزية له وإقامة الخطبة باسمه على المنابر⁽²⁾. ومع أن سبكتكين يعتبر من الناحية العملية مستقلاً عن السامانيين إلا أنه اعترف لهم بالسيادة وفتح البلاد باسمهم⁽³⁾ حتى "اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جيشه، وعمرت خزائنه، وأشفقت النفوس من هيئته"⁽⁴⁾، ففي سنة 384هـ استعان نوح بن منصور الساماني (366 - 387هـ / 976 - 997م) بسبكتكين لمحاربة أبي على بن سيمجور وفاق الخافضة للذين شقا عصا الطاعة في خراسان، وأسند نوح ولاية خراسان لسبكتكين، ودارت الحرب بنواحي هراة بين نوح الساماني يعاونه سبكتكين وابنه محمود، وبين أبي على بن سيمجور وفاق الخافضة يعاومهم فخر الدولة بن ركن الدولة البويهي⁽⁵⁾، وانتهت الحرب بانتصار سبكتكين وتمكن من الاستيلاء على نيسابور⁽⁶⁾، وحقق سبكتكين بهذا النصر مكاسب كبيرة إذ منحه نوح لقب "ناصر الدولة" وولى ابنه قيادة الجيوش في خراسان ومنح له "سيف الدولة"⁽⁷⁾.

وبعد أن عاد الأمير نوح إلى حاضرة دولته بخارى، بقي سبكتكين في هراة، وأقام ابنه محمود في نيسابور، على أن أبا على وفاقاً عاودا الإغارة على خراسان، ففي سنة 385هـ / 995م اشتبك هذان القائدان مع محمود بن سبكتكين، فانهزم وانسحب إلى هراة⁽⁸⁾، على أن

(1) قصدار: بالضم ثم السكن ودال بعدها ألف وراء. ويقال لها قردار. ناحية مشهورة قرب غزنة بينها وبين ست ثمانون فرسخاً وبينها وبين الملتان نحو عشرون مرحلة وقصدر قصبة ناحية يقال لها طوران. ياقوت: معجم البلدان، ج7، ص95، العتبي: ج1، ص72.

(2) العتبي: ج1، ص74، خواتمير: حبيب السير، المجلد الثاني، 18.

(3) Lane Poole : Muhammadan Dynasties, p. 286.

(4) العتبي: تاريخ اليميني، ج1، ص63.

(5) العتبي: ج1، ص184، ابن الأثير: الكامل ج9 ص38.

(6) ميرخواند: روضة الصفا ص1.

(7) العتبي: تاريخ اليميني، ج1، ص187 - 193. وقد ذكر أن هذه المعركة دارت في منتصف رمضان 384هـ ووافق ابن الأثير، ج9، ص39، 40 وحمد الله المستوفى: تاريخ كريدة، ص146، ملحق بتاريخ بخارى.

(8) وأقام أبو على بن سيمجور في نيسابور وأقام الخطبة باسمه (أي اسم أبي على). البيهقي: ص221.

سبكتكين ما لبث أن أعد جيشاً لطرد أبي على بن سيمجور من خراسان، واستطاع أن يوقع بقواته الهزيمة، ونجح في إعادة هذا الإقليم لأمته⁽¹⁾.

توفي سبكتكين في شعبان من عام 387هـ (أغسطس سبتمبر 997م) بعد أن حكم عشرين سنة⁽²⁾، وضع فيها أساس الدولة الغزنوية بفضل ما أحرزه من فتوحات، وقد وصفه العتبي بأنه "أبى النفس، حمى الأنف، جرى القلب، قوى البطش كريم الخيم (السجاية) وضى التدبير كبير الهمة كثير الحكمة"⁽³⁾، وكان يعتبر نفسه كأحد الجنود، فلا يسمو به تعاضم أو سلطة⁽⁴⁾. كما عرف بزهده وتعففه وترفعه عن الشهوات وتمسكه بالعدل⁽⁵⁾، وحسن الاعتقاد، وكان ذا مروءة تامة وحسن عهد ووفاء⁽⁶⁾.

كان سبكتكين قد أوصى قبل وفاته لابنه إسماعيل⁽⁷⁾ بالملك من بعده⁽⁸⁾، فلما توفي سبكتكين بايع الجند إسماعيل، فوزع عليهم الأموال، لكنهم مالبثوا أن استضعفوه لصغر سنه، واشتطوا في طلب الأموال. حتى خلت خزائن أبيه. ولما علم محمود بولاية أخيه إسماعيل، وكان إذ ذاك بنيسابور أرسل إليه يطلب منه إمارة غزنه، ويأخذ بلخ بدلاً منها⁽⁹⁾، ويذكره أن أباه إنما عهد إليه بالملك لبعده (أي محمود) عنه، وترددت الرسل بينهما في ذلك، ولما لم يستقر الأمر على حال يرضى الطرفين. لم يجد محمود بداً من أن يقصد أخاه بغزنه، فسار من نيسابور إلى هراة، وهناك اجتمع بعمه "بغراجق" فساعدته على الوقوف ضد أخيه، فتوجه إلى "بست" وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه إلى غزنه، فلما بلغ

(1) حمد الله المستوفى: تاريخ كزیده ص 146 ملحق بتاريخ بخارى بخارى.

(2) أبو الفدا: المختصر، ج2، ص 140.

(3) تاريخ اليميني، ج1، ص 55، 56.

(4) العتبي: ج1، ص 61.

(5) حتى أنه عرف بالعدل، البيهقي، ص 480، 481.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 48.

(7) كان إسماعيل أحو محمود من أبيه إذ أن أمه كانت ابنة البتكين أما محمود فقد أنجبته أبوه من زوجته ابنة رئيس زاولستان، ولهذا لقب محمد بالزاولي. نظام الملك سياسة نامه ص 154، حمد الله المستوفى: تاريخ كزیده، ص 391 (فارسي).

(8) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 49، تاريخ أبي الفدا، ج2، ص 140.

(9) العتبي: تاريخ اليميني، ج1، ص 274، بداوني: منتخب التواريخ ص 9.

الخبر إسماعيل، وكان حينئذ في بلخ سار إلى غزنه وفي تلك الأثناء كان بعض الأمراء الموالين له وعوده بمعاوضته والوقوف إلى جانبه، فالتقى هو وإسماعيل بظاهر غزنه حيث اشتد القتال بينهما فانهزم إسماعيل واعتصم بقلعة غزنه⁽¹⁾، حاصره محمود وطلب منه النزول وأمنه، فلما نزل أحسن إليه وأكرمه⁽²⁾.

بينما كان محمود بن سبكتكين مشغولاً بالصراع مع أخيه حدث تطور في معسكر السامانيين إذ قرب إيلك خان فائق الخاصة⁽³⁾ وجعله في حمايته، ثم أرسله في جيش من ثلاثة آلاف رجل إلى بخارى، فبادر أبو الحارث منصور بن نوح إلى عبور النهر تاركاً لهم بخارى، فدخلها فائق الخاصة الذي ما لبث أن أظهر الولاء والطاعة للأمير أبي الحارث وطالبه بالرجوع إلى حاضرتة. فعاد ليحكم تحت سيطرة ونفوذ فائق، وعين أبو الحارث منصور حاجبه الكبير "بكتوزون" والياً وقائداً لجيوش خراسان⁽⁴⁾، فاستاء محمود الغزنوي من منصور بن نوح الساماني لاتتازعه نيسابور وأمرة خراسان منه، فأرسل إليه يذكره بطاعته وولائه، ويطلب منه أن يعيده إلى خراسان⁽⁵⁾. ولما لم يجب طلبه عول على استخدام القوة واتجه بجيشه إلى نيسابور وانسحب من أمامه بكتوزون، وأرسل يستنجد بالأمير الساماني أبي الحارث فأجبه ودارت الحرب بين الطرفين، وكان في مقدور محمود أن يقضى عليها، غير أنه أثر التريث، متبعاً سياسة أبيه في إظهار الولاء للسامانيين⁽⁶⁾.

لم تلبث الفرصة أن سنحت للأمير محمود الغزنوي لتحقيق أطماعه عندما تحالف فائق

(1) أبو الفدا: المختصر، ج2 ص140.

(2) انظر: منتخب التواريخ لبدائوني، ص9.

(3) غلام نوح بن نصر الساماني، وكان قد فر إلى شهاب الدولة هارون بن سنيان إيلك هو وأبو الحسن بن سيمحور القائد الساماني ثابرين على منصور بن نوح الأمير الساماني وأطمعاه في الاستيلاء على بخارى. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج3، ص160.

(4) ولقبه بسانان الدولة. العتبي: تاريخ اليمن، ج1، ص271.

(5) العتبي: ج1، ص271، ابن الأثير: الكامل، ج9، ص48.

(6) العتبي: تاريخ اليمن، ج1، ص292 - 295، تاريخ كزیده، ص147، ملحق بتاريخ بخارى، ابن الأثير: الكامل، ج9 ص52.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

ويكتوزون ضد الأمير الساماني رغبة في التخلص منه منه، فقبضوا عليه وسملوا عينيه ووليًا مكانه أخاه عبد الملك بن نوح سنة 389هـ / 998م⁽¹⁾ فسار محمود بقواته إلى "مرو"⁽²⁾ حيث التقى بهم في جمادى الأولى سنة 389هـ (أبريل / مايو 998م) وأوقع بهم الهزيمة وفر الأمير عبد الملك بن نوح وفاق إلى بخارى بينما تراجع بكتوزون وابن سيمجور - الذي كان قد انضم إليهما - إلى قهستان⁽³⁾.

حقق محمود الغزنوي باستيلائه على خراسان آماله وآمال أبيه في وراثة أهم ممتلكات السامانيين وولى عليها أخاه نصر بن سبكتكين الذي صار قائدًا لجيوش خراسان، وأعلن محمود الغزنوي نفسه سلطانًا، وأرسل إليه الخليفة القادر بالله العباسي الخلع والألقاب وأقره على ما في يديه⁽⁴⁾.

على أن الأمير الساماني عبد الملك بن نوح لم يركن إلى الهزيمة التي ألحقها به محمود بن سبكتكين وانتزاع خراسان منه، ففي سنة 389هـ / 998م دعا الأمراء المعادين للسلطان محمود في بخارى وعلى رأسهم فاتق وبكتوزون لمواجهة خطره، لكن خططهم للوقوف في وجهه باءت بالفشل⁽⁵⁾.

لم يبق للسامانيين سوى بخارى فيها وراء النهر، ولم يكن محمود يطمع في الاستيلاء على أملاكهم في هذا الإقليم، فقد اعتبر نهر جيحون حدًا طبيعيًا مناسبًا لدولته من جهة الشمال، وبذلك أتاح الفرصة لإيليك خان ليستولى على بخارى، فقصد عاصمة السامانيين وأظهر لعبد الملك ابن نوح أنه لم يقدم إلى بلده ألا للوقوف إلى جانبه ضد

(1) العتبي: ج1، ص 296 - 298، تاريخ أبي الفدا، ج2، ص 141، فامبري: تاريخ بخارى، ص 123.

(2) مرو: مرو الشاهجان: أشهر مدن خراسان وقصبتها، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخًا (175 ميلًا) وبالقرب من مرو الشاهجان مرو الروذ على بعد خمسة أيام منها وهي على نهر عظيم فلها سميت به لأن روذ معناها في الفارسية نهر فسميت به غير أن مرو الروذ صغيرة بالنسبة لمرو الشاهجان. ياقوت: معجم البلدان، ج8، ص 32، 33 (م 11 - الحياة السياسية).

(3) العتبي: ج2، ص 310.

(4) العتبي: تاريخ اليمن، ج1، ص 314، ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 54، 55.

(5) ذلك أن فاتق الخاصة وهو من أقوى الأمراء المعادين للسلطان محمود توفي في شعبان 389هـ، ففت ذلك في عضد هؤلاء الأمراء وأضعف من شأنهم. ابن الأثير: ج9، ص 55.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

أعدائه فظن عبد الملك صدق قوله، فلما التقى به بكتوزون وغيره من الأمراء والقادة ألقى القبض عليهم. ودخل إيليك خان بخارى معلناً سقوط الدولة السامانية في العاشر من ذي القعدة سنة 389هـ (الاثنين 24 أكتوبر سنة 999م)⁽¹⁾.

انجبه الغزنويون بعد سقوط الدولة السامانية إلى توسيع رقعة دولتهم بمد نفوذهم إلى الإمارات المحيطة بهم، فسار محمود لمحاربة خلف بن أحمد صاحب سجستان⁽²⁾، الذي قام بعدة محاولات للاستقلال عن غزنه في عهد سبكتكين. ولما أيقن أنه لا يستطيع الوقوف في وجهه طلب منه العفو والصفح، فعفا عنه وأبقى على ولايته⁽³⁾، غير أن خلف بن أحمد لم يبق على ولائه للغزنويين وأخذ يترقب الفرص للعودة إلى العسيان⁽⁴⁾. فلما توفي سبكتكين سنة 389هـ وخلفه ابنه محمود، عاد خلف إلى الانتفاض على الغزنويين، فأرسل ابنه طاهر إلى قهستان فملكها، ثم سار منها إلى بوشنج⁽⁵⁾ وهرات فانتزعها من واليها "بغراجت" عم السلطان محمود⁽⁶⁾ فقام بغراجت بطرد طاهر من ولايته، واشتبك معه في معركة انتهت بهزيمة طاهر، على أن طاهر ابن خلف لم يركن إلى الهزيمة، بل انتقض فجأة على بغراجت وقتله⁽⁷⁾، فغضب محمود لمقتل عمه وتوجه سنة 390هـ على رأس جيش كبير إلى سجستان لقتال "خلف" وحاصره في حسن "أصبهذ" وأجبره على دفع فدية كبيرة⁽⁸⁾ وصار موالياً للدولة الغزنوية وسلطانها محمود⁽⁹⁾.

(1) العيني: تاريخ اليميني، ج1، ص320، ابن خلدون: العبر، ج4، ص363 (بولاق سنة 1284هـ)،

ابن الأثير: ج9، ص56 وذكر حمد الله المستوفى: تاريخ كزنده، ص148 ملحق بتاريخ بخارى أن استيلاء الحاد على بخارى وسقوط الدولة السامانية كان في الثاني والعشرين من ذي الحجة 389هـ.

(2) سجستان: تقع جنوبي هرات، وبينها وبين هرات ثمانون فرسخاً. ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص37.

(3) العيني: ج1، ص354، 356.

(4) ابن الأثير: ج9، ص60.

(5) بوشنج: بلدة نزيهة في واد مشجر نواحي هرات. ياقوت: ج2، ص204.

(6) العيني: تاريخ اليميني، ج1، ص357، ابن الأثير: الكامل، ج9، ص60.

(7) العيني: ج1، ص357، 358، ابن خلدون: العبر، ج4، ص364، ابن الأثير: ج9، ص60.

(8) مقدارها مائة ألف دينار. العيني: ج1، ص359، 360.

(9) ابن الأثير: ج9، ص60، خوند أمير: حبيب السير في أخبار البشر ج2 ص11.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

ما لبثت الأمور أن تطورت في سجستان لصالح محمود، إذ ساءت العلاقة بين خلف وابنه طاهر، وتمكن الابن من هزيمة أبيه وولى حكم البلاد، غير أن خلف تمكن من الاحتياط على ابنه وقتله⁽¹⁾، وأعلن استقلال سجستان عن غزنه⁽²⁾. فغضب الجند المواليون لطاهر، وتمكنوا من الاستيلاء على السلطة وأعلنوا دخولهم في طاعة محمود بن سبكتكين، وأقاموا له الخطبة في سنة 393هـ / 1002 - 1003م⁽³⁾.

عول محمود بن سبكتكين على القضاء على خلف بن أحمد الذي فر إلى قلعه⁽⁴⁾ "طاق"⁽⁵⁾ وما لبث أن دخل هذه القلعة واضطر خلف إلى طلب الأمان، فأجبه وسمح له أن يقيم حيث يشاء فاختار الجوزجان⁽⁶⁾ ثم بلغ محمود أنه يكتب إليك خان ويجرؤه على غزوه فأبعده إلى "كرديز" حيث توفي⁽⁷⁾ في رجب سنة 399هـ (مارس 1009م)⁽⁸⁾.

(1) العتي: ج1، ص 368، 370. يروي غونند أمير: حبيب السير ج2 ص 21 أن خلف ترك حكومة سجستان لابنه وانشغل بالعبادة، غير أنه ندم على ما فعل وغدر بابنه وقتله، ولما علم محمود بذلك قصده ليحاربه انتقاماً لما فعله.

(2) ابن الأثير: ج9، ص 60.

(3) العتي: ج1، ص 370، هلال بن الصابي: تحفة الأمراء، ص 414، ابن الأثير: ج9، ص 63.

(4) قلعة طاق أو حصن طاق: كان لهذا الحصن سبعة أسوار يحيط بها خندق واسع عميق صعب العبور، لا يعبر منه إلا من طريق في مضيق على جسر يطرح عند الحاجة ويرفع عند الاستغناء عنه. العتي: ج1، ص 371.

(5) طاق: من مدن سجستان بطرف خراسان بينها بين شمال زرنج مسيرة يوم الكرديزي: زين الأخبار هامش ص 177.

(6) تاريخ أبي الفدا: ج9، ص 142. والجورجان أو جوزجان: اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهي بين مرو الروذ وبلخ ويقال لقصبها "اليهودية" ومن مدنها الأنبار وفاراب وكلاز.

ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص 167.

(7) يذكر الكرديزي: أن موت خلف كان في بلدة دهك في زابلستان. زين الأخبار ص 177.

(8) العتي: ج1، ص 368 - 374 ويذكر حمد الله المستوفى: تاريخ كزیده (فارسي) ص 392 أن خلف بن أحمد عاود الخروج على السلطان ولجأ إلى إليك خان فقبض عليه محمود الغزنوي وأرسله من سجستان إلى قلعة جرجان فظل بها إلى أن مات.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

أسند محمود ولاية سجستان إلى أحد أمرائه ويدعى "قنجي الحاجب" فثار عليه بعض أهل المدينة، فسار إليهم محمود الغزنوي، وتمكن من القضاء على ثورتهم في ذى الحجة سنة 399هـ (يولية / أغسطس 1009م) وصفت له سجستان فأقطعها أخاه نصرًا بالإضافة إلى نيسابور⁽¹⁾.

ولما فرغ محمود الغزنوي من أمر سجستان اتجه إلى قصدار، وكانت خاضعة لنفوذ الغزنويين منذ أيام سبكتكين، غير أن أميرها منع ما كان يرسله للسلطان محمود، محتميًا بحليفه إيلك خان الذي كان يلى ما وراء النهر، ولما كانت علاقة السلطان محمود طيبة بالخان، فقد تغاضى عما قام به أمير قصدار، إلى أن تبدلت العلاقة وفسد الحال بينها، فلم يعد هناك ما يمنع محمود من المسير إليه، وواتته الفرصة حينما انشغل الخان بصراعه مع أخيه "طغان خان" فاتجه إلى قصدار في جمادى الأولى سنة 402هـ (نوفمبر / ديسمبر 1011م) مظهرًا أنه يقصد هراة، ثم ما لبث أن غير وجهته فأحاط بقصدار، فلم يجد حاكمها الذي فوجئ بالجيوش الغزنوية بدءًا من طلب الأمان وعاد إلى الصاعة⁽²⁾.

واصل محمود الغزنوي جهوده لمدة نفوذ دولته، فاتجه إلى بلاد غرستان⁽³⁾ وكان يلى حكمها في زمن الغزنويين الشار أبو نصر محمد ابن أسد، الذى نزل على الملك لابنه الشاه محمد⁽⁴⁾، ولما آلت خراسان إلى محمود بن سبكتكين دخل في طاعته حكام تلك البلاد، وقام العتي⁽⁵⁾ المؤرخ بالسفارة بين السلطان وبين الشاه وابنه فقبلا إقامة الخطبة باسم السلطان محمود سنة 389هـ / 998 - 999م وحافظا على طاعة محمود، ورفضوا الانضمام إلى بقايا السامانية في محاولتهم استعادة سلطنتهم⁽⁶⁾.

(1) العتي: ج1، ص 386-389، ابن الأثير: ج9، ص 65.

(2) العتي: ج2 ص 132، 133، ابن الأثير: ج9 ص 84.

(3) غرستان: معناها بلاد الغرش وتسمى أيضًا غرستن و"غرج الشار" ومعنى الغرج "الجبال" والشار هو الملك ويسمونها العوام "غرستان" وهى ولاية تقع شمال غزنة ويحدها شمالًا مرو الروذ وغربًا هراة وأشهر مدنها "بايكاد" مقر الشار (الملك) ويسير وسورمين وهى ملاصقة ببلاد العور. ياقوت: معجم البلدان، ج6، ص 277.

(4) واشتغل بالعلوم ومجالسة العلماء. العتي: ج2، ص 133.

(5) أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت 428هـ / 1036م).

(6) يروى العتي أن الشاه محمد حصر إلى بلاط السلطان الغزنوي ليقدم فروص الولاة والطاعة.

تاريخ اليمنى، ج2، ص 133 - 138.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

غير أنه عندما اعتزم السلطان محمود غزو الهند في نفس العام (389هـ) وأرسل إلى ولاية الأقاليم في دولته يطلب منه إمداده بالقوة اللازمة - لم يستجب حاكم غرستان - وأظهر التمرد⁽¹⁾ والعصيان، فتغاضى السلطان محمود عن عصيانه حتى عاد من غزوته في الهند وعول على استعادة نفوذه في غرستان⁽²⁾ فأرسل إليها جيشاً بقيادة أبي سعيد التوتاش وأرسلان جاذب وإلى طوسن، واستطاع الجيش الغزنوي دخول غرستان غير أن حاكمها لم يستسلم للهزيمة، ولجأ مع بعض قواته إلى إحدى القلاع وتحصن بها، فحاصره الجيش الغزنوي حتى اضطر إلى الاستسلام وقبض عليه حيث سبق إلى غزته⁽³⁾، وخضعت غرستان من جديد للسلطان محمود⁽⁴⁾.

رأى السلطان محمود أن يتابع سياسته في تدعيم سلطة دولته، بغزو بلاد الغور⁽⁵⁾، فسار إليها على رأس قواته، وخرج إليه حاكمها "ابن سوري" في عشرة آلاف مقاتل⁽⁶⁾، ودارت الحرب بين الفريقين، وتمكن جند الغزنويين من دخول مدينة أهنيكران⁽⁷⁾. وكان ذلك في سنة 401هـ / 1010 - 1011م⁽⁸⁾.

استمرت إغارات لسلطان محمود على بلاد الغور، مستغلاً في ذلك قدراته وإمكاناته الحربية، ففي سنة 405هـ / 1014م زحف على "خوابين" - وهي متصلة بأراضي بست

(1) العتي: ج2، ص140، ابن خلدون: العبر، ج4، ص359، ابن الأثير: ج9، ص55.

(2) ابن الأثير: ج9، ص55.

(3) العتي: تاريخ اليميني، ج2، ص140 - 146.

(4) العتي: ج2، ص140 - 146، خوندميز: حبيب السير، ج1 ص20.

(5) الغور: ولاية واسعة موحشة تغلب عليها الطبيعة الجبلية والمناخ البارد وكانت تقع بين هراة وغزنة، ورغم إحاطة ديار الإسلام بهذا الإقليم فقد ظلوا على الكفر إلا قلة منهم اعتنقت الإسلام وقد وصف العتي ملكهم بأنه زعيم الكفرة، وكانت مدينة فيروزكوه عاصمتهم، وكان ملوكهم يحملون اسم "سوري". الأصطخري: المسالك والممالك، ص153 - 157، العتي: ج2، ص123، ياقوت: معجم البلدان ج6 ص213.

(6) العتي: ج2 ص122، 123، البيهقي: ص118 - 120، ابن الأثير: ج9، ص82.

(7) العتي: ج2، ص125، ابن الأثير: ج9، ص82.

(8) العتي: ج2، ص124، ابن خلدون: العبر، ج4، ص369.

ودراو - وتمكن من فتح الحصون الموجودة في هذه المنطقة⁽¹⁾، ولم يزل يواصل غزوه بلاد الغور حتى تمكن من الاستيلاء على "وي"⁽²⁾ قاعدة تلك البلاد⁽³⁾.

ظلت بلاد الغور خاضعة للغزنويين في عهد السلطان محمود وابنه السلطان مسعود، وجاء أمراؤها بين راغب وكاره يقدمون فروض الطاعة للسلطان مسعود، ولم يتفق في أي عهد أنهم خضعوا لملك مثله من قبل، على حد قول البيهقي⁽⁴⁾.

ولم يكن الأفغان⁽⁵⁾ أقل خطراً من الغور، فكانوا يسكنون الجبال القريبة من غزنه، ويقطعون الطرق المؤدية لها، فعول السلطان محمود على إخضاعهم فقصده في سنة 409هـ / 1018م بلادهم وسلك مضائقها. وفتح مغالقها، وغنم أموالهم فركنوا إلى الهدوء والطاعة لغزنه⁽⁶⁾.

كذلك اتجه السلطان محمود الغزنوي إلى جرجان وطبرستان لإخضاعها وكانت تحت حكم آل زيار⁽⁷⁾. وقد عمل السلطان محمود على الاستفادة من الخلافات التي نشبت داخل الأسرة الزيارية. وكان دارا بن الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير الزيارى قد لجأ إليه، وحدث أن تغير عليه السلطان محمود فأودعه السجن، ثم أراد أن يفيد منه بعد

(1) البيهقي: ص 118.

(2) كان "وي" ذات موقع استراتيجي هام بحيث يستطيع من يسيطر عليها أن يفرض سيطرته ونفوذه على المنطقة كلها. البيهقي، ص 121.

(3) البيهقي، ص 121 - 124.

(4) البيهقي، ص 118.

(5) كان العنصر الأفغاني يقيم في بلاد سبلخان القريبة من غزنه، ويتسم الأفغان بالأنوف الطويلة الضيقة والعيون السوداء، ويبلغ طول قامتهم ما بين 63.5 إلى 69 بوصة، وهم من أصل إيراني تركي ويتصفون بحدة الطباع. محمود طه أبو العلا: دراسة في جغرافية العالم الإسلامي، ص 109، على مظهر: أفغانستان، ص 21 - 28.

(6) العتبي: تاريخ اليميني، ج2، ص 301 - 303، ابن خلدون: العبر، ج4، ص 373، ابن الأثير: ج9، ص 115.

(7) نسبة إلى مؤسسها زيار بن وردان شاه حاكم جيلان والد مرداويج، زامدور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ج2، ص 320، دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص 471.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

الاضطرابات التي حدثت في جرجان فأطلقه وقرر إرساله في جيش للاستيلاء على جرجان باسمه⁽¹⁾، وخشى متوجهر الذي آل إليه الحكم في جرجان وطبرستان وبلاد الجبل سنة 403هـ⁽²⁾ مغبة الأمر فسارع بتقديم الطاعة والولاء للسلطان محمود وتعهده بدفع أتاؤه قدرها خمسون ألف دينار كل عام له، وأقام له الخطبة على منابر بلاده⁽³⁾.

وجه سلاطين الغزنويين جهدهم للقضاء على حركات التمرد والعصيان التي قامت ضددهم في طبرستان وجرجان، فقد استغل دار ابن متوجهر - وإلى طبرستان وجرجان من قبل الغزنويين انشغال السلطان مسعود سنة 426هـ / 1034م ببعض الغزوات في الهند، والشغب الذي أحدثه الغز (السلاجقة) في خراسان، وامتنع عن إرسال الأموال المقررة على ولايته إلى غزنة، وراسل أمير أصفهان علاء الدولة ابن كاكوية⁽⁴⁾، فلما انتهى السلطان مسعود من غزواته في الهند وأخضع الغز في خراسان. سار إلى جرجان واستعادها، ثم اتجه إلى أمل وطبرستان⁽⁵⁾ فنارقتها وإليها وتحصن مع جنده بالجبال، فسار إليهم السلطان مسعود واقتحمها عليهم وهزمهم، فلما رأى "دارا" أنه لا قبل له بالسلطان مسعود طلب منه العفو والصفح فعفا عنه وأعادته إلى ولايته⁽⁶⁾.

أما خوارزم التي تقع شمال غرب خراسان، ويتولى حكمها أفراد يتسمون باسم مأمون⁽⁷⁾، فقد تزوج آخر حكامها أبو العباس المأمون بن المأمون⁽⁸⁾ من أخت السلطان

(1) العتبي: ج2، ص187 - 192.

(2) العتبي: ج2، ص179، 180، زامباور: معجم الأنساب، ج2، ص320.

(3) سعى متوجهر إلى تقوية مركزه بطلب مصاهرة السلطان فأجابه وزوجه إحدى بناته. العتبي: ج2، ص172 - 181.

(4) هو علاء الدولة (عضد الدين) أبو جعفر محمد بن وشمئزار ابن كاكوية، استولى على أصفهان سنة 398هـ وهمدان وساور خواست سنة 414هـ وتوفي سنة 433هـ. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ج2، ص328.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص160.

(6) البيهقي: ص491، ابن الأثير: ج9، ص165.

(7) البيهقي: ص731.

(8) وهو من آل فريغون الذين كانوا يحكمون في ولاية الجوزجان. العتبي: ج2، ص101.

محمود⁽¹⁾، وكان أبو العباس هذا يدين بالولاء للسلطان الغزنوي، وبلغ من خضوعه له أنه أمر بكتان أمر الخلعة والألقاب التي أرسلها إليه الخليفة القادر بالله، خشية من غضب السلطان لحصوله عليها بغير وساطته⁽²⁾.

ولم يلبث أبو العباس خوارزمشاه أن أثار شك السلطان محمود في صدق ولائه له حين رفض إرسال رسول من قبله ليشهد عقد ميثاق الصلح بين السلطان وخانات التركستان⁽³⁾، ورأى السلطان محمود أن يؤكد خضوع حكام خوارزم له، فطالب أميرهم أبا العباس أن يقيم الخطبة باسمه، لكن رجال خوارزمشاه عارضوا هذا الأمر بشدة⁽⁴⁾. ورأى الأمير أبو العباس أن يقيم الخطبة للسلطان محمود في جميع بلاده ما عدا مدينتي خوارزم والخرجانية التي يتمركز فيها المعارضون للسلطان محمود⁽⁵⁾.

لم يلب هؤلاء المعارضون أن ثاروا على ابن العباس خوارزمشاه بقيادة كبير الحجاب "البتكين البخاري"⁽⁶⁾ وقصدوا دار الإمارة وحاصروا خوارزمشاه وقتلوه في منتصف شوال سنة 407هـ (مارس 1017م)⁽⁷⁾، ثم جاءوا بابن أخيه⁽⁸⁾ أبي الحرث محمد بن علي بن المأمون - وكان في السابعة عشر من عمره - وأجلسوه على العرش واستولى البتكين

(1) العتبي: تاريخ اليمنى ج2، ص252، البيهقي، ص743، ابن الأثير: جد9، ص98، وإن كان السهقي يذكر، ص734 أنه تزوج من أخت الأمير سبكتكين السيدة "كالجي".

(2) البيهقي، ص734، 735 يشيد أبو الريحان البيرني بأخلاق أبي العباس فيقول: "وقد خدمته سبع سنين لم أسمع لفظاً نابياً جرى على لسانه". البيهقي، ص734.

(3) البيهقي، ص736.

(4) حاول خوارزم شاه أن يقوى مركزه بالتحالف مع خانات التركستان ضد السلطان محمود، لكنهم رفضوا أن ينكثوا بعهدهم مع السلطان الغزنوي وعرضوا أن يتوسطوا في الصلح بينهما.

البيهقي: ص736 - 742.

(5) البيهقي، ص736.

(6) يذكره حمد الله المستوفى باسم "ابنالبكتين"، تاريخ كزیده، ص396 (فارسی).

(7) كان عمر هذا الأمير اثنين وثلاثين عامًا. البيهقي: ص742.

(8) يذكر العتبي: أنه عقد لأحد أولاده إمارة خوارزم. تاريخ اليمنى، ج2، ص254.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

البخارى على شئون الحكم مع وزيره "أحد طغان" وأستبدوا بالسلطة أربعة أشهر كانت فيها البلاد مسرحاً للقتل والمؤامرات⁽¹⁾.

ولما بلغ السلطان محمود ثورة هؤلاء المعارضين على خوارزمشاه وقتله أرسل إلى خانات التركستان يخبرهم بعزمه على محاربتهم⁽²⁾، وأوقع الهزيمة بقائد جيشهم اليتكين البخاري⁽³⁾، ثم دخل السلطان محمود خوارزم واستولى عليها⁽⁴⁾.

اتجه الغزنويون بعد ذلك إلى الاستيلاء على أملاك البويهيين التي تحيط بدولتهم من الغرب والجنوب الغربي، وقد نتهأت الظروف أمام السلطان محمود نتيجة انقسام البويهيين إلى عدة قوى تتصارع فيما بينها. فبدأ زحفه على أملاكهم سنة 420هـ / 1029م الرى وبلاد الجبل⁽⁵⁾.

كان يلى حكم الرى مجد الدولة أبو طالب رستم بن على، وكان فى الرابعة من عمره عندما آل إليه الملك بعد وفاة أبيه فخر الدولة سنة 387هـ / 997م. ولذا تولت والدته السلطة الفعلية فى البلاد، وكانت الرى موضع تفكير السلطان محمود وكان يستشير وزيره أبا الحسن الميمندى فى المسير إليها لكنه أثناءه عن ذلك⁽⁶⁾.

(1) البيهقى: ص742.

(2) العتبى: ج2، ص254-256، البيهقى، ص742.

رغم علم حابات التركستان أن السلطان محمود حين يستولى على حوارم سيكون كاشوكة القوية فى قلبهم. البيهقى: ص744.

(3) البيهقى: ص744-745. كذلك قبض السلطان محمود على خوار تاش الشراى، وشاذنكين، وكانوا رؤوس الفتنة والمديرين لها. البيهقى، ص745.

(4) وضم إليها الجرجانية. حمد الله المستوفى: تاريخ كزیده، ص396 (فارسی). يذكر ابن الجوزى: المنتظم ج7 ص284 فى حوادث سنة 407هـ أن محمود بن سبكتكين ملك خوارزم ونقل أهلها إلى الهند.

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج3، ص167.

(6) البيهقى: ص289. كان السلطان محمود يبعث يرسله إلى الرى مهدداً بالغزو أو مطالباً بالجزية فى عهد أم مجد الدولة، لكن مستشارها بدر بن حشويه الكردى كان يظهر هؤلاء الرسل ما لديه من قوة عسكرية فكان يرتب طوائف الجند بطول الطريق بكامل أسلحتهم وهيتهم حتى يبعث الرهبة =

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

ولما اضطربت الأحوال في الرى بعد وفاة أم مجد الدولة سنة 419هـ⁽¹⁾ وشغب الجند ضد الأمير مجد الدولة⁽²⁾، اضطرب هذا الأمير إلى مكتبة محمود بن سبكتكين، فأرسل إليه يطلب منه الدخول في طاعته، فوافق مجد الدولة على شروطه⁽³⁾، فأرسل السلطان محمود جيشاً⁽⁴⁾ إلى الرى فقبض على مجد الدولة وأرسله إلى غزنه⁽⁵⁾، وبذلك تيسر للسلطان محمود ضم الرى إلى حوزته سنة 421هـ⁽⁶⁾.

أصبحت ولاية كرمان في متناول الغزنويين بعد استيلائهم على الرى، ففي سنة 422هـ بلغ السلطان مسعود⁽⁷⁾ اضطراب الأحوال في هذه الولاية، فأرسل قائده أحد على نوشتكين⁽⁸⁾ فتمكن من الاستيلاء على كرمان دون صعوبة تذكر وطرد منها جند البويهيين⁽⁹⁾.

= في نفس رسول السلطان وليخبروا السلطان بما شاهدوه. فكان ذلك طريقاً للكف والمواذعة ومما يروى أنه حينما هددها السلطان بالقتال قالت للرسول: "إن السلطان لن يقدم على محاربة عجزوز مثل، وإذا اختار الحرب، فلن أتردد عن الطعن والتزأ، فإن انتصرت فيذكرني هذا النصر إلى يوم الدين، وأما إذا فاز هو، فستحدث المتحدثون أنه لم يغز إلا على امرأة عجزوز" وهذا لم يقدم السلطان على قصد هذه المرأة طول حياتها. أبو شجاع: ذيل تحارب الأمم ص 290، 291. براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدى ص 197، 198.

- (1) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج 11، ص 58 (مخطوط).
- (2) وكان يميل إلى المذاهب المناوئة للمذهب السني وكان مولعاً بقراءة كتب الشيعة والمعتزلة، ان الجوزي: المنتظم، ج 8، ص 38.
- (3) وكانت هذه الشروط أن يدخل مجد الدولة في طاعته مقابل أن يساعده ضد المتمردين عليه وأن يوجه إحدى بناته. مرآة الزمان، ج 11، ص 457-459 (مخطوط).
- (4) وكان على رأس هذا الجيش ثلاثة من مقدمى قواده هم أيكوتكين وعلى الحاجب وغازي الحاجب. الكرديزي: زين الأخبار، ص 193 "فارسي".
- (5) الكرديزي: ص 193 وإن كان سبط بن الجوزي يذكر أنه أرسل مع ابنه أبي دلف إلى إحدى قلاع خراسان. مرآة الزمان، ج 11، ص 457-459 (مخطوط).
- (6) وكان فتح الرى في جمادى الأولى سنة 421هـ الكرديزي: زين الأخبار، ص 193.
- (7) عن طريق جراسيسه، البيهقي: ص 456، 457.
- (8) على أن يكون والياً وقائداً وأن يكون أبو الفرج الفارسي صاحب الجيش والأعمال والأموال. البيهقي: ص 456، 457.
- (9) البيهقي: ص 457.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

ولما أرسل الأمير البويهى أبو كالحجار⁽¹⁾ إلى السلطان مسعود يعتب عليه استيلائه على كرمان أجابه بأنه سار إلى هذه الولاية للقضاء على المفسدين فيها ولاستنجاد أهلها به، فضلاً عن أن الخليفة العباسى أرسل إليه كتاباً يطلب فيه الاستيلاء على هذه الولاية⁽²⁾.

لم يكن الاستيلاء على كرمان وغيرها من أملاك البويهيين في شرق الدولة الإسلامية هو نهاية المطاف لأمال الغزنويين، بل كانوا يطمحون في القضاء على نفوذ البويهيين في العراق، يتضح ذلك من قول السلطان مسعود لقائده حسن سليمان⁽³⁾ في الرى: "وأعلم علم اليقين أنا سنعلم الفكر في شئون هذه النواحي عندما تستقيم لنا الأحوال ونصل إلى قاعدة ملكنا، وسنبعث قائداً كبيراً إلى هنا مع جيش عظيم بصحبته أحد الأكفاء والثقة من أرباب القلم ليتخذ الجميع مثلاً حسناً في أعمالهم حتى يدخل باقى العراق في طاعتنا إنشاء الله"⁽⁴⁾، كما تجلت أطماع السلطان مسعود في العراق حين وجه حاجبه "تاش فراش" إلى خراسان والعراق في شوال سنة 422هـ (سبتمبر / أكتوبر 1031م) وقال له: "وأمل أن يفتح الله عليك أبواب العراق جميعها"⁽⁵⁾، غير أن ما تعرضت له الدولة الغزنوية من فتن وثورات، فضلاً عن ظهور خطر السلاجقة حال دون تحقيق هذه الأطماع.

(1) البيهقى: هامش ص 456.

(2) البيهقى: ص 457.

(3) أحد أعيان أمراء جبال هراة وقد عبه السلطان شحه (قائداً) لإقليم الرى، البيهقى: ص 23.

(4) البيهقى: ص 23. وكان ذلك يوم الأربعاء لآخر عشر ليلة بقين من رجب سنة 421هـ.

(5) البيهقى: ص 309.

ظهور السلاجقة وزوال سلطان الغزنويين

أثار ظهور السلاجقة⁽¹⁾ مخاوف السلطان محمود الغزنوي⁽²⁾، خاصة بعد تحالفهم مع الأمير على تكين⁽³⁾، الذي كثيراً ما أثار المتاعب للسلطان الغزنوي فيها يجاوره من البلاد وقطع الطريق على سله المترددين إلى ملوك الترك⁽⁴⁾ ولما عقد الصلح بين السلطان محمود بن سبكتكين وبين الأمير القره خاني قدرخان سنة 415هـ / 1024 - 1025م⁽⁵⁾ حذره "قدرخان" من السلاجقة وتعاضم قوتهم واحتمال قيامهم بالاستيلاء على بعض الولايات مستغلين غيابهم في بلاد الهند، وأشار عليه بأن يستعين بهم ليأمن شرهم⁽⁶⁾.

(1) السلاجقة: نوع من قائل للغز الأتراك، وقد أخذت هذه القائل تفارق موطنها الأصل في سهول التركستان على شكل موجات خلال القرنين الثالث والرابع الهجري واستقروا في أول أمرهم في بلاد ما وراء النهر. وقد عرف السلاجقة بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق، وكان لسلجوق أربعة أولاد هم: إسرائيل (بيغو أرسلان) وموسى بيغو ويونس وميكائيل وخلف ميكائيل أولاده بيغو وطفغريك وجغري بك داود.

الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص2، 3، ابن العمد: تاريخ المسلمين، ص267، الراوندي: راحة الصدور، ص145، 146، ابن الأثير: جد3، ص176 - 178، حمد الله المستوفي: تاريخ كزينة، ص91 ترجمة محمود عمروس قشقة، بارتولد: تاريخ الترك في آسيا، ص100 - 107، دائرة المعارف الإسلامية، جد3، ص34 - 37.

(2) تزايدت قوة السلاجقة خاصة بعد أن امتلكوا جيشاً كامل العدد والعدد واشتبكوا في معارك حربية صد القره خانيين كان النصر فيها حليف السلاجقة. ابن الأثير: جد9، ص176 - 178.

(3) ابن الأثير: جد9، ص176.

(4) ابن الأثير: جد9، ص176 - 178.

(5) البيهقي: ص22، ابن الأثير: ج9 ص176، 177، الكرديزي: زين الأخبار ص188، 189.

(6) الراوندي: راحة الصدور، ص147.

الظاهرين والصفايون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

استجاب السلطان محمود الغزنوي لهذا التحذير، وأراد أن يتبين بنفسه مدى قوة السلاجقة، فأرسل إليهم رسالة، طلب فيها أن يختاروا أحدهم يقد إلى مقره على شاطئ جيحون ليعقد معه العهد والمواثيق⁽¹⁾، فقدم إليه إسرائيل على رأس جيش كبير، فلما علم السلطان محمود بقدومه أنفذ إليه رسولا يقول له: "لسنا الآن في حاجة إلى الاستمداد بجيشك، وإنما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك، فاترك الجيش في مكانه، وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك". فأجاب إسرائيل طلب السلطان وسار إليه ومعه ولده قتلмыш في جماعة من خير فرسان السلاجقة⁽²⁾ فلما وصل إلى حضرة السلطان بالغ السلطان محمود في إكرامه وأجلسه على طرف سريره⁽³⁾.

أراد محمود أن يعرف قوة السلاجقة على حقيقتها، فأوهم إسرائيل أنه يود الاستعانة بهم القضاء على من يحاول الخروج عليه حينما يذهب لغزو بلاد الهند، وسأل إسرائيل عن مقدار ما يستطيع السلاجقة أن يمدوه من الجيوش، وكان إسماعيل يحمل قوسا وسهمين، فأخذ سهما وأعطاه للسلطان محمود وقال له: "أرسل هذا السهم لجندنا إذا عرضت لك حاجة إلينا يأتك من مائة ألف فارس..." فأجاب السلطان: وإذا لم يكف هذا العدد؟ فتناول إسرائيل السهم الآخر وأعطاه للسلطان محمود وقال له: "أرسل هذا السهم إلى جبل بلخان"⁽⁴⁾ فسوف يأتك خمسون ألف غيرهم، وإذا لم يكفك هذا العدد فأرسل إلينا هذا القوس، وكان إسرائيل قد ناول السلطان قوسه - فسوف يأتك إذا شئت مائتا ألف فارس"⁽⁵⁾.

تأكدت مخاوف السلطان محمود الغزنوي تجاه السلاجقة وتعاضم قوتهم، فأمر بالقبض على إسرائيل بن سلجوق وولده قتلмыш وبقية من معه من الفرسان، ثم

(1) راحة الصدور، ص 147، 148.

(2) راحة الصدور، ص 148.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) جبال بلخان: إلى الشمال الشرقي م خراسان. الراوندي: راحة الصدور، هامش ص 149.

ويلخان كانت مدينة في ظهر أبيورد. الكرديزي: زين الأخبار، هامش ص 192.

(5) الراوندي: ص 148، 149.

أرسل الأمير السلجوقي إلى بلاد الهند حيث سجن في قلعة كالنجر⁽¹⁾، وبقي هناك حتى توفي⁽²⁾.

كان لغدر السلطان محمود بالسلاجقة واعتقاله إسرائيل ومن معه من القواد والفرسان أسوأ الأثر في نفوس السلاجقة، الذين عزموا على الثأر من الغزنويين، فاختاروا لقيادتهم ميكائيل بن سلجوق⁽³⁾، الذي نجح في نقل السلاجقة إلى إقليم خراسان⁽⁴⁾. فقد كتب إلى السلطان محمود يقول: "إن مقامنا أصبح يضيق بنا، وأن مراعيانا أصبحت لا تنفي بحاجة مواشيها، فأذن لنا أن نعبّر النهر وأن نجعل مقامنا بين نساء"⁽⁵⁾ وباورد⁽⁶⁾ فأشار أرسلان الجاذب⁽⁷⁾ حاكم مدينة طوس على السلطان محمود ألا يسمح لهم بالعبور إلى خراسان⁽⁸⁾، غير أن السلطان محمود لم يلتفت إلى قول أرسلان الجاذب، لأنه لم يعد يخشى بأس السلاجقة بعد القبض على إسرائيل وصفوة قوادهم، وسمح لهم بعبور نهر جيحون والاستقرار في إقليم خراسان سنة 416هـ / 1025م⁽⁹⁾.

- (1) الراوندي: ص 149 - 151. وذكر الكرديزي: أنه بعد مقابلة السلطان محمود لغدرخان، أخبره جواسيسه بأن إسرائيل ابن سلجوق مخفي في مكان ما بالصحراء فأرسل إليه من قبض عليه وأحضروه فأرسل إلى غرنة ومن هناك أرسل إلى الهند حيث كان آخر العهد به. زين الأخبار، ص 189.
- (2) قام السلاجقة بمحاولة لإخراج سلجوق من سجنه، غير أن الخراس تمكنوا من إعادة إسرائيل إلى سجنه بعد أن اكتشفوا اختفائه. الراوندي: راحة الصدور، ص 149 - 151.
- (3) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص 5، حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص 48. ويذكر بعض المصادر أن ميكائيل قتل قبل هذا التاريخ أثناء غارات السلاجقة على الأتراك غير المسلمين، ابن الأثير: ج9، ص 167، 177، أبو الفدا: المختصر، ج2، ص 171.
- (4) البنداري: ص 5، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص 25.
- (5) نسا: مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبين مرو خمسة أيام وبين أبيورد يوم، ياقوت: معجم البلدان، ج8، ص 282.
- (6) باورد: وهي أبيورد بلد بخراسان بين سرخس ونسا. ياقوت: ج2، ص 53.
- (7) هو أبو الحرب أرسلان الجاذب. الكرديزي: زين الأخبار ص 190.
- (8) الراوندي: راحة الصدور، ص 153، الكرديزي: ص 190، ابن الأثير: ج9 ص 177.
- (9) زين الأخبار: ص 190، حمد الله المستوفي: تاريخ كريدة، ص 435، 436 (فارسي).

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

عمل السلاجقة منذ أن استقروا في إقليم خراسان على توطيد نفوذهم في هذا الإقليم بتدعيم قواتهم وتسليحها، كما أخذوا يسيطرون نفوذهم على الأطراف المجاورة ويتحينون الفرص للقضاء على نفوذ الغزنويين في خراسان وما وراء النهر⁽¹⁾.

أدت سياسة السلاجقة التي تنتطوى على التوسع إلى تدمير أهل نسا وباورد و فراوة⁽²⁾ وجاءوا إلى بلاط السلطان محمود سنة 418هـ حيث رفعوا شكواهم من عدوان السلاجقة على بلادهم، فكتب السلطان محمود إلى والي طوس أرسلان الجاذب يأمره بمحاربة السلاجقة ودارت عدة معارك انتهى الأمر فيها بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوي⁽³⁾ فلما علم السلطان محمود الغزنوي بهزيمة أرسلان الجاذب أرسل إليه يلوته على عجزه وتقصيره في صد السلاجقة فأجابه بأن أمرهم قد قوى بحيث لا يستطيع وحده مواجهتهم وطلب من الحضور بنفسه لقمع السلاجقة⁽⁴⁾، فلم يجد السلطان محمود بداً من التوجه بنفسه لمحاربة السلاجقة وتجهز لقصدهم في سنة 419هـ وتحرك من غزنة إلى بست ومنها إلى طوس حيث استقبله أميرها ووضع له حقيقة الحال، فقوى عزمه على محاربة السلاجقة وإجلائهم عن البلاد التي استولوا عليها، وعند "رباط فراوة" التقى الغزنويون بالسلاجقة حيث دارت بين الفريقين معركة كبيرة انتصر فيها الجيش الغزنوي انتصاراً ساحقاً⁽⁵⁾.

على أن جفري بك داود أبا سليمان، وطغرل بك أبا طالب ولدى ميكائيل بن سلجوق⁽⁶⁾ استطاعا بعد هذه الهزيمة جمع شمل السلاجقة وتوحيد صفوفهم وإعداد جيش قوى، وقد أتيت لهم الفرصة لتحقيق أطماعهم عند وفاة السلطان محمود⁽⁷⁾.

(1) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ص 26.

(2) فراوة: بلدة من أعمال نسا بين دهستان وخوارزم ويقال لها رباط فراوة. معجم البلدان، ج 6 ص 352.

(3) الكرديزي: زين الأخبار، ص 192.

(4) زين الأخبار، ص 192.

(5) الكرديزي: زين الأخبار، ص 192.

(6) الراوندي: راحة الصدور، ص 154.

(7) زين الأخبار، ص 194.

فأخذوا يعملون على توسيع رقعة أراضيهم وبسط نفوذهم على المناطق المجاورة، حتى أصبح معظم إقليم خراسان خاضعاً لنفوذ السلاجقة⁽¹⁾.

لم يكتف جغري بك وطغرل بك بإحقاقه من نصر في خراسان، وأرسلا إلى حاكم مدينة نيسابور "سوري بن المعتز" يطلبان من أن يأذن للسلاجقة بالإقامة في هذه المدينة⁽²⁾، فرفض إجابة طلبهما وكتب إلى السلطان مسعود⁽³⁾ بذلك فعول على المسير إلى نيسابور سنة 426هـ، وأعد جيشاً كبيراً لمحاربة السلاجقة⁽⁴⁾، غير أنه لبث أن اضطر إلى عقد صلح معهم اعترف فيه بسيادتهم على نسا وفراوة ودهستان⁽⁵⁾.

وكان السلاجقة قد أرسلوا كتباً⁽⁶⁾ إلى السلطان مسعود رغم النصر الذي حققوه على جيشه يلتمسون فيه العفو عنهم، وعقد الصلح معهم، يقرهم فيه على ما بيدهم من البلاد⁽⁷⁾ وبعد مفاوضات جرت بين رسل السلاجقة والسلطان مسعود، وافق السلطان الغزنوي على طلب السلاجقة⁽⁸⁾.

كان لعقد السلطان مسعود الصلح مع السلاجقة، أثر كبير في توطيد نفوذهم بخراسان وتوسيع رقعة أراضيهم، فقد ذكر الراوندي⁽⁹⁾ أن السلاجقة بعد عقد الصلح مع السلطان مسعود "اشتد بأسهم وازدادت قوتهم، ولاحت عليهم إمارات الملك، وعلامات الحكم،

(1) عبد النعيم حسيني: سلاجقة إيران والعراق، ص 27، حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص 49.

(2) البيهقي: ص 503، 504، الراوندي: ص 154، 155.

(3) زين الأخبار، ص 194 - 197.

(4) عهد مسعود بقيادة هذا الجيش إلى عدد من امرائه بلغوا عشرة على رأسهم "بكتمدي الحاجب" وكخدای خواجه حسين بن علي ابن ميكائيل، وكانت جملة الجيش خمسة عشر ألف فارس مجهزين بعدتهم بالإضافة إلى ألفين من الخراس. البيهقي: ص 515، 516.

(5) البيهقي: ص 528، الراوندي: راحة الصدور، ص 156، 157، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص 9، ص 12.

(6) البيهقي: ص 525، 526.

(7) البيهقي: ص 528، الكرديزي: زين الأخبار، ص 202.

(8) البيهقي: ص 528.

(9) راحة الصدور، ص 156، 157، البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص 8.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

ونخائل السلطان، فلما عاد السلان لغزنوى من الهند إلى غزنة سنة 429هـ وعلم بعلو شأن السلاجقة وازدياد قوتهم أحس بالخطر الذى بات يتهدد دولتهم من ناحيتهم⁽¹⁾، فكتب إلى أمير خراسان⁽²⁾ بأمره بوجوب محاربة السلاجقة وإخراجهم من خراسان، غير أن أمير خراسان أجاب على كتاب السلطان مسعود بقوله: "إن أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن نقاومهم"⁽³⁾، لكنه ما لبث أن اضطر إلى الخروج لإجلاء السلاجقة عن منازلهم، وفي آخر شعبان سنة 429هـ (الثلاثاء 6 يونيو 1038م) التقى جيش مسعود بقيادة أمير خراسان بالسلاجقة على باب مدينة سرخس، ودارت معركة كبيرة بين الفريقين انتهت بانتصار السلاجقة⁽⁴⁾.

كان لهذا النصر الذى أحرزه السلاجقة أثره الكبير فى قيام دولتهم، فصار طغرل بك إلى نيسابور ودخلها بعد أن منح أهلها الأمان، وجلس على عرش السلطان مسعود فى ذى القعدة من السنة نفسها (429هـ) باسم السلطان طغرل بك وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه على منابر المدينة⁽⁵⁾.

لما بلغ السلطان مسعود ما أحرزه طغرل بك من نصر، عزم على محاربة السلاجقة⁽⁶⁾،

(1) ابن الأثير: ج9، ص178، 179، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص10 - 12.

(2) المراد به الحاجب الكبير سباشى. الراوندى: راحة الصدور، هامش ص157.

(3) الراوندى: راحة الصدور، ص157.

(4) البيهقى: ص579 - 593، راحة الصدور، ص158، ابن الأثير: ج9، ص178 - 179.

(5) راحة الصدور، ص158، البيهقى، ص600 - 604، ابن خلكان: ج2، ص440.

وصف البيهقى دخول طغرل بك نيسابور بقوله: "وكان طغرل بك قد كتب إلى إبراهيم يال بقوله: "أن أعيان نيسابور قد تصرفوا بحكمة، فلا حرم أن يروا ما سيكون لهم ولرعايا جميعاً من الطيات، وقد أقمنا على الجيوش أحياناً داود وعمنا ييغو معها المقدمون وسنحضر نحن عى المقدمة مع خاصتنا، وذلك حتى لا يمس رعايا تلك البلاد سوء، جزاء ما قدموا من الطاعة وحفظوا أنفسهم..." وبلغ طغرل بك نيسابور بعد ثلاثة أيام وخرج الأعيان جميعاً لاستقباله وكان طغرل بك قد أعتلى سرير (عرش) السلطان مسعود أمام الصفة، وأخذ بيد القاضى صاعد الذى طلب منه أن يعدل بين الناس ولا يترك الجيش يظلم الناس". البيهقى، ص603، 604، بارتولد: تريخ الترك فى آسيا، ص104.

(6) الراوندى: راحة الصدور، ص162، البيهقى: ص605 - 607.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

فأعد جيشاً ضخماً⁽¹⁾ سار به نحو خراسان حيث قضى الشتاء بنيسابور سنة 430هـ / 1039م ثم تحرك في الربيع إلى باورد ومنها إلى سرخس⁽²⁾، ومن هناك اتجه ناحية داندانقان⁽³⁾.

لم يكن السلطان مسعود ينزل بجنده في تلك الناحية⁽⁴⁾، حتى أقبل السلاجقة واستولوا عليه المنطقة المحيطة به، وقطعوا الطريق عليه إلى غزنة⁽⁵⁾، مما اضطره إلى استكمال إعداد جيشه، واستغلا السلاجقة لملاقاته، فلما دارت الحرب بين الطرفين هزم جند الغزنويين، وارتد بعضهم، فانضموا إلى السلاجقة، وعلى الرغم مما أبلاه السلطان مسعود من شجاعة أثناء القتال، إلا أن فرار قواده وعصيانهم وأوامره لهم بمواصلة القتال أدى إلى هزيمة الغزنويين في داندانقان⁽⁶⁾، وكان ذلك في يوم الجمعة الثامن من رمضان سنة 431هـ (24 مايو 1040م)⁽⁷⁾.

ولما حلت الهزيمة بقوات السلطان مسعود واضطر إلى العودة إلى غزنة، أخذ السلاجقة يتبعون جيشه المهزوم ويوقعون به، ويغنون منه لما لا حصر له من الأسرى والأموال والسلاح والدواب⁽⁸⁾.

-
- (1) بلغ عدده ما بين أربعين وخمسين ألف جندي، البيهقي: ص 607.
 - (2) الكرديزي: زين الأخبار، ص 203.
 - (3) داندانقان: بلدة من نواحي مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها في الصحراء وتقع بين سرخس ومرو. معجم البلدان، ج2، ص 610، زين الأخبار، هامش ص 203.
 - (4) زين الأخبار، ص 203.
 - (5) راحة الصدور، ص 162، 163.
 - (6) يرجع البيهقي هزيمة الغزنويين في داندانقان إلى شدة القَيْظ وقلة المُون والعلف وهزال الدواب، فضلاً عن أن المعركة كانت في الأيام الأولى من رمضان كما أن السلاجقة قاموا باستنزاف مياه الآبار في منطقة القتال ودموها. البيهقي: ص 680، الراوندي: راحة الصدور، ص 163.
 - (7) أمر السلطان مسعود بعد عودته إلى غزنة باعتقال قواده الثلاثة على دابة وحاجيه العظيم سبأشي وحاجيه بكتغدي لإملاهم وعدم طاعتهم وأوامره، حيث أمر بقتلهم. زين الأخبار، ص 203.
 - (8) البيهقي، ص 663 695، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص 11 12، الراوندي: راحة الصدور، ص 163، 164، ابن الأثير: جد9، ص 179، 180.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

كانت موقعة داندانقان حدًا فاصلاً بين السلاجقة والدولة الغزنوية، فبعد هزيمة السلطان مسعود لم يجزّ الغزنويون على التصدي للسلاجقة أو محاولة استعادة ما فقدوه من البلاد، كما تطرق الضعف إلى جسم الدولة الغزنوية بسبب النزاع بين أمراء الجيش والتنافس بين أمراء البيت الغزنوي على السلطة.

وزعت ولايات الدولة الغزنوية بعد انتصار السلاجقة في داندانقان على أمرائهم فاتخذ جغري بك مدينة مرو دارًا للملكة واختص بأكثر خراسان، وتقلد موسى ولاية بست وهرارة وسجستان، وولى قاورد ولاية الطبيين⁽¹⁾ ونواحى كرمان، وعين إبراهيم ينال واليًا على قوهستان وجرجان⁽²⁾، أما طغرلبك فإنه فضلًا عن استيلائه على نيسابور⁽³⁾، استطاع أن يضم إلى حوزته مدينة الري، واتخذها مقرًا لحكومته⁽⁴⁾.

استقر رأى السلاجقة على مكاتبة الخليفة القائم بأمر الله العباسي ليندلو تفويضًا منهم بحكم البلاد التى بسطوا سلطانهم عليها، فأنفذوا إليه رسالة⁽⁵⁾ حملها إليه أبو إسحاق

(1) الطبيين: من مدن إقليم قوهستان لسترنج، ص 399.

(2) الراوندى: ص 167، 168، البدارى: ص 8، أبو المحاسن: ج 2، ص 30.

(3) الراوندى: ص 158، البيهقى: ص 600 - 604، وفيات الأعيان، ج 2، ص 440.

(4) راحة الصدور، ص 168.

(5) وما جاء فيها: نحن معشر آل سلجوق أطعنا دائيًا الحضرة النبوية المقدسة وأحببناها من فولونا، ولقد اجتهدنا في غزو الكفار، وإعلان الجهاد، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق، قبض عليه بعين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم أو جناية وأرسله إلى قلعة كالتنجر في بلاد الهند، فبات بعد أن قضى في الأمر سبع سنوات، واحتجز كذلك في القلاع الأخرى الكثير من أهلنا وأقاربنا، فلما مات محمود وجلس مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب فلا جرم إذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم، ولكن مسعودًا وجه إلينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كروفر وهزيمة وانتصار حتى ابتسم لنا الحظ وانحاز إلينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرونا منه بالعبلة وانكسر مسعود وأصبح ذليلاً، وولى الأديار تاركًا لنا الدولة والإقال وشكرًا لله على ما أناء علينا من فتح ونصر. فنشرنا عدلنا، وبصافنا على العباد، وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو أن نكون في هذا قد نهجنا وفقًا لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين".

الراوندى: راحة الصدور، ص 166، 167.

الفقاعي⁽¹⁾ تضمنت ولاءهم وتمسكهم بأهداف الدين والجهاد في سبيل الله وحبهم للعدل، والتمسوا في ختام رسالتهم اعتراف الخليفة القائم بقيام دولتهم⁽²⁾.
لما وصلت رسالة السلاجقة إلى دار الخلافة أرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى طغرل بك في مدينة الري رسولا⁽³⁾ يبلغه سروره ورضاءه برسالة السلاجقة ويدعوه للحضور إلى بغداد⁽⁴⁾.

لما عاد السلطان مسعود إلى غزنة في شوال سنة 431هـ⁽⁵⁾ أمر بالقبض على سبأشي وغيره من الأمراء⁽⁶⁾، وعين بدلا منهم، وأرسل ابنه الأمير مودود إلى خراسان⁽⁷⁾ كما أرسل ابنه الأمير مجدود إلى الملتان لحمايتها عن ثار بها من الأفغان⁽⁸⁾.

كان لهزيمة داندانقان أثرها السيئ في نفس السلطان مسعود حتى إنه عزم على الانسحاب إلى بلاد الهند فيذكر كل من الكرديزي⁽⁹⁾ وابن الأثير⁽¹⁰⁾ أن السلطان مسعود سار إلى بلاد الهند ليجتمع من هناك جيشاً قوياً يستعين به على قتال السلاجقة واصطحب السلطان معه أخاه محمد⁽¹¹⁾ مسمولاً⁽¹²⁾ وحمل معه الخزائن⁽¹³⁾، فلما عبر نهر سيحون

(1) راحة الصدور، ص 167، البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص 7، 8.

(2) الراوندي: ص 167، البنداري: ص 7، 8.

(3) هبة الله بن محمد المأمون، الراوندي: ص 168.

(4) الراوندي: ص 168، 169.

(5) البيهقي، ص 705، ابن الأثير: ج9، ص 181.

(6) الكرديزي: زين الأخبار، ص 203، ابن الأثير: ج9، ص 181.

(7) بعد أن أعطاه إمارة بلخ وأرسل معه الوزير أحمد بن عبد الصمد وارتكن الحاحب وأربعة آلاف فارس، البيهقي: ص 723، زين الأخبار، ص 204.

(8) زين الأخبار، ص 204.

(9) زين الأخبار ص 204.

(10) الكامل: ج9، ص 181.

(11) حيث جيء به من قلعة برغند على بعد سنة أيام من غزنة. البيهقي، ص 725، زين الأخبار، ص 204.

(12) يذكر البيهقي أن السلطان مسعود أمر بأن يؤتى بأولاد أخيه محمد الأربعة أحمد وعبد الرحمن وعمر وعثمان حيث أكرمهم وخلع عليهم بعد أن استحلهم بأغلظ الإيمان على الإخلاص في خدمته وطاعته. البيهقي: ص 726.

(13) الكرديزي، زين الأخبار، ص 204، ابن الأثير: ج9، ص 181.

الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية

واقترب من رباط ماريكله هاجم الجند المواليين لأخيه محمد تلك الحزائن، ومهبوها وعزلوا السلطان مسعود وولوا مكانه أخاه محمد⁽¹⁾، إلا أن محمدًا أبى قبول الولاية، ثم اضطر إلى إجابة طلبهم كارهًا، وبقي مسعود فيمن معه من العسكر، ثم التقى الجمعان في منتصف ربيع الآخر سنة 432هـ فاقتلوا وعظم الخطب، وحلت الهزيمة بعسكر مسعود وتحصن هو في رباط ماريكله إلا أن محمدًا استطاع أن يقبض عليه وأرسله معتقلًا إلى قلعة كيري⁽²⁾.

لم يلبث الأمير محمد أن فوض أمر دولته إلى ولده أحمد وكان مصابًا بخلل في قواه العقلية - فاتفق مع ابن عمه يوسف بن سيكتكين وابن علي خويشاند على قتل مسعود ليصفوا الملك له ولأبيه، وتمكن من الاستيلاء على خاتم أبيه واحتال به على محافظ القلعة فأدخله إلى عمه مسعود فقتله⁽³⁾ وأنفذ الأمير محمد إلى ابن أخيه مودود بخراسان يخبره بمقتل أبيه⁽⁴⁾، فعاد مجددًا في عساكره إلى غزنة، وقامت الحرب بينه وبين عمه محمد في ثالث شعبان سنة 432هـ وتمكن مودود من هزيمة عمه وقضى على أتباعه⁽⁵⁾ وعاد إلى غزنة حيث استقر له أمرها⁽⁶⁾.

استمر حكم مودود بن مسعود الغزنوي حتى توفي في العشرين من رجب سنة 441هـ وخلفه ابنه مسعود الثاني، لكنه لم يبق في السلطنة سوى خمسة أيام، ثم تقلد السلطنة بعده عمه أبو الحسن علي بن مسعود الأول، غير أن عبد الرشيد بن يمين الدولة محمود الغزنوي انتهاز فرصة الاضطراب الذي ساد الدولة الغزنوية بعد موت

(1) الكرهيزي: زين الأخبار، ص 204، ابن الأثير: ص 181.

(2) زين الأخبار: ص 204، 205، ابن الأثير: ج 9، ص 181.

(3) الكرديري: زين الأخبار، ص 205. وهناك رواية أخرى أوردها ابن الأثير تفيد بأن محمد استجاب لإغراء ابنه بقتل أخيه مسعود وأرسل إليه من قتله وألقاه في بئر وسد رأسها. الكامل: ج 9، ص 181.

(4) ابن الأثير: ج 9، ص 181، 182.

(5) ابن الأثير: ج 9، ص 182. يذكر ابن الأثير أن مودود بنى في المكان الذي انتصر فيه على عمه محمد قرية ورباط سماه فتح آباد.

(6) ابن الأثير: ج 9، ص 181، 182.

مودود ودعا الجند إلى طاعته فأجابوه، وساروا إلى غزنة، ففر على بن مسعود واستقر الأمر لعبد الرشيد⁽¹⁾.

أراد عبد الرشيد الاستعانة بطغرل - زوج أخت مودود وحاحيه - لطرد السلاجقة من خراسان، غير أن طغرل ما لبث أن تأمر ضد عبد الرشيد، وقصد غزنة حتى أصبح على بعد ستة فراسخ منها، وحاول خداع عبد الرشيد مدعيًا أن الجند تألبوا عليه وألخوا في العودة للمطالبة بزيادة أرزاقهم، وعلى الرغم من اعتصام عبد الرشيد بقلعته في غزنه، فقد قبض عليه طغرل وقتله (سنة 444هـ) واستولى على بلاده، غير أن هذا العمل من جانب طغرل لم يرض بعض القواد، كما لم يرض نائب الغزنويين في الهند، على الرغم مما بذله طغرل من جهود في إغرائه واستمالته إليه. واتصال هذا الوالي بوجوه القواد، وأنكر عليهم قعودهم عن الأخذ بثأر عبد الرشيد، مما أثار حماسة بعض القواد، فدخلوا على طغرل وقتلوه، وولى عرش الغزنويين فروخ زاد⁽²⁾، غير أن هذا الأمير لم يسلم من التآمر عليه، إذ لم يلبث أن ثار بعض قواده ومماليكه عليه واتفقوا على قتله، لكنه نجا من تأمرهم بمساعدة بعض أنصاره، ويبدو أن هذا الحادث قد أثر في نفسه تأثيرًا سيئًا، فلم يطل به العمر وتوفي في شهر صفر سنة 451هـ⁽³⁾.

كما تقدم يتجلى لنا كيف أدى ظهور السلاجقة واتساع سلطانهم، وانتصارهم على الغزنويين في دانداتقان إلى انهيار الدولة الغزنوية، وانحلالها نتيجة للتراع والتنافس بين أفراد البيت الغزنوي؛ الأمر الذي ترتب عليه زوالها على يد شهاب الدين الغوري سنة 582هـ / 1186م⁽⁴⁾.

(1) ابن الأثير: ج9، ص208.

(2) ابن الأثير: ج9، ص217، 218.

(3) ابن الأثير: ج10، ص2.

(4) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج3، ص183.

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات العربية:

- * ابن أعثم الكوفي (ت 314هـ / 926م) أبو محمد بن أحمد.
- مخطوط الفتوح. الجزء الثاني، معهد المخطوطات العربية - جامعة الدول العربية رقم 357 تاريخ.
- * البلاذري (279هـ / 892م) أحمد بن يحيى بن جابر.
- مخطوط أنساب الأشراف، جامعة بغداد رقم 1636 مصور عن نسخة الدار البيضاء بالرباط رقم 68
- * بيارس الدوادار (ت 725هـ / 1324م) ركن الدين المنصوري.
- مخطوط زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة الجزء الرابع معهد المخطوطات العربية - جامعة الدول العربية رقم 276 تاريخ.
- * الذهبي (748هـ / 1347م) شمس الدين محمد بن أحمد.
- سير أعلام النبلاء الجزء الخامس معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية رقم 287 تاريخ.
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام مخطوط بدار الكتب رقم 396 تاريخ.
- * سبط بن الجوزي (654هـ / 1257م) أبو المظفر بن قيزوغلي.
- مخطوط مرآة الزمان، دار الكتب المصرية رقم 551 تاريخ.
- * السمعاني: عبد الكريم بن محمد.
- الأنساب، مخطوط بمكتبة دار العلوم رقم 8367.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

- * الصابى: هلال بن الصابى.
- المنتزع من كتابى التاجى فيلم بدار الكتب رقم 235.
- * العمرى: ياسين خير الله العمرى البغدادى.
- مخطوط غية المرام فى تاريخ محاسن بغداد دار السلام مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد رقم 823.
- * العينى (ت 855هـ/ 1451م) بدر الدين محمود.
- _ مخطوط عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية رقم 334 تاريخ ومخطوط بدار الكتب رقم 1584م.
- * أبو الفدا (ت 732هـ/ 1331م) إسماعيل بن على عماد الدين.
- _ المختصر فى أخبار البشر المطبعة الحسينية 1325هـ.
- _ تقويم البلدان باريس 1830م.
- * النويرى (ت 732هـ/ 1332م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب. مخطوط بدار الكتب رقم 551 معارف عامة.

ثانياً: المصادر العربية :

- ابن الأبار (ت 658هـ/ 1259م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله.
- _ إعتاب الكتاب تحقيق د. صالح الأشقر مجمع اللغة العربية دمشق 1961م.
- الحلة السيرة تحقيق د. حسين مؤنس مصر الطبعة الأولى 1961م.
- * ابن الأثير (ت 630هـ/ 1238م) أبو الحسن على بن أبى الكرام.
- _ الكامل فى التاريخ بيروت الطبعة الرابعة 1403هـ/ 1983م.
- * الأصفهاني (ت 359هـ/ 967م) أبو الفرج.
- _ كتاب الأغاني (21 جزءاً) القاهرة 1927م - 1961م.
- * الأصفهاني: حمزة بن الحسين.
- _ تاريخ سنى ملوك الأرض كلكتة 1866م مطبعة الحياة بيروت 1961م.
- * الأزدى (ت 334هـ/ 945م) أبو زكريا يزيد بن محمد.
- تاريخ الموصل تحقيق د. على حبيبة دار التحرير للطبع والنشر القاهرة 1387هـ/ 1967م.

- * الأصبخري (ت 341هـ/952م) أبو إسحق إبراهيم محمد الفارس.
- _ المسالك والممالك ليدن 1870 - 1893م.
- * البسوى (ت 277هـ/890م) أبو يوسف يعقوب بن سفيان.
- _ المعرفة والتاريخ تحقيق د. أكرم العمري بغداد 1394هـ/1973م.
- * ابن بكار (ت 256هـ/869م) الزبير.
- _ الأخبار الموفقيات، تحقيق د. سامي مكى العاني مطبعة العاني بغداد 1972م.
- * البنداري (ت في النصف الأول من القرن السابع الهجري).
- مختصر تاريخ دولة آل سلجوق مطبعة الموسوعات 1318هـ/1900م.
- البيروني (ت 440هـ/1048م) أبو الريحان محمد أحمد.
- الأثار الباقية عن القرون الخالية نشر إدوار دسحواو لينزج 1876م وأعدت طبعة مطبعة
المنشي بغداد سنة 1923م.
- * ابن تغري بردي (ت 874هـ/1496م) جمال الدين يوسف.
- _ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة دار الكتب 1929 - 1930م.
- * الجاحظ (ت 255هـ/868م) أبو عثمان عمرو بن بحر.
- التاج في أخبار الملوك تحقيق د. أحمد زكي المطبعة الأميرية القاهرة 1914م.
- البيان والتبيين تحقيق د. عبد السلام محمد هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة 1949م طبعة أولى.
- التبصر بالتجارة نشره حسن حسنى عبد الوهاب القاهرة 1354هـ/1953م.
- * ابن الجوزي (ت 597هـ/1200 - 1201م) جمال الدين أبو الفرج.
- _ المنتظم في أخبار الملوك والأمم حيدر أباد الدكن 1357هـ/1358م.
- الجهيشاوى (331هـ/933م) أبو عبد الله محمد بن عبدوس.
- _ الوزراء والكتاب حققه وراجع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، وعبد
الحفيظ شلى مطبعة البابى الحلبي بمصر.
- * ابن أبى الحديد (ت 656هـ/1258م) أبو حامد عز الدين عبد الحميد.
- _ شرح نهج البلاغة الجزء الثامن تحقيق / الشيخ حسن آدم قاضى بيروت الشرعى بيروت
1963م مصر 1381م.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

- * الحسيني (عاش في القرن السابع الهجري) على بن السيد أحمد.
- _ أخبار الدولة السلجوقية نشر محمد إقبال جامعة البنجاب 1923م.
- * ابن حزم (384-456هـ/944-1064م) أبو محمد علي.
- _ جهرة أنساب العرب تحقيق د. عبد السلام هارون دار المعارف الطبعة الرابعة.
- * ابن حوقل (ت 380هـ/990م) أبو القاسم محمد.
- _ صورة الأرض ليدن 1967م.
- * ابن خرداذبة (توفي في حدود سنة 300هـ) أبو القاسم عبيد الله.
- _ المسالك والممالك ليدن 1889م، 1967م.
- * الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1070-1071م) الحافظ بن أبي بكر.
- _ تاريخ بغداد أو مدينة السلام القاهرة 1349هـ/1931م.
- * ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) عبد الرحمن بن محمد.
- _ مقدمة ابن خلدون بيروت 1900م ترجم دى سلان.
- _ العبر وديوان المبتدأ (7 أجزاء بولاق 1284هـ، بيروت 1886م).
- * ابن خلكان (ت 681هـ/1271م) شمس الدين أبو عباس.
- _ وفيات الأعيان جزآن المطبعة الميمنية مصر 1310م (8 أجزاء دار بيروت للطباعة والنشر 1385هـ/1996م).
- * ابن خياط (ت 240هـ/854م) أبو عمر خليفة بن خياط.
- كتاب التاريخ تحقيق د. أكرم العمري بغداد 1967م.
- * ابن الدية (333هـ/941-942م) أبو جعفر أحمد بن يوسف.
- _ سيرة أحمد بن طولون نشر فولرز برلين 1894م.
- * الدينوري (ت 282هـ/895م) أبو حنيفة أحمد بن داود.
- _ الأخبار الطوال تحقيق د. عبد المنعم عامر راجعه د. جمال الدين الشيال أعادت طبعة مكتبة المثنى ببغداد.
- * ابن الساعي (ت 674هـ/1275م) على بن أنجب البغدادي.
- كتاب مختصر أخبار الخلفاء المطبعة الأميرية مصر 1309م الطبعة الأولى.
- * ساويرس بن المقفع (توفي أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي).

المصادر والمراجع

- سير الآباء البطارقة الجزء الأول والخامس عشر من مجموعة بياريس 1907، 1910،
1915 م *patrologia orientalis*.
- * السيوطي (911هـ/1605م) عبد الرحمن بن أبي بكر حماد الدين.
- _ تاريخ الخلفاء، القاهرة 1351م.
- * أبو شجاع (ت 488هـ/1095م)
- _ ذيل تجارب الأمم تصحيح ه. ف. أمدرور مطبعة الكردى 1334هـ.
- * الشهرستاني (548هـ/1153م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم.
- _ الملل والنحل مصر 1317م.
- * الصابى (ت 448هـ/1056م) أبو الحسين هلال بن المحسن.
- _ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء تحقيق د. عبد الستار أحمد فرج، دار إحياء الكتب العربية.
- * الصولى (ت 335هـ/946م) أبو بكر محمد بن يحيى.
- _ كتاب الأوراق عنى بنشره: هيورث دن مكتبة الصاوى ط 1 1934م.
- * ابن طباطبا (709هـ/1309م) محمد بن على بن طباطبا.
- _ الفخرى فى الآداب السلطانية القاهرة 1923م، 1962م.
- * الطبرى (ت 310هـ/940م) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى.
- _ تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل دار سويدان - بيروت.
- * ابن عبد ربه (349هـ/940م) أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلس.
- _ العقد الفريد شرح وتحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، إبراهيم الإييارى دار الكتاب العربى بيروت 7 أجزاء.
- * ابن العبرى (ت 685هـ/1286-1287م) جريجوريوس أبى الفرج.
- _ تاريخ مختصر الدول تحقيق الأب صالحانى اليسوعى المطبعة الكاثوليكية بيروت 1890م.
- * العتبى (ت 428هـ/1036م) أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى.
- _ تاريخ اليمىنى جزءان القاهرة 1286هـ وبه شرح الشيخ المنينى المعروف باسم الفتح الوهمى على تاريخ أبى نصر العتبى.
- * ابن العديم (ت 660هـ/1261م) أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد.
- _ زبدة الحلب فى تاريخ حلب تحقيق سامى الدهان المطبعة الكاثوليكية بيروت 1370هـ/1951م.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

- * عريب بن سعد (ت 336هـ/ 976-977م).
- _ صلة تاريخ الطبري المطبعة الحسينية 1302م.
- * ابن عذارى (توفي أواخر القرن السابع الهجري) أبو عبيد الله محمد المراكشي.
- _ البيان المغرب في أخبار المغرب 3 أجزاء نشر دوزي ليدن 1848-1851م.
- * ابن العماد (ت 1089هـ/ 1678م) أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى.
- _ شذرات الذهب في أخبار من ذهب مكتبة القدسي القاهرة 1350هـ.
- * أبو الفدا (774هـ/ 1372م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرش.
- _ البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت 1977م.
- _ المختصر في أخبار البشر المطبعة الحسينية الطبعة الأولى ب.ت.
- * ابن الفقيه (ت 290هـ/ 902-903م) أبو بكر أحمد بن محمد.
- _ مختصر كتاب البلدان ليدن 1303هـ/ 1885م.
- * ابن قتيبة (279هـ/ 889م) أبو محمد عبد الله بن مسلم.
- _ الإمامة والسياسة جزءان القاهرة 1322هـ.
- _ كتاب المعارف حققه د. ثروت عكاشة القاهرة 1353هـ/ 1934م.
- * القلقشندي (ت 821هـ/ 1418م) أبو العباسي أحمد.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القاهرة 1913-1917م.
- * المسعودي (349هـ/ 956م) أبو الحسن علي بن الحسين.
- _ مروج الذهب ومعادن الجوهر القاهرة 1946م.
- _ التنبيه والإشراف طبعة دى غويه.
- * مسكويه (421هـ/ 1030م) أبو علي أحمد بن محمد.
- _ تجارب الأمم. تصحيح ونشر ه.ف. أمدروز مطبعة شركة التمدن الصناعية 1332هـ/ 1914م.
- * المقدسي (ت 387هـ/ 997م) شمس الدين أبو عبد الله.
- _ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ليدن 1967م.
- * المقدسي (ت 322هـ/ 933م) مطهر بن طاهر المقدسي.
- _ البدء والتاريخ منسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي مكتبة المثنى ببغداد، مؤسسة الخانجي 1919م.

- * المقرئى (ت 845هـ/ 1441م) تقى الدين أحمد بن على.
_ النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم 1937م.
_ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار بولاق 1270هـ.
_ السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول من القسم الأول تحقيق/مصطفى ريادة طبعة 1956م.
* ابن منظور (ت 711هـ/ 1311م) أبو الفضل جمال الدين.
_ لسان العرب طبعة بولاق ب. ت. وطبعة بيروت 1955م.
* مؤلف مجهول (من القرن الحادى عشر الميلادى).
_ نبذة من كتاب التاريخ. عنى بشرها وترجمتها بطرس غرياز نيويج دار النشر والآداب الشرقية موسكو 1960م.
* ابن النديم (383هـ/ 933م) محمد بن إسحاق.
_ كتاب الفهرست جزءان ليسك 1871م.
* الحمدانى (ت 521هـ/ 1227م) محمد بن عبد الملك.
_ تكملة تاريخ الطبرى ملحق بالجزء الحادى عشر من تاريخ الطبرى دار سويدان - بيروت.
* ابن الوردى (750هـ/ 1349- 1350م) زين الدين عمر.
_ تاريخ بن الوردى.
* ياقوت الحموى (ت 636هـ/ 1229م) شهاب الدين أبو عبد الله.
_ معجم البلدان مطبعة السعادة 1906م.
* اليعقوبى: (282هـ/ 895م) أحمد بن أبى يعقوب.
تاريخ اليعقوبى قدم له وعلق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم المطبعة الحيدرية، النجف 1384هـ/ 1964م وحققه هوتسا بطبعة بريل ليدن 1883م.
البلدان. المطبعة الحيدرية النجف 1377هـ/ 1957م وطبعة ليدن 1309هـ/ 1891م وطبعة دى غوية 1892م.

ثالثاً: المراجع العربية:

أحمد أمين:

- فجر الإسلام الجزء الأول الطبعة الثالثة 1935م.

أرنولد: (السير توماس):

_ الدعوة إلى الإسلام ترجمة إلى العربية حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى مكتبة النهضة العربية.

بارتولد: فاسيلي فلاديميرج تاريخ لترك في آسيا ترجمة أحمد السعيد سليمان مكتبة الأنجلو 1958م.

بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور):

1- ولاية العهد من بداية الدولة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية 1986م.

2- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى 1989م/1410هـ.

3- سياسة اخلفاء العباسيين الداخلية من قيام دولتهم حتى نهاية القرن الثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى 1418هـ/1998م.

4- بنو الفرات في العراق في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى مكتبة الأنجلو 1987م.

الببلي، محمد بركات (الدكتور):

_ دراسات في تاريخ الدولة العباسية.

حسن إبراهيم حسن:

_ تاريخ الإسلام السياسى الجزء الثالث الطبعة الأولى الجزء الثانى الطبعة الخامسة 1959م مكتبة النهضة المصرية.

_ تاريخ الدولة الفاطمية مكتبة النهضة المصرية.

حسن أحمد محمود (الدكتور):

_ الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى. دار النهضة العربية 1968م.

حسين أمين:

- _ تاريخ العراق في العصر السلجوقي بغداد 1965م.
حسين عطوان:
- _ الدعوة العباسية تاريخ وتطور بيروت 1984م.
خاشع المعاضدي:
- _ دولة بني عقيل في الموصل بغداد الطبعة الأولى.
الخربوطلي، الدكتور علي حسني:
- _ الدولة العربية الإسلامية 1958م.
الدوري، الدكتور عبد العزيز:
- _ دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد 1946م.
زامباور (فون):
- _ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة أخرجه زكي حسن وحسن أحمد محمود جزاءان
القاهرة 1952-1953م.
الزركلي، خير الدين:
- _ الأعلام الطبعة الثانية - القاهرة.
زيدان، جورجى:
- _ تاريخ التمدن الإسلامى (خمس أجزاء) القاهرة 1902-1906م.
سرور، الدكتور محمد جمال الدين:
- _ الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة. دار الفكر
العربى الطبعة الرابعة 1393هـ/1973م.
- _ تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس
الهجرى دار الفكر العربى الطبعة الرابعة 1396هـ/1976م.
العائى، حسن فاضل زعين:
- _ سياسة المنصور أبى جعفر الداخلية والخارجية منشورات وزارة الثقافة والإعلام
العراقية دار الرشيد 1981م.
العبادى، الدكتور أحمد مختار:
- _ في التاريخ العباسى والفاطمى دار النهضة العربية بيروت لبنان.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

- عبد المنعم ماجد (الدكتور):
_ العصر العباسي الأول.
عبد النعيم حسنين:
_ سلاجقة إيران والعراق مكتبة النهضة المصرية 1959، 1970م.
على حبيبة (الدكتور):
_ العباسيون في التاريخ مكتبة الشباب مصر 1980م.
عمر كمال توفيق:
_ تاريخ الدولة البيزنطية الهيئة العامة للكتاب فرع إسكندرية.
فاروق عمر:
_ العباسيون الأوائل الجزء الأول بغداد 1977م.
فاميرى (ارمينيوس):
تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر. ترجمة أحمد محمود الساداتى
مراجعة وتقديم يحيى الخشاب وزارة الثقافة والإرشاد القومى المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والنشر.
فان فلوتن:
_ السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بنى أمية. نقله إلى العربية وعلق عليه
حسن إبراهيم حسن، محمد زكى إبراهيم القاهرة 1934م.
فلهوزن، يوليوس:
_ تاريخ الدولة العربية إلى نهاية الدولة الأموية. ترجمة إلى العربية د. محمد عبد الهادى أبو
ريدة، مرجعة د. حسين مؤنس مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1958،
1968م.
كارل بروكلمان:
_ تاريخ الشعوب الإسلامية. نقله إلى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير بعلبكي
دار العلم للملايين بيروت 1948م.
كريستينسن:
_ إيران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب القاهرة 1957م.

- لسترنج، كى:
 _ بلدان الخلافة الشرقية ترجم كوركيس عواد، وبشير فرنسيس، بغداد 1373هـ/ 1954م.
 لين بول (ستانلى):
 _ طبقات سلاطين الإسلام ترجمه إلى الفارسية عباس إقبال وترجمه عن الفارسية طاهر
 مكى مطبعة البصرى بغداد 1368م.
 المباركورى، القاضى أظهر:
 العرب والهند فى عهد الرسالة. ترجمة عبد العزيز عزت الهيئة المصرية للكتاب 1973م.
 متر آدم:
 _ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة،
 القاهرة 1366هـ/ 1947م.
 محمد حسين الزبيدى:
 _ العراق فى العصر البويى.
 محمد كرد على:
 _ خطط الشام بيروت 1389هـ/ 1969م.
 محمد مختار:
 _ التوفيقات الإلهامية دراسة وتحقيق د. محمد عمارة الطبعة الأولى 1400هـ/ 1980م.

رابعاً: الكتب الفارسية:

- بدوانى، عبد القادر بن ملوك شاه:
 _ منتخب التواريخ، كلكتة 1868م.
 البلعمى:
 _ تاريخ طبرى بالفارسية مطبعة نوال كشور الهند 1291هـ.
 البيهقى (ت 458هـ/ 1066م) أبو الفضل محمد بن الحسين:
 _ تاريخ مسعودى المعروف بتاريخ البيهقى. ترجمه إلى العربية بحمى الخشاب وصادق
 نشأت دار النهضة العربية 1982م.
 الجوزجاني، القاضى منهاج سراج الجوزجانى:.

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

- _ طبقات ناصري تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبي في مجلدين كابل 1342 ش. هـ. حمد الله المستوفى.
- _ تاريخ كزيدة نشر بروان لندن 1910م.
- _ خواند أمير، غياث الدين بن همام الدين:
- _ حبيب السير في أخبار البشر المجلد الثاني يومباي 1857م.
- _ الراوندى، محمد بن على بن سليمان الراوندى:
- _ راحة الصدور وآية السرور ترجمه إلى العربية إبراهيم أمين الشواربي وعبد النعيم حسنين وفؤاد عبد المعطى الصياد.
- _ الكرديزى، (عاش في القرن الخامس الهجرى) أبو سعيد الحى:
- _ زين الأخبار تحقيق د. عبد الحى حبيبي من منشورات إيران. ناصر خسرو.
- _ سفرنامه ترجمه يحيى الخشاب.
- _ الترشجى (ألفه بين سنتي 332-337هـ) أبو بكر محمد بن جعفر الترشجى:
- _ تاريخ بخارى وملحق به الفصل الثانى من الباب الرابع لتاريخ كزيدة ترجمة أمين عبد المجيد، ونصر الله مبشر الطرازى دار المعارف .
- _ نظام الملك (485هـ / 1092م) أبو الحسن بن على:
- _ سياسة نامه ترجمة وتعليق د. السعيد محمد العزاوى دار الرائد العربى بغداد.

خامسًا: الدوريات والبحوث:

- دائرة المعارف الإسلامية.
- _ الدورى، الدكتور عبد العزيز:
- _ ضوء جديد على الدعوة العباسية. مجلة كلية الآداب ببغداد العدد الثانى 1957م.
- سامية توفيق عبد الله (الدكتورة):
- _ الحياة السياسية في خراسان في القرنين الأول والثانى الهجرى. رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة القاهرة.
- طه حسين:
- ثورتان مقالة بمجلة الكاتب المصرى العدد الثامن.

على مسعود الشابي.

_ الأدب الفارسي في العصر الغزنوي. رسالة دكتوراه كلية الآداب - جامعة القاهرة.

فاروق عمر (الدكتور):

_ الألقاب الإسلامية، مقالة في مجلة كلية آداب بغداد العدد 13 سنة 1970م.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

- 1- Ali. M. A: New History of indo - pakestan (Dacca 1970)
- 2- brown: (Edward g): A literary history of Persia form the earliest times until firdawsi (London 1928).
- 3- Dozy (R. P. A): Histoire des Musulmans d Espagne 3 toms (Leyden 1932).
- 4- Gibb. (H): the Arab conquest (London 1928).
- 5- Guest (B. R.): Action of Abu Muslim. The journal of the Royal Asiatic society (1932).
- 6- Harold Bowen: the life and time of Ali ibn isa the good vizier (cambridg 1926).
- 7- Fry: turks. J. A. O. S. (1926).
- 8- Ibn isfandyar: History of tabaristan (London 1905).
- 9- Lane poole: Muhammadan Dynasties (Paris 1925).
- 10- Muir (willian Temple) the caliphate its rise Declin and fall (London 1924).
- 11- Nicholson (John): Aliterary History of the Arabs (London 1919).
- 12- Noldeka: sketches form Eastern History of the. (London 1892).
- 13- Walker: Arara coin of the zang. J. A. O. S
- 14- Encyclopedia of Islam.
- 15- Encyclopedia Br itaunica.

فهرس الموضوعات

7	- مقدمة
13	- جذور الدعوة العباسية وجهود العباسيين لنقل الخلافة إليهم
18	- الدعاة والنقباء
20	- أبو مسلم الخراساني
25	- أبو سلمة الخلال
	- خلفاء العصر العباسي الأول: أبو العباس السفاح (132-136هـ/750-
33	754م)
36	- مقتل أبي سلمة الخلال
38	- قتل أبي مسلم الخراساني سليمان بن كثير
39	- أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م)
41	- عصيان أبي مسلم الخراساني وموقف الخلافة منه
59	- مشكلة ولاية العهد أيام أبي جعفر المنصور
59	- التمهيد لخلق عيسى بن موسى
67	- المهدي (158-169هـ/775-785م)
68	- الهادي (169-170هـ/785-786م)
69	- هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م)

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

- 70 - الفتن والثورات في عهد الرشيد
- 73 - البرامكة
- 76 - نكبة البرامكة
- 76 - أسباب نكبة البرامكة
- 84 - الأمين (193-198هـ/808-813م)
- 85 - المأمون (198-218هـ/813-833م)
- 86 - خطر الزط
- 90 - المعتصم (218-227هـ/833-842م)
- 91 - ظهور عنصر الأتراك وأثرهم على الدولة العباسية
- 95 - الواثق (227-232هـ/842-847م)
- 97 - الطاهريون والصفاريون وعلاقتهم بالخلافة العباسية
- 99 - الدولة الطاهرية
- 99 - بداية ظهور الطاهريين
- 104 - سياسة طاهر بن الحسين في الحكم
- 106 - خلفاء طاهر بن الحسين
- 108 - عبد الله بن طاهر في مصر
- 109 - عبد الله بن طاهر في خراسان
- 109 - عبد الله بن طاهر والمازيار بن قارن
- 115 - طاهر بن عبد الله
- 116 - أفول نجم الطاهريين
- 119 - الدولة الصفارية
- 119 - يعقوب بن الليث الصفار

- 126 - عمرو بن الليث الصفار
- 131 - حركة الزنج وموقف الخلافة العباسية تجاهها
- 131 - حركة الزنج
- 133 - حالة الخلافة العباسية
- 134 - نسب صاحب الزنج
- 138 - بداية ظهور صاحب الزنج في البصرة
- 140 - طبيعة حركة الزنج
- 142 - برنامج حركة الزنج
- 144 - حركة الزنج في طورها الأول
- 147 - بداية حركة الزنج
- 150 - بناء المختارة
- 151 - استنجد أهل البصرة بالخلافة
- 151 - احتلال الزنج الأبله وعبادان والأهواز
- 156 - علاقة الزنج بالصفارين
- 159 - الموفق وابن طولون
- 161 - نهاية حركة الزنج
- 165 - بناء الموقية
- 168 - سقوط المختارة
- 170 - نهاية حركة الزنج ومقتل صاحبها
- 172 - ضعف سلطة الوزراء أواخر القرن الثالث الهجرى
- 175 - بنو القرات وبداية ظهورهم
- 181 - الدولة البويهية

الدولة العباسية: دراسة في سياستها الداخلية

- 181 - ظهور بني بويه
- 189 - دخول بني بويه بغداد
- 197 - الدولة الحمدانية في الموصل
- 207 - الدولة السامانية
- 225 - السامانيون وعلاقتهم بالخلافة العباسية
- 229 - الدولة الغزنوية
- 247 - ظهور السلاجقة وزوال سلطان الغزنويين
- 258 - المصادر والمراجع
- 271 - فهرس الموضوعات

